

الحروف والقوالب

تأليف

بروكوبيوس القيصري

درسه و ترجمه وتعليق

دكتورة هفان سبيط

استاذ تاريخ المصور الوسطى المساعد
جامعة الأزهر

الجزء الأول

الكتاب الخامس ومنتصف السلسل

الناشر
دار الكتب الجامعية

8 شارع سليمان الحكيم بالقاهرة

الحُرُوفُ وَالْقَوَاطِبُ

تأليف

بروكوبيوس القيصرى

دراسة وترجمة وتعليق

وكيزة عفاف سيبره

استاذ تاريخ العمور الوسطى المساعد
جامعة الأزهر

الجزء الأول

الكتاب الخامس ومنتصف السادس

الناشر
دار الكتب الجامعية

٨ شارع سليمان الحكيم بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق
والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ..

فموضوع الحروب القوطية من الموضوعات الهامة التي شغلت حيزاً
كبيراً من تاريخ المصور الوسطى ، وانشط الشرق البيزنطى مع الغرب
الرومانى بأحداث هذه الحروب — التى لم تكن آثارها اقلية .. بل
تركزت بصمات واضحة على كلا الجانبين فى النواحي السياسية خصوصاً
وغيرها من النواحي عموماً .

وقبل أن نبدأ فى تقديم دراستنا الموسعة عن قبائل القوط وتطورهم
السياسى فى أوروبا .. احب أن أعرف أولاً بهذا الكتاب الذى نحن
بصدده ترجمته ، ونعرف شيئاً عن مؤلفه .

الكتاب الذى بين أيدينا هو كتاب تاريخ الحروب القوطية ويقع فى
ثلاثة أجزاء .. وتحتل هذه الحروب مجموعة كبيرة من الموسوعات التى
قدمها لنا المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس .. وقد كتبت أصول تاريخ هذه
الحروب باللغة اليونانية وقلم على ترجمتها الى اللغة الانجليزية العلامة
الانجليزى هنرى . ب . ديونج H. B. Dewing .

وقبل أن نهمل فى تفاصيل مؤلفات بروكوبيوس وأهميتها فى
التاريخ البيزنطى لا بد لنا أن نعرف به أولاً حتى نرسم صورة كاملة لهذا
المؤلف وعصره والظروف التى عشت فيها ، والتى كان لها أكبر الأثر على

أسلوبه ، وطريقة عرضه لمادته العلمية . وأفكاره ومعتقداته والفكر
السياسي الذي يتبعه .

ولد بروكوبيوس سنة ٥٠٠ م بقيصرية في فلسطين .. أي في
ولاية من أهم الولايات البيزنطية في الشرق^(١) . وتلقى بروكوبيوس
تعليمه في قيصرية وغزة حيث تعلم المنطق والقانون .. وهما من أهم
العلوم التي شملت الفكر البيزنطي في العصور الوسطى .. خاصة في
عصر الامبراطور جستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥ م .

حصل بروكوبيوس الى القسطنطينية التي كانت مركزا
للدراست القانونية والفقهية ليعمل هناك ، وقد ذاع صيته هناك في عام
٥٢٧ م أي العام الذي تولى فيه جستنيان دفة الأمور ، لذلك فقد عين
سكرتيرا خاصا ، ومستشارا قانونيا للقائد العسكري بليزايوس^(٢) .

كان بروكوبيوس كاتباً بليغاً .. رفعه بياحه الناصع الى عضوية
السناتو^(٣) حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه وصل الى منصب والي
القسطنطينية ٥٦٢ م .

(١) Vasiliev «History of the Byzantine Empires» p. 180
Bury. «History of the Later Roman Empire» p. 21.
جيون « انحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها » ج ٢ ص ٢١٧ .
Runciman «Byzantine Civilization» p. 243.

(٢) بليزايوس من أشهر القادة في التاريخ البيزنطي — ولد سنة ٥٠٠ م
وكان صديقا للإمبراطور جستنيان وكانت زوجته انتونيا Antonine
صديقة للإمبراطورة ثيودورا Theodora وبدأ نجم بليزايوس يلمع منذ
بوقعة دارا ضد الفرس سنة ٥٢٠ م ، ثم عين قائدا للشرق وفي عام ٥٢٢ م
تمكن بليزايوس مع ثارسيس من القضاء على غفلة نيقا وأرسله جستنيان سنة
٥٢٢ م الى شمال إفريقيا حيث تقى على مملكة الوندال ثم بحث به الى
إيطاليا ليخلصها من الغوط الشرقيين . انظر :
Vasiliev «History of the Byzantine empire» p. 136.

Vasiliev «History of the Byzantine states» p. 70-73.

(٣) جيون « المصدر السابق » ج ٢ ص ٢١٧ .

ولعل وجود بروكوبيوس في منصبه كمستشار للقائد بليزاريوس قد
هيا له الفرصة ليحصل على المعلومات من مصادرها الأساسية ، وكان
لمشاركته لبليزاريوس في حروبه أكبر الأثر في تدوين تاريخ هذه الحروب
من مواقعها وكشاهد عيان لحدثاتها تفصيليا يوما فيوما دون الاحتياج
الى الرجوع لأية مصادر ثانوية أخرى عن هذه الموضوعات .

لقد شارك بروكوبيوس سيده بليزاريوس في حروبه ضد الفرس
في الحرب الفارسية الأولى من ٥٢٧ - ٥٣١ م وضد الوندال ٥٣٣ م
وضد القوط في إيطاليا ٥٣٦ م^(١) .

ولذا فقد دون بروكوبيوس تاريخ العصر الذي عاش فيه متجنباً
بين المديح والاطراء أو القذح والهجاء .

ومن أهم المؤلفات التي ألفها ثلاثة أعمال تاريخية عامة أولها تاريخ
الحروب ، وثانيها ما عرف بـ *Historia Arcana* أو التاريخ السري ،
وثالثها عن المباني والمنشآت .

وأول هذه المؤلفات كان عن تفاصيل حروب جستنيان وتقع في
ثمانية أجزاء^(٢) الجزء الأول والثاني خصصا للحروب الفارسية
والثالث والرابع للحروب ضد الوندال في شمال أفريقيا ومن الخامس
إلى الثامن للحروب ضد القوط الشرقيين في إيطاليا وهي الأجزاء التي
سأقوم بترجمتها إلى العربية إن شاء الله تعالى .

ويذكر الأستاذ جيبون أن هذه الكتب تستحق التقدير بوصفها
تقليدا شافيا موثقاً لكتب أثينا أو على الأقل للكتب الآسيويين . . كتاب
اليونان القدماء . . وقد جمع الحقائق التي أوردها في تاريخه هذا من

(١) توينبي « الفكر التاريخي منذ الإغريق » ص ١٠٥ - ١٠٦ .

Bury's History of the later Roman Empire p. 21-24.

(٢) جيبون نفسه ص ٣٦٨ .

تجربته الشخصية ومن مناقشاته الحرة بوصفه رجلا عسكريا ورجل دولة وسياسة ، وسائحا وكان منموحا وكثيرا ما حقق ملموحي في أن يرى بأسلوبه حتى يكون جديرا بأن يوصف بالقوة والرشاقة .

أما تأملاته وآرائه ويوجه خاص في الخطب والأحاديث ، تلك التي كثيرا ما بثتها في كتبه فإنها تزخر بمعين لا ينضب من المعلومات السياسية^(٦) وقد ضمن بروكوبيوس تاريخ الحروب هذه معلومات أخرى إضافية مما جعلها أقرب إلى التاريخ الملم لهذا العهد من حكم جستنيان^(٧) ، وقد أكمل المؤرخ اليوناني أجاثيوس Agathius وكتبه Historiarum عن تاريخ جستنيان على ما ألفه بروكوبيوس عن الفترة من ٥٥٢ - ٥٥٨ م ثم أكمل الكتاب عن الأحداث من عام ٥٥٨ - ٥٨٢ م وقد نشر مؤلفه هذا في مجموعة بون البيزنطية Corpus - Scriptum, Historie, Byzantinae, والتي نشرت في عام ١٨٢٨ م في ألمانيا .

أما عن كتابه الآخر وهو ما يعرف باسم التاريخ السري Historia - Arcana فقد ذكر المؤرخون أن هذا الكتاب لم ينشر في حياة بروكوبيوس وقد كان هذا التاريخ تقييما عاما لعصر جستنيان وقد حمل بروكوبيوس الامبراطورة ثيودورا ويليذاريوس كثيرا من التبعات لما حل بالامبراطورية من مشاكل .

يذكر الأستاذ غازيليف أن ما أورده بروكوبيوس في تاريخه عن ثيودورا إنما يدل على المبالغة في الصورة التي عرضها لها في مسنهل حياتها حين عاشت وهي ابنة أحد مرموزي الأدبية في المسرح الطامع بالفساد والانحلال فوقت في غرام عدد كبير من الرجال واشتهرت

(٦) جيون « المصدر السابق » ص ٣٩٨ .

(7) Vaelliev op - cite p. 180-181.

توبني « الفكر التاريخي منذ الإغريق » ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ثيودورا بالجمال والرشاقة والذكاء وسرعة الخاطر وكانت مصدر التسلية بالقسطنطينية ومصدر العار لها أيضا ويذكر بروكوبيوس أيضا أن كل من صادق ثيودورا في الطريق كان يأنف من الاقتراب منها حتى لا تتسخ ملابسه إذا مستها على أنه يجب أن نحتاط عند الأخذ بآراء بروكوبيوس لما اشتهر به من الحرص على أن يسيء إلى سمعة جستنيان وثيودورا⁽⁸⁾ ، وقد هاجم أيضا موظفي جستنيان وخاصة تريبونيان المشرع الشهير ، واتهمه بالرشوة والالحاد ، ويبدو أن اهتمام تريبونيان بالفلسفة والفلك والتقويم كان وراء هذا الاتهام⁽⁹⁾ .

أما عن كتاب الثالث عن المباني والمنشآت فيقع في ستة أجزاء فهو يمثل دراسة هامة عن النشاط العمراني في عهد جستنيان وقد كتب هذا بدون شك بناء على رغبة الامبراطور نفسه وهو يعد قصيدة نظمها بروكوبيوس في مدح جستنيان وقد سار بروكوبيوس في تاريخه هذا على نهج المؤرخين اليونانيين القدماء أمثال هيرودوت ، وثيوكوديدوس ، وكل من تأثره أكثر وضوحا بالآخر⁽¹⁰⁾ .

وقد تخرت من بين مؤلفات بروكوبيوس ما كتبه وسجله كشاهد عيان مرافق للقائد بليزاريوس في « الحروب القوطية » والتي كانت صقلية وإيطاليا ميدانا لها .

وإذا حللنا الأسلوب الذي اتبعه بروكوبيوس في تسجيل أحداث هذه الحروب نجد أنه أرخ لها على نظم الحوليات فكان يسجل أحداث تحرك الجيش يوما فيوما ، وقد غلب على هذه الأحداث الاستطراد في

(8) «Cam. Med. Hist.» vol IV part II, p. 229.

Runciman op - cit p. 243.

(9) Vasiliev op - cit p. 132.

(10) Ibid. p. 142-148.

Ostrogorsky op - cit p. 70-76.

وصف ميدان المعركة وتفاصيلها مع اعتماده القوى بذكر المنشآت
والحصون والبوابات التي استعان بها البيزنطيون ضد القسوط والتي
استعان بها القسوط ضد البيزنطيين *

ويشتهر هذا التاريخ سجلا حافلا مفصلا حتى انه لم يغفل جميع
الخطب والمبارات التي كانت ترد على السنة زعماء البيزنطيين والقسوط
والرومان^(١١) كما وضع فيه شيئا هاما الى جانب ما سبق وهو وصف
الحزن والمواع التي يمكرون فيها وصفا دقيقا ، قد وردت في هذا
السجل اسماء لشخصيات كثيرة من القسوط والرومان ممن تولوا الزعامة.

ولابد ان اثير هنا الى ان هذا السجل لا يصح أن نعتبره سجلا
حربيا فقط ، ولكنه كان يتوقف عن وصف المعارك في أحوال كثيرة ليشرح
ننا قضايا سياسية ووضحت من هذا المؤلف وجهة النظر البيزنطية في
موضوع دفع القسوط الى ايطاليا زمن الامبراطور زينون وما قام به القسوط
في ايطاليا من محاربة اودواكر انجـرهاني الذي عزل آخر الأباطرة
الرومان رومولوس اوغـطولوس وشرح سياسة الملك القوطي ثيودريك .
وكيفية حكمه لاطاليا وعلاقته بالقوى المحيطة ثم عرض أيضا لأثر
الذهب الاريوسي الذي اعتنقه القسوط على العلاقات مع الإمبراطورية
البيزنطية وما قام به ثيودريك من قتل للفلاسفة خاصة الفيلسوف بـؤثيوس
واتر ذلك على الامبراطور البيزنطي *

ولم يغفل ثيودريك في ثنايا سجله الحربى أن يعرض لتطور الأمة
القوطية بعد وفاة ثيودريك سنة ٥٢٦ م وكيف تصدعت الأمة القوطية
بعده فقد خلفه حفيده اتالاريك Atalaric وتولت أمه اماالاسونثا
Amalasuntha تصريف شؤون الحكم كوصية على ابنها ، وكانت هذه

الوصية - مثل أبيها من المعجبين بالحضارة البيزنطية^(١٢) ولكن ذلك لم يعجب زعماء القوط فدبروا أمر مقتلها^(١٣) .

اتخذ جستنيان امبراطور الدولة البيزنطية من هذه الحادثة ذريعة للتدخل في شؤون إيطاليا ومحاولة إعادة هبة الامبراطورية البيزنطية في هذه المناطق^(١٤) .

ومما يؤخذ على بروكوبيوس في هذا المجال انه كان يشد الانتباه للنصف الحقيقي الذي يقدمه للقارىء حول أحداث المعارك وفجأة ينتقل بك الى حادث عارض يشرحه بأسباب حتى ينسى القارىء الموضع الذي وقف عنده من الحدث الأصلي ؛ ثم ما يلبث أن يعود الى حديثه الأول ، وهكذا اختلطت أحداث ثانوية كثيرة مع الأحداث الأساسية التي سجلها بروكوبيوس .

ولا بد لنا قبل أن ندخل في ترجمة ما كتب بروكوبيوس عن الحرب النوطية أن نقدم دراسة وافية عن هؤلاء القوط .

١ - القوط :

القوط يمثلون أحد العناصر الجرمانية التي قدمت من شبه جزيرة اسكندناوه ووصلت الى سفاف نهر الدانوب وسواحل البحر الأسود وذلك منذ زمن الامبراطور كركلا سنة ٢١٤ م ، وقد تقدم القوط جنوبا من شواطئ البحر البلطى لمسحوا السامثيين واجعوا اقليم داثيا على الدانوب حيث ظلوا حصين سنة يعيشون مسادا في البلطن حتى

(12) Bury «History of the later Roman Empire» vol 2, p. 125-150.

(13) Lot «The end of the ancient world» p. 258-259.

(14) ملف سير « الامبراطورين البيزنطية والرومية الغربية زمن شارلمان » ص ٢٢ .

هزمهم الامبراطور كلوديوس الثاني سنة ٢٦٨ - ٢٧٠ م في نيسوس
Naissus سنة ٣٦٩ م .

وقد كان القوط في هذه الفترة وحدة واحدة الا أنهم انقسموا بعد ذلك الى قسمين شرقيين وغربيين (١٥) هانتشر الشرقيون فوق سهول روسيا الجنوبية في حين اتجه الغربيون نحو داثيا والبلقان حيث سمح لهم بالاستقرار في هذه الجهات .

ويؤكد الأورخون على أن القوط الشرقيين قد شاركوا اخوانهم الغربيين الذين سمح لهم الامبراطور فالتر بعبور الدانوب ليسلموا من خطر الهون . شاركوهم في محاربة هذا الامبراطور في أدرنة سنة ٣٧٨ م حتى انتهى الأمر بذيجه (١٦) وفي سنة ٣٨٠ م عقدوا حلفا مع الامبراطور ثيودوسيوس الأول : أصبحوا بمقتضاه معاهدين للامبراطور ، كما سمح للقوط الشرقيين بالاقامة في اقليم بانونيا والقوط الغربيين بالاقامة في شمال ترانسيا .

والمعروف أن القوط قد اعتنقوا المسيحية على مذهبها الارثوذكسي عن طريق مبشر اسمه ولفلاس Wulfilas ٣١١ - ٣٦٩ م (١٧) .

وقد تعرضت مملكة القوط الشرقيين لهجمات الهون الذين سطوا سلاطهم على هنتاريا ، ومع ذلك فقد اتحدوا تحت زعامة ملك واحد ثم تحت حكم ابنته الثالثة من بعده . عولم يشد عن ذلك الا جماعات متناثرة دخلت في خدمة الرومان أو أولئك الذين انحازوا الى الجيوش المخططة في خدمة رادا جيسوس ، والتي شنت عجوما مباغتة وخطيرة

-
- (١٥) «عاشور» أوروبا المصور الوسطى» ج ١ ، ص ٦٩ .
«تاريخ أوروبا المصور الوسطى» صم اول ، ص ١٦ .
(١٦) «عاشور» أوروبا المصور الوسطى» ص ٦٩ .
(١٧) «عاشور» أوروبا المصور الوسطى» ص ٧٠ .

على إيطاليا ٤٠٤ - ٤٠٥ م غسقتوا أستيلكو على مرتفعات فيسولي ،
وقد كانوا بوحشهم خلفاء تابسين يقاطنون مع اثتلا عند سهل موريك ،
ولكنهم لميوا دورا بارزا في ائتلاف الشعوب التي قفت على الهون
بعد ولما ائتلا وازدادوا صلابة وصمودا فيما تلا ذلك من هروب مع
قبائل الدانوب (١٨) .

وفي عام ٤٧١ م أصبح ثيودريك الملقب فيما بعد بالمعظم - من
زعمائهم والمعروف أن ثيودريك قضى عشر سنوات من حياته وهو صبي
رهينة بالقسطنطينية ولابد انه قد تعلم الشيء الكثير عن تنظيم الدول
المتخصرة مثل الريك وان ظل حتى نهاية أيامه اميا لا يكتب .. فاذا شاء
التوقيع باسمه اضطر الى استخدام روم من ذهب (١٩) .

وقد بدأت قوات القوط الشرقيين تتجه جنوبا داخل حدود
الامبراطورية البيزنطية وسببت لها مشاكل كثيرة (٢٠) .

وقد تحققت احلام القوط عندما هرب ثيودريك من البلاط البيزنطي
سنة ٤٧٤ م واصبح ملكا على شعبه وقرر ان يتجه بهم جنوب البلقان .

وقد صادفت هذه الفترة الزمنية قيام القائد الاسكري الجرمانى
فلافياوس اودواكر Flavius Odoacer بعزل روهولوس لوتسبولوس
Romulus Augustule . آخر الإمبراطرة الرومان في الغرب وتجه
في الاستيلاء على السلطة في إيطاليا سنة ٤٧٦ م وبذلك اعتبر المؤرخون
هذا التاريخ نهاية للامبراطورية الغربية (٢١) والمحيقة أن ما قام به

(١٨) موسى « ميلاد المصور الوسطي » ص ٩٩ .
(١٩) قروم لوحة مكتبة بالحروف المطوية لكتابة الاسم . انظر :
« موسى » المرجع السابق .

(20) Thompson «The Middle ages» vol I, p. 118.

(21) Thompson «the middle ages» vol I, p. 118.

بجر « الامبراطورية البيزنطية » ترجمة حسين مؤنس ، ص ٢٢ .

أودواكر لم ينقص شيئا من سلطان الامبراطور البيزنطي زينون ونم
يشعر احد أن الامبراطورية قد سقطت سنة ٤٧٦ م أو أن إيطاليا كانت
خارج نطاق الامبراطورية بعد هذا التاريخ (٣٣) .. ولعل مما يدعم ذلك
أن الامبراطور زينون استقبل في عام ٤٧٧ م وفدا يمثل أودواكر والسلاو
الروماني يخبره بأن الغرب لم يعد بحاجة الى وجود امبراطور .. ، وأن
الامبراطور الروماني في الشرق كاف لبسط حمايته على الشرق والغرب
مما كما كان واقعا في عهد قسطنطين وثيودوسيوس الكبير ، ويضع
عند قدمه تاج رومولوس وعباء الامبراطورية ، ويطلب اليه أن ينعم
على أودواكر باللقب الروماني القديم « بطريق » يعتبره نائبا عنه في
حكم إيطاليا (٣٤) . وضع أن الامبراطور زينون لم يوافق على منح أودواكر
لقب الشرف الروماني هذا ، فقد راح القائد الجرمانى يحكم إيطاليا
كملك دون أن يحصل على اعتراف من الامبراطور وكان على زينون أن
يفرض عليه عن ذلك (٣٥) . وقد لقب أودواكر نفسه بلقب « سيد الجند
في إيطاليا » *Magister Militum per Italian* (٣٦) .

وفي هذه الاونة فكر زينون في وسيلة جديدة يتخلص بها من غنط
القوط الشرقيين على القسطنطينية خوفا من أن يتسبب دخولهم الى قلب
الدولة البيزنطية في تعرضهم لنفس المصير الذى تعرض له من قبل
سلفه الامبراطور فالنتر على يد اخوانهم القوط الغربيين ، الى جانب
رغبته في التخلص من الممولات المالية الفادحة التى لا بد من دفعها للقوط .

(22) Strayer, Munro «The middle ages» p. 39-40.

(٢٣) رأت عبد الحميد : مقبرة الفرجة العربية لكتاب « العالم
البيزنطي » ، تكليف ج . م هسي ، ص ١١ .

«Oman «The Dark Ages» p. 107.

(٢٤) رأت عبد الحميد : نفسه .

(25) Ostrogorsky «op - cit» p. 62.

وقد رأى أن يدفع القوط الشرقيين إلى إيطاليا ، لتخليصها من الغائد اتجرمانى اودواكر ، وحتى يتخلص من جميع الأعباء السابقة .

وقد وافق ثيودريك على تنفيذ ما أمره به الامبراطور زينون واتجه إلى إيطاليا في سنة 488 م سيدا لجند الامبراطور ، ويقود جيشا من القوط الشرقيين ومن غيرهم من المخاضرين وقد نجح القوط في انزال الهزائم باودواكر عند ايسونزو Isonzo وفيرونا حتى اعتمد اودواكر برافنا ، فخاضه القوط الشرقيون حتى استسلم سنة 493م ولم يلبث أن دخل ثيودريك رافنا ليقتل اودواكر (٣٧) . وعند ذلك قرر مجلس السناو الرومانى أن يؤيد ثيودريك واعترف به حاكما على إيطاليا . وكانت هناك عدة مدن لا تزال تناهر اودواكر وتسانده فنجح ثيودريك في استناره السكان الرومان للقيام بمذبحة شاملة في حامياتها البربرية (٣٧) .

وقد اتخذ ثيودريك من مدينة رافنا عاصمة لمملكة القوط الشرقيين في إيطاليا وكانت رافنا في وقت قريب مدينة خربة خيم عليها الصمت ، وكانت تتألف من مجموعة من أبراج الأجراس تقع في سهل رخم موغل من المستنقعات الوبيئة بالملايا وحقول الخرة التي تخرقها القنصوات البطيئة التي يسدها البوص وأزهار النيلوفر اللثية وهي لا تزال تمتص إلى اليوم بشيء من مجدها السابق ، منها كتيسة القديس فيتالى وهي أفخم كنائسها المتوجهة بالفلسفاه المرممة بالجواهر والرخام الشفاف ، وترجع إلى عهد جستينيان (٣٨) .

دولة القوط الشرقيين على عهد ثيودريك

كان لتولى ثيودريك السلطة في إيطاليا في هذه الفترة أن أصبحت هناك مملكة جرمانية جديدة تحكم منطقة هامة من العالم الغربي ، خاصة بعد سقوط الامبراطورية الغربية عام ٤٨٦ م ولذلك نعتبر أن مملكة القوط الشرقيين من أهم الممالك لأنها قامت في إيطاليا مركز الامبراطورية الرومانية القديم وصاحبة المجد التليد ، والواقع أن ثيودريك كان من النوجه للقانونية نائبا عن امبراطور الدولة الشرقية في إيطاليا حتى انه سلك اسم الامبراطور البيزنطي على العملة^(٣٩) . ولكنه أصبح من الناحية العملية ملكا مستقلا على مملكة القوط الشرقيين التي شملت ليغاليا وصقلية وغيرها من الأقاليم المجاورة مثل بانونيسيا ودالماتيا والسيريا وبروفانس .. في حين ظلت كورسيكا وسردينيا في أيدي الوندال^(٤٠) .

وقد سار ثيودريك على نهج بقية الممالك الجرمانية المعاصرة خاصة في احتفاظه بالحضارة الرومانية^(٤١) .

وقد كتب ثيودريك الى الامبراطور انستاسيوس ٤٩١ - ٥١٨ م والذي أعقب الامبراطور زينون على العرش يقول : ان مملكتي ليست الا صورة مطلقة لمملكك ويدعي لنفسه أكثر من جميع ملوك الأرض نك الرقعة نفسها التي أجازها في تواضع لشخص انابستاسيوس أو لمقامه^(٤٢) .

غير انه كان في الواقع في وضع مخالف تماما إذ انه لم يكن ملكا على

(٢٩) Lot «The end of the ancient world» p. 240.

(٣٠) مائسور : أوروبا المصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٣١) Lot op - cite p. 241.

(٣٢) جيبسون : المسحلال الامبراطورية الرومانية ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

أتباعه من القوط الشرقيين وغيرهم بينما كان يتولى الحكم على السكان الرومان بإيطاليا بوصفه نائب الامبراطور^(٣٢) .

وكان التحالف بين الشرق والغرب يملن سنويا باختيار خنسلين اختيارا جماعيا ، غير انه يبدو أن المرشح الايطالى الذى كان يعينه ثيودريك كان يحصل على تصديق رسمى من عاهل القسطنطينية . وكان انقصر القوطى فى رافنا يحكى صورة بلاط ثيودسيوس أو فلانثيلىن فالسوالى البريتورى وزالى روما والكويستور ورئيس الديوان وأمناء الأموال العامة والموروثه الذين صارت بلاغة كنسيروس مهامهم ، كل هؤلاء ظلوا يعملون كوزراء للدولة ، أما مهمة الاشراف على العدالة والايادات وهى دون المهام السابقة فقد كان يتولاها سبعة قضاة وسبعة مشرفين^(٣٣) خمسة رؤساء يحكمون اناليم ايطاليا والخمسة عشر بمقتضى المبادئ بل والتشكيلات الخاصة بالقضاء الرومانى^(٣٤) .

وتجنب ثيودريك الحصول على ابشاح حول وضعه ذلك اذ أن ذلك كان ينطوى ضمنا على التسليم بحق الامبراطور فى الهيمنة عليه واعتباره مجرد موظف طارىء .

والواقع أن المؤرخ بروكوبيوس تد سجل لنا معاورة دارت بين القائد المسكرى بليزاريوس وبين مبعوثى القوط ، وكل منهما شرح وجهة نظره حيث بين القوط انهم اصدقاء البيزنطيين وانهم لم يستولوا على ايطاليا بالقوة ونظرا لأن اودواكر قد غلب رومولوس اوجستولوس وحكم البلاد حكما استبداديا وصور القوط الامبراطور زيلون بأنه كان

(٣٢) موسى : نفسه ، ص ١٢٤ .

(٣٣) Corroctor وهو المشرف على الحقوق المدنية ، ككت وتظبته تماثل وظبة الوالى البريتورى .

(٣٤) جيبسون : نفسه ، ص ٢٢٠ .

عاجزا عن تدمير سلطة اودواكر ففانوا « لذلك حرص ثيودريك على غزو إيطاليا » وبين القوط انهم حكموا إيطاليا كحكام شرعيين وانهم حافظوا على القانون والنظام الروماني وانهم راعوا المقدسات الرومانية وان القوط تركوا الرومان يتولون مناصب الدولة ولم يشاركهم قوطي واحد في ذلك^(٣٦) ورغم القوط ان يحصلوا على منصب القنصلية وتركوه للرومان .

أما رأى بليزاريوس والذي يمثل وجهة النظر البيزنطية من ناحية دولة القوط الشرقيين ، فقد بين أن الامبراطور زينون عندما بعث بثيودريك الى إيطاليا ، بعثه لكي يحارب اودواكر لا أن يحكم السيطرة على إيطاليا ، أي أن معنى كلامه أن ثيودريك رغم زينون على البقاء في إيطاليا ويتنافس بليزاريوس ويقول ما الذي يرغب الامبراطور غنى أن يستبدل طاغية بآخر ، وأنه أرسله الى إيطاليا ليحررها فقط^(٣٧) . ومن هذه الآراء والمهاورات التي دارت بين القوط والبيزنطيين يتبين لنا وجهة نظر البيزنطيين في حكم القوط الشرقيين لإيطاليا ويتبين من ناحية أخرى سياسة القوط التي اتبعوها في حكم إيطاليا .

وقد افانض الاستاذ هويسيد ^{Heuss} في عرضه لسياسة القوط الادارية في إيطاليا ، إقترح بين أن مجلس السيلتو الروماني ظل يمتد جلساته في روما ، ويلقى التجهيز من ثيودريك ، فطلت الولايات يحكمها ويجبى الضرائب منها موظفون من الرومان ، على أن تجوز عميلة كلت تعمل بين القوط والرومان أي بين العسكريين والمدنيين ، وكان الزواج

(36) Procopius History of the wars vol VI, p. 341-343.

(37) Procopius History, p. 343-344.

بين المنصرين مخطورا؛ ولم يكن الفريقان يلتقيان إلا عند القمة في شخص
ثيودريك الذي هو نفسه مواطن روماني ، على الرغم من أنه ليس في
وسمه أن ينقل هذا الوضع الى غيره . وظل الناس يحتفظون بعلمهم
ولعنتهم وبقوانينهم ، وعاداتهم وحرمتهم الشخصية وبثلاثي أملاكهم من
الأرض (٢٨) كان القوط غاضبين لكونتات الاحياء ثلثتهم شأن سائر
الممالك الجرمانية الأخرى ، واستحدثت وظائف جديدة تتمثل في العماء
Saiones الذين يتولون حماية الرومان من ظلم القوط ، وفحص حالات
سوء استخدام السلطة Agentesim-Rebus (٢٩) .

ومن معالم سياسته أيضا إبرام سلسلة من التحالفات مع الممالك
الجرمانية الواقعة الى الغرب منه ؛ وكان عدله من ذلك أن يقيم توازنا
للقوى بين هؤلاء الحكام ، ويقوم بدور الوسيط بينهم وبين القسطنطينية ،
وبهذه الوسيلة استطاع أن يكتفل لنفسه الزعامة على الممالك الجرمانية ،
وأن يكون مظلما للإمبراطور البيزنطي ، وكان يرجو من ذلك أن يكون
مقاومة قوية لسحق أية فكرة قد تراود البابوية أو الامبراطورية البيزنطية
لاسترداد إيطاليا (٣٠) .

ولكن الأستاذ جيبون يقول أن هذا القوارن المالي اهل من جراء
اطماع كلوفس Clovis ملك الفرنجة عندما حاجم القوط الغربيون
(٣١) جيبون : نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٣٢) بوس : نفسه ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

Lot sup-cite p. 241.

Oman uThe dark ages"p.22-24.

لذلك تحركت قوات ثيودريك هذه من أجل تنفيذ البقية الباقية من شجب القوط وكسر شكيمة الفرنج وهم متمسكون^(١١) .

وقد أضاف أيضا نقاط هامة بالنسبة لدور ثيودريك العالمى فقد همى قبائل الألمان وعلقب الفرنجيين عذابا شديدا على غارة شيوخها وغزا أول وهرسليا فأقام بذلك اتصالا هرا مع القوط الغربيين الذين أحترموه وبعجلوه على انه حلى وطنهم والوصى على حفيده ابن الريك الطفل ، وبهذه الشخصية المبهجة أعاد ملك إيطاليا ولاية النسابيين البريتورية وأصلح بعض مساوىء الحكم المدنى فى إسبانيا . وقبل جزية سنوية وخسوعا ظاهر من حاكمها السكرى الذى رضى فى حكمه أن يأمن على نفسه بالذهاب الى قصر رافنا . واستقرت السيادة القوطية فى صقلية الى الدانوب ومن سرميوم أو بلنراد الى المحيط الأطلنطى^(١٢) .

القوانين على عهد ثيودريك :

إذا كان القوط الشرقيون قد احتفظوا لأنفسهم من الناحية الشكلية بقوانينهم الخاصة ، إلا أن هذه القوانين اضطرت من الناحية العملية بالطابع الرومانى حتى أنها لم تثبت لن فلفت طابعها الأصلى بعد عدة أجيال^(١٣) ، وقد اعتمد فى هذه القوانين على مجموعة ثيودوسيوس العظيم والحقيقة أننا نستدل على تمتع هذه القوانين إذا درسنا المرسوم الذى أصدره ثيودريك فهو كما وضع متأثر بالتشريع الرومانى وليس به

(١١) جوسون : التمهلات الإمبراطورية الرومانية ، ص ٣٦٨ .

(١٢) نغنسك ، ص ٢٦٨ .

(١٣) مانشورد : لوريا المصور للمسيحيين ، ص ٧١٥ .

الا مبتكرات خشيلة ، وقد بذلت محاولة خاصة كما حدث في القنون
السلي للاستعانة عن الأخذ بالنار بالالتجاء الى الطرق القانونية .

ويحافظ المرسوم على المركز الممتاز لملك الأرض غير انه انطوى
أيضا على تدابير لمنع الظلم الواقع على صغار الفلاحين *Coloni*
وقد صدرت قوانين صارمة لتناقص الاختطاف وهي تمد دليلا على غلة
الأيدي العاملة^(١١) .

على أن الطبقات الدنيا أمادت بطريق غير مباشر لا بفضل الأمن
والسلام اللذين أفادهما حكم ثيودريك القوي فحسب ، يقول معاصر له
معبوب به « لم تكن بوابات المدن تغلق قط » بل بالإضافة الى لائحة
الأسواق الدقيقة التي أصدرها وسيط أسعار المواد الغذائية ، ولحرصه
على أن تكون مؤونة الجيش رخيصة الأسعار . ومنع هلاك الأراضي من
الاستغلال فزاد انخفاض الأسعار وككن العرض الملم من المرسنوم
المحافظة على القديم فليس وراءه أية نظرية يقوم عليها ، إذ أنه ذك
الأول والآخر منه الاتعمال بالخسارة الرومانية الى الأبد ثابتة دون
تغيير ، وأمنة داخل حلقة الحراب القوطية^(١٢) .

وقد تقرر أيضا في عهده تطهيش القصر للثبـد ، وقبرو ضرورة نداء
المواطنين الرومان من قبضة المنهين البرجنديين^(١٣) .

(١١) موس : نيلاد المسور القومثلي : ٤ من ٤٢٥ .

(١٥) نفسه ، ص ١٢٦ .

(١٦) جيوسون : ص ٣٨ .

الحياة العامة في إيطاليا

على عهد القوط الشرقيين

تحت إيطاليا في عهد القوط الشرقيين بالأمن والأمان والاستقرار فقد كان للفترة التي حكم فيها ثيودريك أكبر الأثر في تسوية النشاز. الغاشم في إيطاليا وتهذيب العادات والتقاليد السائدة بين الرومان هناك.

وقد أصبحت رافنا هي عاصمة مملكة القوط الشرقيين ، وأصبحت هي المنارة ، والمركز الحضاري لهم وكثرت المؤلفات التي تكلمت عن عظمة هذه المدينة أيامهم .

عاش ثيودريك حاكم القوط في قلب هذه العاصمة وأصبح بلاطه .. قبله للعلماء والفلاسفة والأدباء ، فقد رجع ليبريوس Lipirius إلى منصب الوالي البريتوري نظير إخلاصه الثابت أثناء نظر قضية لودواكر الجرمانى ، أما بؤثيوس الفيلسوف فقد كان ذا منزلة عظيمة عنده .. فقد كان عالما وفيلسوبا ولاهوتيا وشاعرا وأصبح قنصلا وهو في الثلاثين من عمره ، وأدى خدمات هامة لثيودريك (١٧) .

كان بؤثيوس متوقفا في الفنون الأربعة الصرة ، وهو الشارح الصادق لأرسطو طاليس ورفرغوريوس ، وكان من رجال اللاهوت البارزين وكان نموذجاً فريداً للعلماء والدرسلين في المصور الوسطى (١٨) .

أما عن كاسيدروس فقد كان أكثر حكمة من زميله بؤثيوس ، فاستطاع الحفاظ على مكانته دون أن يخسر الخطوة الملكية . وبعد أن

(١٧) موس : جلد المصور الوسطى ، ص ١٢٧ .
جيبون : نفسه ، ص ٣٦٥ .
(١٨) موس : نفسه .

استمتع بأيجاد الدنيا ثلاثين عاماً نعم بفترة مماثلة من الراحة في عزلة كرسها للتعب والدرس في سكويلاس Squilace (١٩) .

وقد كان كاسيدروس مادحا عظيما لثيودريك . وقد عرّض كاسيدروس سياسة سيده ثيودريك في عبارات ملتوية ، وإن كنت تتطوى في تكلف على فخامة اللفظ والحذقة ، فإنها تملو أحيانا إلى مرتبة الفصاحة الحقّة (٢٠) .

وإذا كنا بعدد الكلام عن قصر ثيودريك برأينا فلا بد أن نعدد الكتلّس المتعددة التي شيدت في هذه العاصمة إلى جانب المقابر العديدة .

وقد كانت رافنا في هذه الأونة وسيطا ينقل الثقافة إلى المعارك الجرمانية أو على الأقل بعض مظاهر المدينة والأعيان (٢١) .

وقد ظهرت في إيطاليا نهضة أدبية صغيرة ، وكانت ميلان من مراكز تلك النهضة ، وازدهرت فيها مدارس النحو واللغة تحت رعاية الأسقف لورانس فكان يؤمها المبشيان من كل أطراف غالة (٢٢) .

ومن أهم الملامح العامة لسياسة ثيودريك أنه عهد إلى التماهر مع الأسر الجرمانية ، فقام أفراد عائلته أيضا بالقصص مع ملوك الفرنجة والبرجنديين والقوط الغربيين والوندال والثورنشين ، ثم أدى إلى خلق توازن دولي قوى (٢٣) .

كما أن ثيودريك عهده إلى الاتصال ببليلد الذي اشتمت منه الأمة تفوطية أصلها ، كما أنه أعزّه صبقرية المشرع أو الفرض المتأخّرة

(١٩) جيسون : نفسه ، ص ٣٧١ .

(٢٠) موس : نفسه ، ص ١٢٦ .

(٢١) بشر : أوروبا المصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٢٢) موس : نفسه ، ص ١٢٦ .

(٢٣) جيسون ، ص ٣٦٦ .

وبينما سمح للقوط أن يستمتعوا بالحرية الفطنة ، فإنه قلد في ذلك نظم بل وصاوى الكيان السياسى الذى أقامه قسطنطين وخلفه . وقد جعل ثيودريك الحكم وراثيا وتمتع بك الامتيازات الامبراطورية^(٥٤) .

وقد عمل ثيودريك على أن يفرس في نفوس الشعب والسكانو مشاعر الحب نحوه ، فاجتذب نبلاء روما بما أغدقه عليهم من مناصب رئاسية ومناصب رسمية وتمتع أفراد الشعب دون خوف أو خطر بنعم العاصمة الثلاث وهي النظام والرخاء ، والملاهي العامة .

وقد سادت في رافنا بعضا من الصور القديمة التى كانت سائدة في روما وببزنطة مثل الألعاب العامة وفنون الموسيقى والرياضة والتعزيل للصلوات وظلت الوحوش الافريقية الحفارية تطلق في مدرجات الألعاب في مواجهة الصيادين لتدريبهم على الشجاعة^(٥٥) .

وقد اهتم ثيودريك بآثار روما وغيرها من مدن إيطاليا فقد هبنت المراسيم الملكية بحيث تمنع المواطنين أنفسهم من اساءة استعمالها أو افعالها أو نهبها وخصص للاصلاحات العادية اللازمة للاسوار والجانبى العامة مهندسا ميماريا خبيرا وحليفا سيويا قديم ولتلتل من الأرطال الذهبية ، وخمسة وعشرون البذخمة من الفرميد وطلد الجبارك من ميناء نوكرين ، ولتمتد البناية نفسها الى التمثيل المحدث أو للرخامية التى تمثل الانسان أو الحيوان ، فكان تماثلا الجوادين المعاميين عند جحش قصر الكويرينال والذلل اكسباء اسبا حديثا موضع اعجاب البرابرة ، كما أصبحت تماثيل القيلة النعلسية التى كتلت قائمة في طريق ساكرا Via Sacra^(٥٦) .

(٥٤) نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٥٥) جيسون ، ص ٢٧٢ .

(٥٦) جيسون ، ص ٢٧٤ .

وإذا كنا نتكلم عن الحياة العامة في إيطاليا على عهد ثيودريك نحن
الضروري أن نتعرض للتسامح الديني الذي ساد عصره نرغم أننا قد
ذكرنا أن ثيودريك والقوط أجمعين قد تنصروا على مذهب أريوس لا
أنهم غاطوا الرومان الانثاسيوسيين معاملة طيبة ، وظل الهدوء يسود
التنافس ، وكان رجال الدين منهم يلقون الحفاوة والتكريم في قصر
ثيودريك بقدر مقامهم وجدارتهم وكان الملك يبجل قدسية الأحياء منهم مثل
سيزاريوس أسقف آرل الأرثوذكس وبيفانيوس أسقف بافيا ، وقدم
قربانا لاثقا على قبر القديس بطرس دون أن يهتم بالاستفسار عن عقيدة
ذلك الرسول وسمح للمقربين اليه من القوط حتى أن يحتفظوا بعقيدة
الثاسيوس أو يمتنقوها ، ولم يحدث في عهده الطويل أن كاثوليكيًا إيطاليا
واحدة تحول إلى دين الفاتح طواعة أو كرها (٥٦) .

والى جانب أن ثيودريك كان حامى الكنيسة فإنه أصبح صاحب
السيادة الشرعية عليها . واكتسبت الكنيسة بعض الامتيازات .

ولكن إذا كانت هذه هي السمات التي غلبت على ثيودريك في بداية
حكمه إلا أنه في النهاية عدل عن هذه السياسة نتيجة لظروف خالجه عن
أرادته فقد قلم الامبراطور البيزنطي جستين الأول امبراطور الدولة
البيزنطية ١٨ د - ٥٢٧ م بحركة اضطهاد واسعة ضد الأريوسيين أدت
إلى تعذيبهم ومصادرة كنائسهم ، الأمر الذي جعل ثيودريك يرسل بعثة
برئاسة البابا حنا الأول سنة ٥٢٥ م إلى الامبراطور البيزنطي للتحول
عن سياسته (٥٥) .

ولكن هذه البعثة البابوية لم تحقق الغرض منها ، لذلك قرر
ثيودريك الانتقام ، وأن ينتهج نفس السياسة التي انتهجها البيزنطيون
مع الأريوسيين بالنسبة للكاثوليك ، لذلك قرر حظر معارسة العقيدة

(٥٧) جيوسون ، ص ٢٧٧ .

(٥٨) ملسور : لوريا ص ٩١ .

الكانثوليكية بعد يوم معين .. وهكذا أدى تمصب رعايا ثيودريك وتمعيب أعدائه إلى دفع أكثر الملوك تسامحا إلى الاضطهاد^(٥٩) .

ولعل هذا الاضطهاد امتد ليشمل أهم الشخصيات التي أولاها ثيودريك حبه وعنايته ومنهم بوثيوس الذي أعدمه ثيودريك أولا لأنه شعر أن ملك ثيودريك وسياسته هذه جعلت الاحرار عبيدا وثانيا لأن بوثيوس وقد ما دعا عن عضو السناتو البينوس الذي حكم عليه بناء على الض بأنه كان يأمل في أن تحصل روما على حريتها من القوط ، وثالثا لأن هناك ثلاثة شهود زور قد شهدوا أن البينوس وبوثيوس اشتركا سويا في تحرير خطاب يطالب فيه من ثيودريك أن ينفذ إيطاليا من انقوط لذلك تم سجن بوثيوس في قلعة بافيا حتى تم شقه بناء على أوامر ثيودريك^(٦٠) . ولم يلبث أن سجن البابا حنا الأول أيضا ، ولدن ببوثيوس ولقى مصره .

القوط الشرقيون بعد وفاة ثيودريك :

لا شك أن نهاية عصر ثيودريك كما أونسنا شهدت اختلافا بينا عن بدايته ، لذلك بدأ العار يلحق بالقوط وحكمهم إذ ما لبث أن تولى ثيودريك تاركا هذه المملكة وسط هذه المشاكل والصراعات الدينية التي أصابتها ، وقد تولت ابنته أمالاسونثا الوصلية على ابنها اتلاريك Atalaric البالغ عشر سنوات^(٦١) والذي تولى العرش عقب وفاة جده ، وتخفض حكم المرأة عن مشاكل ما لبثت أن عجلت بانحيار نظام ثيودريك ، فان تربيته الرومانية جعلت المقاتلين القوط يرتابون في أمرها

(٥٩) جيسون ، ص ٢٨١ .

(٦٠) نلسه ، ص ٢٨٥ - ٢٨٧ .

عصف صبره : شارلن ، ص ٢٢ .

(٦١) عصف صبره : شارلن ، ص ٢٢ .

على حين أن ميزته استخدمتها أداة العبوة في ميادينها
الإمبراطورية (١٩٧٠).

وقد حاولت 'أمالا' سوندا التفاوض مع جستنجان سرا من أجل تسليمه دفعة الحكم في أبنانيا بعد أن عجزت عن تحقيق أهدافها في الاحتفاظ بالعرش ، لذلك خرج عليها قادة القوط وتمكنوا من قتلها .

لذلك اتفق جستنيان من هذه الحادثة ذريعة للتدخل في شؤون إيطاليا ومحاولة اعاده هبة الامبراطورية البيزنطية واعادة البحر المتوسط بحيرة رومانية ، لذلك أعد جيشا امبراطوريا يحمل على قيادته خيرة جنده وهو القائد بيلزاريوس الذي كان مثالا أعلى للجندى المحترف ، فتوجه الى سفلية التي ما لبثت أن سقطت ثم توجه الى داخل إيطاليا فوجدت قواته مقاومة طويلة من القوط وظل القتال محتدما بين الجانبين البيزنطي والقوطي والرومان حتى سقطت رافنا عاصمة القوط سنة ٥٥٤ م (١٢٣) .

ولعل التفاصيل التي سترد في ثنايا الكتاب القاص بالعروب
 الفوضوية والتي نسقوم بعرض ترجمته توضح كيف يجول بنا بروكويوس
 في تفاصيل دقيقة جدا مع أحداث هذه الضلالت التي سيواجهها جستليان
 نخلصه القدر .

ولقد تمت على ترجمة الجزيين اللذين فلم يترجمتهما عن اللغة اليونانية الأستاذ هنري ديونج H. Dionys. وهذان الجزيان يصفان الكتب من الخامس إلى السابع من تاريخ الحروب القوطية فقط .

(17) موسم ۱۷۷

(٦٢) ملك مبره ، ص ٢٢ .

لذلك رأيت أن يخرج مؤلفي بنفس الصورة التي خرجت بها لترجمة الإنجليزية أي في جزئين .. الأول وهو الذي بين أيدينا .. حوى الكتاب الخامس ونصف السادس .. والجزء الثاني يحوى بقى لكتاب السادس والكتاب السابع بأكمله حتى عام ٥١٩ م من الحروب لغوطية .

ولابد لي الآن من أن أعطي ملخصا بسيطا للنقطة التي أوردتها بروكوبيوس في هذا الجزء الأول ، فقد تناول فيه قيام اودواكر الجرمانى حزل أوغسولوس وما قلم به الامبراطور البيزنطى زينون من دفع القوط الشرقيين الى ايطاليا بزعامة ثيودريك ويستلرد بروكوبيوس في وصف رحلة القوط من الأراضى البيزنطية الى ايطاليا .

ويبدأ بروكوبيوس في تصوير الصراع الدائر بين اودواكر الجرمانى وثيودريك حول مدينه رافنا ما يقرب من ثلاث سنوات انتهت بمقتل اودواكر عندما تاكد ثيودريك أنه يتأمر عليه . وبعدها تم تنصيب ثيودريك ملكا على مملكة القوط الشرقيين الا أنه رفض أن يلبس اللباس الارجرانى الامبراطورى وانما اكتفى بلقب ملك .

وقد أوجز بروكوبيوس كثيرا في كلامه عن عصر ثيودريك حتى انه بين انه حكم سبعا وثلاثين عاما وتولى سنة ٥٢٦ م وتراه بعد ذلك يذكر بعضا من أعمال ثيودريك مثل اعدائه سيمافوس وبيوسوس وذلك بسبب الوشاحات التي قلم بها الناس صدورهم عند ثيودريك ، ثم استقل الى تولية المنصب اتالاريك . حفيد ثيودريك السلطة تحت وحاية امه امالاسوننا Amalasundha ابنة ثيودريك ثم بدأ يوضح كيف علمت امالاسوننا القوط واعادت املاك بيوسوس وسيمافوس الى أصحابها الا أن القوط لم يعمدوا لها ذلك بل تأمرؤا عليها وبدلوا بتخذون من الشخصيات التي تقوم على تربية ابنا سييا لثورنهم ، فقد رفضوا أن يقوم على تربيته رجال كير في السن ، ورفضوا اهتماما

بتعليمه ، فوافقهم وعهدت الى بعض حديثي السن ان يقوموا على تربيته .. فالحمد لله ولم يصبح قادرا على تحمل مسؤولية شعبة لذلك ضمنت بنيتها وضمت عقله وما لبث ان توفي .

لذلك فكرت امالاسوننا في ان تعهد بالسلطة الى ابن اخت ثيودريك المدعو ثيوداتس Theodatus على ان يكون طيعا لها ويفتح لها المجال لان تعارض سلطاتها السياسية من خلال وجوده لأنها كانت طامعة تخشيا في العرش الا ان ثيوداتس لم يصدق ظننا فبعد تعيينه انضم الى القوط ضد امالاسوننا ، لذلك أرسلت امالاسوننا بعثة الى الامبراطور البيزنطي جستنيان تعرض عليه تسليم حكم إيطاليا .. الا ان ثيوداتس عندما علم بأخبار هذه البعثة قبض على امالاسوننا ونفاها الى جزيرة لغرينا حيث قاموا بقتلها فيما بعد .

لذلك وبعد ان علم جستنيان بهذه التفاصيل أمر على محاربة القوط واجلأهم عن إيطاليا وكل ذلك في العلم التاسع من حكمه عهد الى قائده بليزارىوس الذى كان قد انتصر على الملك جيليس ملك الوندال - فأمره بالاتجاه صوب إيطاليا . وطلب منه الا يبين له كيفية الجبهة التي سيقتصد بها وانما يظهر لهم انهم متجهون صوب قرطاجية - فالتفتهم بعد ان أخذوا طريقهم بين لهم انهم متجهون نحو صقلية .

وقد قام بليزارىوس بمراسلة الفرنج على يجد عوناً عنهم ، ونجح بجهوده وجهود جيشه في الاستيلاء على صقلية ومدنها ، وعقد اتفاقية بذلك مع ثيوداتس حتى انهم منهوا بعض الامتيازات .

بعد ذلك اتجه بليزارىوس برفاه على رولية بروكومبيوس - الى إيطاليا وقد اتجه في علمه الأول الى ابيداروس وداماشيا وهناك علم القوط كالإغراء .

نتج بعد ذلك الى نابلي التي استلمت عليه غزوه طويلة واستخدم
مها جميع الخدع الحربية حتى تمكن من اسقاطها واجباط جهود القوط
وزعيمهم ثيوداتس في مد يد العون للمحاربين في قلب نابلي .

وما ان دخل بليزاريوس نابلي حتى احسن معاملة أهلها حتى انه
عاقب كثيرا من جنوده الذين سمع انهم اساموا الى اهل البلاد . وهنا
بدأ الاتجاه ناحية روما وهي مقر البابوية في الوقت الذي فقد فيه
أهل الثقة في ثيوداتس لتناقصه عن نجدة اهل نابلي ، فبدأوا في انتظار
مصرهم المحتوم ، ولذلك قرروا خلع ثيوداتس ، وتعيين أحد القادة
القوط المدعو فيتيجيس Vitiages الذي اشتهر أثناء حروبهم في
سيرميوم . وقد أمر فيتيجيس بالقبض على ثيوداتس وتم قتله على يد
أحد رجال القوط يدعى اوبراتس Oprates في ديسمبر ٥٣٦ م .
واستمد فيتيجيس لمواجهة البيزنطيين فحاول الاتجاه نحو روما أولا
الا أنه عندما تأكد من عدم تمكنه من ذلك رأى ان يتجه صوب رافنا .

وقد حاول بروكوبيوس هنا أن يؤكد على أن فيتيجيس القسوطي
كان على عداء أيضا مع مملكة الفرنج في غالة وان عداء لهم لا يقل
عن عدائه للبيزنطيين ، وبدأ يستثير جنوده ويحثهم على القتال كما حث
الرومان ورجال الدولة وذكرهم بوليم ثيودريك وقربه في روما حامية
قسوطية لتحرصها تحت قيادة ليديريس Lediis . وقرع من ابنة
امالاسونثا « مالبسونثا » حتى يؤمن حكمه ، ويكسب لنفسه سرعة على
حكم القوط .

عندئذ انتقل بروكوبيوس من هذه الأحداث الى سرد طويل عن
تاريخ دولة الفرنج مما أدى الى قطع الأحداث . كما قدم دراسة
جغرافية لمناطق أوروبا الا أنها تقتصر الى الحقبة - كما عرض لجميع
القبائل الرومانية التي استوطنت أوروبا وعرض لملققة ثيودريك بهم ،
وكيف أنه تزواج هو وشعبه منهم ، وبدأ في تحديد العلاقة بين المدن

والقوط ، وعلاقة القوط الشرقيين بدولتي القوط الغربيين والفرننج .. تم بدا يوضح اسباب عداء فيتيجيس للفرننج - من اجل عدم الاعتداء عليهم اثناء مواجهتهم للقوات البيزنطية الا ان بليزارىوس اثناء قيام فيتيجيس بمقاومة الفرنج اتجه الى روما تاركا حامية عسكرية فى قلب نابلى .

وقد كئى لخوف أهل روما من الرومان من المصير المجهول ان قاموا بالاتصال ببليزارىوس من اجل تسليم مدينتهم اليه ، فانهارت معنويات القوط ، لذلك انسحبوا من المدينة تاركين الفرصة لبليزارىوس ليضمها الى حوزة الامبراطور جستنيان فى عام حكمه الحادى عشر سنة ٥٣٦ م .

والواضح ان بروكوبيوس هنا وهو يتمدى لاتجاه بليزارىوس الى مدن وسط ايطاليا يستطرد كثيرا فى ذكر تاريخها وسبب تسميتها والذين قاموا على بنائها فيخرج بذلك عن الأحداث الحربية الهامة . وقد نجح بليزارىوس ببناء على رواية بروكوبيوس فى فتح المنطقة المعتدة من خليج ايونىا حتى روما وبدا يشرح جميع الاقوام التى تسكن حوز روما .

وقد قام فيتيجيس بالتصدي لهذه الهجمات وعين قوادا على جيشه القوطى اهمم بيزاس واوثيلاس ، حيث تلاقوا مع جيوش الرومان الا انهم هزموا وتم اعتقالهم الى بليزارىوس ، وقد حاول فيتيجيس ان يتوجه الى سالونى لكن اهله من الرومان ممنوعهم عنها ، كما ان القوات البيزنطية هزمتهم فاضطروا الى الانسحاب عنها .

الا ان فيتيجيس لم يستسلم بل اصر على ضرورة مواجهة البيزنطيين واستعادة روما حتى ان همه هذا الصراع بين القوتين اسبب فيها بروكوبيوس اسبابا كبيرا فوصف هذا الصراع بدقة فديقة ولحظة ف لحظة .. فبدأ بوصف اسوار روما وتاريخها ومنعتها ، وغلب على رواياته الاهتمام بالتنبوءات التى لجأ اليها كل من القسوط والرومان لتحديد الجبهة المنتصرة . كما أوضح بروكوبيوس ما بينه وبليزارىوس للقوط ، بلهم باستعادتهم روما يكونون قد أعادوا حقا

مسلوبا الى اصحابه لذلك قرر فينيجيس تغيير خطته العربية التي اخلص بروكوبوس في وصفها ووصف جميع الآلات التي جهزها للقتال وموقف بليراريوس الذي سحر من كل هذه الاستعدادات حتى انه فعلا توانت انتصرايه عليهم .

وقد مرر بليراريوس أن يبلغ الامبراطور جستين بنظورات الحرب حتى يكون على هيئة من الجهد الذي يبذلونه ويعلمه بمدى النصر الذي حققوه وما لاكروه من مشاق في سبيل تحقيق ذلك .

وقد حقق القوط في هذه الآونة انتصارا بسيطا اذ تم استيلائهم على عيشاء جورفس .

لما عن البيزنطيين فقد بدأ جستينان يضم الى جانبيه كثيرا من العناصر المرتقة من الهون وغيرهم من الجرمان والايذوريين والمغارسة وبدأ بروكوبوس يستعرض كثيرا من الخطب والمقاتلات التي كانت ترد على السنة قلدة القوط والبيزنطيين .

وقد بدأ التلاحم بين البيزنطيين حول سهل نيمون في روما وهو السهل الذي استغرق القتل حوله زحفا طويلا ، وعند هذه الأحداث يبدأ بروكوبوس كتابه السادس .

وسى - - - دونه وحيد جيس صبحم من بيرصة معمه من
الايروبيين . وقد أوقع بنيرايوس هجوما مفاجئا على القوط بعد دمع
القوطى الى الرحيل عن روم . نتيجة عجزهم ورغبتهم فى التفاوض . وبدأ
الغروب بشرحان جهة نخرهما فى قضية امتلاك القوط لايطليا . كما
سبق أو أوضحت .

وقد تقرر اتفاق بين الطرفين الا أن بليزاريوس لم يرغب فى تنفيذ
الا بعد عرضه على الامبراطور جستينيان لأنه لم يكن له حق التصرف
بالقرار الا بعد الرجوع الى الامبراطور . . ومن ناحية المفاوضين فقد
ولغوا مبدئيا على الهدنة وقدم كل منهما رعتن للآخر منتظرين وصول
الرد الامبراطورى . . الا أن البيزنطيين تقصوا للهدنة وهدلوا يشرعون
للقوط .

وقد حدث نزاع فى هذه الأثناء بين بليزاريوس وخالده
قسطنطينس لفلان بروكوبيس كسيرا غير شرعه . ثم دخل الى

موضوعات جانبية عديدة حدثت لشخصيات علمية من القوط والرومان
ووضح في سرده المدح والثناء الداعمين على سيده بليزاريوس .

وقد أوضح بروكوبيوس بعد ذلك أن القوط عندما تعرضوا لأذى
البيزنطيين ونقضهم للمدنة بدأوا يجددون الاغارة على روما الا أن
المحاولات ذهبت هباء .

تلك تحرك الرومان ناحية المدن المحيطة براغنا مثل ارمنيوم ..
وقتشوا أعدادا كبيرة من القوط ، فتحرك القوط الى هذه المدينة وبدأ في
تقديم رصف مسهب لجميع المدن والقلاع التي يجتازها الجيشان الروماني
والقوطي في منطقة بيسنوم اي المناطق المحيطة براغنا ، ويشرح شطط
الرومان التي أعجزت القوط .

وبعدها بدأت اشتباكات بين القوط والرومان عند باغيا في هذه
الآونة اضطر فيتيجبس مرغما أن يتصل بالملك ثيوديرت ملك الفرنجة
ليرسل اليهم النجدة لذلك بعث اليهم بعشرة آلاف مقاتل ، لم يكونوا
من الفرنج وانما من البرجنديين حتى لا يظهر انه يعادى الامبراطور
البيزنطي واتجهوا مع القوط الى ميلانو . وفي هذه الآونة أرسل
الامبراطور جستنيان القائد نارسيس « الذي سيلمع نجمه فيما بعد »
ومعه آلاف الجنود البيزنطيين ومعهم المرتقة من شعب الايرولى
« الهيرولي » .

وهنا انتقل بروكوبيوس من شرح سبب قدوم نارسيس الى :
التعريف بقبائل الايروليين وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم وهجراتهم
وبداية اتصالهم بالامبراطورية البيزنطية .. فنجد كثيرا من التلميحات
التي بمدت عن مسار الأحداث .

وانهى بروكوبيوس هذا الجزء بكلامه عن شعب الايرولى .. اما
عن معير الحروب القوطية ونهايتها لهذا كما سيكون موضوع الجزء .

الثاني من كتب الحروب القوطية الذي سبى هذا الجزء، بلحن الله تعالى .

وأخيراً أتمنى من الله عز وجل أن يكون قد أعدت المكتبة العربية في حفل تاريخ العمور الوسطى بمصدر هام من مصادر هذه الفترة يضيف إلى رصيدها كنزاً من الكنوز الثرية وذلك لفتح أعلام الدارسين العرب المجال في وجود مادة خصبة يستفيدون منها في أبحاثهم في تاريخ العمور الوسطى ولا ننسى في هذه العجالة أن نقدم الشكر للعالم الأستاذ هنري ديونج H. Dewing الذي سهل أعلامنا هذا العمل حينما قام بنقل هذا التراث العلمي الفخم من اليونانية القديمة إلى الإنجليزية.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى خدمة العلم وأن يهدينا سواء السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير .

بسم الله الرحمن الرحيم

« وما كان قولهم إلا أن قاتلوا ربنا أفغر لنا ذنوبنا وأسرانا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

صدق الله المتين

(آل عمران ١٤٧)

مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ

بروكوبيوس القيصري
تاريخ الحروب : الكتاب الخامس
الحروب القوطية

(١)

هكذا كان معبر الرومان في ليبيا^(١) ، وسوف أواميل الآن
الحديث عن الحرب القوطية بداية بما حل بالقوط والايثاليين قبل هذه
الحرب .

حوليات من ٤٧٤ م - ٤٩١ م . خلال عهد زينون^(٢)
في بيزنطة كان أوغسطس Augustus يتولى السلطة في الغرب .
وتعود الرومان على إطلاق صيغة التصغير عليه باسم أوغستولوس
Augustolos ذلك لأنه تولى سلطة الإمبراطورية وهو لا يزال صبياً ،
حيث أن والده أوربستس Orastes كان يعتبره وصياً على العرش
وحدث قبل وقت وجيز أن هت الرومان الكيرى والآلاني ودول قوطية
أخرى ، على تشكيل حلف معهم . ومنذ ذلك الحين كان قدرهم أن يمانوا
من هذه الإغصاء التي تم سردها في القصة السابقة على يد الأريك

(١) يقصد بذلك الحروب ضد الوندال في شمال أفريقيا والتي خلفها
الفقد بلناريوس « المترجمة » .

(٢) تولى الإمبراطور زينون العرش البيزنطي من ٤٧٤ - ٤٩١ م .
(المترجمة)

وتيسلا^(٢) . ويقدر ما أصبح المنصر البربري هويًا بينهم فقامت
 هيئة الجنود الرومان ، وتحت اسم التحالف ذي الصورة الحصنة
 انضبطوا أكثر فانتزروا بواسطة الدخلاء كان يغرض البرابرة اجراءات أخرى
 كثيرة على الرومان ضد ارادتهم - ٣١ يوليو ٧٤٥ م - . وفي نهاية
 الأمر طالبوهم بأن يتنازلوا عنهم أرض إيطاليا بأكملها . وبالفعل
 أمروا أوريستس باعطيهم الجزء الثالث من هذه الأرض - وحين أبى
 الموافقة على هذا الفعل ، بادروا بقتله - ٢٨ يوليو ٤٧٦ م - وكان
 يتواجد رجل بين الرومان يدعى أودواكر Odacer^(٣) . وهو أحد
 حراس الامبراطور ، ووافق في ذلك الوقت على تنفيذ الأمر بشرط
 أن يتبوأ العرش . وحين تولي السلطة العليا على هذا المنوال - ٢٣
 يوليو ٤٧٦ م - لم يصب الامبراطور أذى ، وسمح له بالعيش فيما بعد
 كمواطن خاص وبفضل تسليم الجزء الثالث من الأرض الى البرابرة
 واكتسبه ولاهم على هذا المنوال وبطريقة أكثر ثباتًا تولي السلطة العليا
 بطريقة راسخة لمدة عشر سنوات .

وفي ذلك الوقت على وجه التقريب قام القوط أيضا - الذين كانوا
 يقطنون في تراقيا بموافقة من الامبراطور - بشوكة صلحة على الرومان
 بزعمه ثيودريك Theoderic^(٤) ، وهو رجل من طبقة النبلاء نال المنصب

(٢) الريك هو ملك القوط الغربيين وقد قام بغزو مقدونيا وتسللها
 واقتحم اثينا ، ونهب كنائسها والعسكارية ثم وصل الى روما التي نهبت
 على يد القوط ونولى الريك سنة ٤١٠ م ، أما تيسلا فقد كان زميلا للهن الذين
 غلبوا الشرق ولوربا ونهبوا منهم ، ولكنه هزم على يد قوات الحلفاء عند
 شغورن ٤٥١ م ، عن ذلك انظر :
 (المرجعة)

Vasiliev A- History of the Byzantine empire.

سميد مكنور : لوريا في المنصور الوسطى ، ج ١ .

Cambr. Med. Hist. V L I :

(٣) قام ثيودريك بعزيمة أودواكر في رافنا سنة ٤٨٦ وعاصره ٤٩٢ م
 وقتل في نفس العام - وقد حكم ثيودريك ما يقرب من ثلاثين مليا . (المرجعة)

القنصل في بيزنطة • ولكن الامبراطور زينون الذي كان يعرف كيف يسوى أية حالة لمنفعته الشخصية ، نصح ثيودريك بالفرار الى ايطاليا ومهاجمة أودواكر حتى يتيسر له وللقوط السيادة على المنطقة انريقية ذلك لأنه كان أفضل له — كما قل — اخراج المنتصب عنوة ، وأن يكون الحاكم على جميع الرومان والايطاليين بدلا من تعريض نفسه لخطر صراع حاسم مع الامبراطور • سيما وأنه كان قد نال المنصب السناتوري الرفيع •

وانتحن ثيودريك هذا الاقتراح وذهب الى ايطاليا واعتقبه الجيش القوطي • ووضعوا النسيء والاملاك والأمتعة الشخصية في عربات الشحن بقدر ما تيسر لهم • وعندما اقتربوا من خليج أيونيا تعذر عليهم مجوره حيث لم يكن لديهم سبل لهذا الغرض • وعليه قاموا بالرحلة حول الخليج متقدمين من خلال أرض التولانتى^(١) والبلاد الأخرى في هذه المنطقة وقبلتهم قوات أودواكر — ٤٠ م — في هذا المكان ، ولكن بعد أن هزموا في معارك كثيرة ، انحصروا مع زعيمهم في رافينا ومدن أخرى كانت تتميز بالقوة • وضرب القوط الحصار على هذه الأماكن وأسروا الجميع بطريقة أو بأخرى ، وتصادف هذا في كل الحالات باستثناء أنه تعذر عليهم الاستيلاء على قلعة كلبينا *Castellum* التي تبعد عن رافينا بثلاثمائة وحدة انريقية من وحدات الطول — وذلك نهما بالاستسلام أو بهجوم خاطف على رافينا ذاتها حيث تصادف وجود أودواكر • ذلك لأن مدينة رافينا تقع على سبل متبسط في طرف الخليج الأيوني التي تقل مسافتها عن وتعدتين انريقيتين من وحدات الطول ، لتقل على البحر وتقع على طريق يصبب الاقتراب منه سواء بالنسي أو بجيش من المشاة ولا تستطيع للسفن الرسو على الشاطئ ، لأن البحر ذاته يعمل دون ذلك وعلى كل فان الشاطئ في رافينا — رغم

(١) التولانتى إحدى القبائل الجرمانية التي غزت ايطاليا • (الترجمة)

فنه ليس بعيد في نظر البحارة - الا انه حقيقة بعيد جدا بسبب المساء الضل ، ولذلك يصعب على جيش من المشاة الاقتراب منه . كما أن نهر البسو المسمى أيضا الأيريدانوس الذي ينساب عبر رافينا قادما من حدود الكليتيكا وأنهارا أخرى مالمحة للملاحة مع بعض المستنقعات تحيطها من جميع الجوانب ، ومن ثم فإن المدينة مطوقة بالماء . ويحدث شيء مدهش في هذا المكان يوميا . ففي الصباح الباكر يشكل البحر نهرا يدنو من الأرض لمسافة رحلة يوم واحد نسبة للمسافر الغير متقل بالأمتعة ويمير صالحا للملاحة في وسط الجزء الرئيسي ثم يعود في ساعات ما بعد الظهر المتأخرة ويتسبب في زوال الخليج الصغير . لذلك يضع جميع الناس الذين ينشئ عليهم نقل أعداداتهم داخل المدينة أو نقلها من هذا المكان للتجارة أو لأي سبب آخر شحناتهم في قوارب ويسحبونها إلى المكان الذي يتشكل فيه الخليج الصغير بحفة منتظمة حيث ينتظرون تدفق الماء إلى الداخل . وعندما يحدث ذلك ترفع القوارب بالتدريج من الأرض وتطفو والبحارة عليها ليبدأوا العمل وحينئذ يرتادون البحار . وهذا المكان ليس المكان الوحيد الذي يحدث فيه مثل هذه الظاهرة وإنما يحدث ذلك بانتظام على طول الساحل بأسره في هذه المنطقة وحتى مدينة ~~أكروبوليس~~ ^{أكروبوليس} . وهذه الظاهرة لا تحدث بانتظام بنفس الطريقة ، ولكن عندما يكون شواء القمر بأهتا فذلك حركة مد ، وأبداء من أول نصف القمر إلى ثلثيه يكون هناك حركة جزر .

وحينما فنى القوط وثيودريك السنة الثالثة في حصارهم لرايينا اتفق القوط الذين أرحمهم الحصار ، وكذا أتباع أودواكر الذين أصموا

أحياه نتيجة نقص الامدادات ، فيما بينهم من خلال وسلطة أسقف رافينا على أن يفيم كل من تيودريك وأودواكر من رافينا على خدم المساواة . وقد راعوا الاتفاق لبعض الوقت . ولكن عندما ضبط تيودريك أودواكر بعد ذلك كما قالوا - وهو يتآمر ضده يدعوه الى هاذبة بغرض الغدر به وقتله ، وبعد أن اكتسب تبعية البرابرة الأعداء الذين نصادف بقاؤهم عام بنفسه بضمن السيادة على كل من الغوط والايطاليين .

ورغم أنه لم يطالب بحقه في اللباس الامبراطوري أو التسمي باسم امبراطور الرومان فإنه أطلق عليه اسم « ملك » حتى نهاية حياته (ذلك لأن البرابرة تعودوا على تسمية زعمائهم على هذا المنوال) . غير أنه بمصرسة حكمه على رعاياه أنفسهم . فقد أنشئ لنفسه جميع الصفات التي ترجع الى امبراطور اصيل المولد . وكان شديد العناية بمراعاة العدالة وقد حافظ على القوانين على أساس من الضمان المأمون . وعام بنزود عن الأرض وأمنها ضد البرابرة الذين كانوا يقطنون حولهم ، وقد بنى أكبر درجة ممكنة من الصكمة والرجولة . ولم يرتكب هو بذاته الا نادرا - أى فعل يتطوى على الظلم ضد أتباعه . ولم يتحمل قط مثل هذا السلوك من جانب أى شخص آخر عدا ما فعله الغوط عندما 'اقتسموا' فيما بينهم نصيب الأرض التي كان أودواكر قد أعطاهم لاتباعه . ورغم أن تيودريك كان بالتسمية متصبيا ، إلا أنه كان امبراطورا أسوة بأى شخص آخر نبغ في هذا المنصب منذ البداية^(٧) .

وأصبح الحب الذى يكته له كل من الغوط والايطاليين كثيرا وذلك على التفتيش مما كان مألوما ، ذلك لأن التفتيش بين الرجلين في أية دولة من الدول يرجع الى أهميتهم لها الأمر الذى يدل على أن الحكم العظم

(٧) أصبحت معظم المصادر الأوروبية على أن تيودريك دخل التبراطورية الرومانية حقيقا لا عدوا ، وأن ايطاليينهم في مهده بمجربة قوية حربية سارت وفق الأساليب والنظم الرومانية . (الترجمة) . انظر

فى فى الوقت الراهن من يجدون فى أفعاله مصالح متبادلة ،
 ته يسى ، الى الذين يكون تقديرهم متناقضا مع الحاكم . غير أن
 دريك ختم لمدة ٣٧ سنة ، وعندما توفي - ٥٢٦ م - لم يكن قد جعل
 نفسه اربابيا بالنسبة لجميع أعدائه ولكنه أيضا ترك ضمن أتباعه
 ساسا عميقا بفقدان عزيز ، وقد توفي على الشكل التالى .

كان سيماكوس Symmachus وصهره بيوسوس Boetius
 بال من أصل رفيع وقديم ، وكان كلاهما من رجال الزعامة فى مجلس
 سيوخ وتوليا منصب القنصلية . ولكن نظرا لأنهما مارسا الفلسفة ،
 ثانا يهتمان بالعدالة بأسلوب ينفرد على أى رجال آخرين ، ويقسموان
 لتخفيف من عوز كل المواطنين والأغراب بمنحهم عطايا سخية من
 نقود ، لذلك فقد نالا الشهرة . الأمر الذى أدى الى أن رجال وغيرهم
 أصل حسدوهما . ومثل هؤلاء الأشخاص افترقوا عليهما أمام ثيودريك
 حيث انه تأكد :أكدوا راسخا من هذه الافتراءات ، فقد أعدمهما على أساس
 هما كلنا يمدان المدة لشن حركة من التمرد^(١) . كما أنه صادر أملاكهما
 صالح الخزائن العامة . وبعد مضي بضعة أيام قام الخدم بوضع رأس
 حكة كبيرة أمامه بينما كان يتناول النداء وقد خيل هذا لثيودريك بمثابة
 أس سيماكوس المذبوحة حديثا ، وبدأ هذا فى صورة حقيقية بأسنان
 لسكة الموضوع فى شفتها السفلى وعينيهما الموجهتين صوبه بحماسة
 تجمعة ومواجهة فقد كانت شبيهة الى حد كبير بشخص يهدده . وقد ظهر

(١) يرجع المؤرخون سبب اعدام بيوسوس الى الاضطهادات الدينية
 التى مارسها الإمبراطور البيزنطى جستين الأول ضد الأريوسيين وقبائلهم
 بونديك بحركة المصلح واسعة ضد الكنيسة الكاثوليكية فى إيطاليا ،
 لم ينتج من هذه الموجة الفيلسوف بيوسوس الذى أعدم بلاشب سنة ٥٢٥ م
 انظر د. سيد مكنون : توريا المصور الوسطى .
 (الترجمة)

انفزع عليه الى حد كبير أمام هذه الأعجوبة ، وارتجف خوفاً ، ثم
 انسحب الى غرفته الخاصة وأمرهم بوضع أغلبية كثيرة عليه حتى بات
 هدثاً ، ولكنه باح بعد ذلك لـ *Elpidus* أنيبديوس بذلك ما حدث
 وبكى على الأثم الذي ارتكبه في حق سيماكوس وبيؤسيوس . وبعد
 أن تدم وتأنم الى أبعد حد توغى بعد فترة ليست بطويلة بعد ذلك .
 وكان هذا أول وآخر فعل ارتكبه مع اتباعه جوراً ويرجع السبب في
 ذلك الى أنه لم يكن قد أجرى تحقيقاً دقيقاً كما اعتاد قبل إصدار حكمه
 على الرجنين .

(٢) *أمالاسونثا*

وبعد ولادته تولى *أتلاريك* *Atalaric* ابن بنت ثيودريك - الملكة
 وكان قد بلغ الثامنة من عمره - ٥٢٦ م - وتم تربيته تحت رعاية والدته
أمالاسونثا *Amalasuntha* ذلك لأن أباه سبق له أن رحل مع الرجال
 بعد أن تولى الإمبراطور جستنيان السلطة الإمبراطورية في بيزنطة -
 ٥٢٧ م - بفترة وجيزة . والآن تقوم *أمالاسونثا* بوصفها وصية على ابنها
 بإدارة الحكم واثبتت أنها موهوبة بصفات الحكمة والجريئة على العدالة
 الى أعلى درجة حيث أبرزت صفات الطابع الرجولي التي جعلت كبير .

وطوال توليها رئاسة الحكم ، لم تفرض عقاباً على روماني واحد في
 أي حالة من الحالات سواء بالمجلس بشخصه أو بفرض غرامة عليه ،
 وبفضل ذلك فلم تستلم للقوط في رغبتهم الممقاة لكي تسيء اليهم ،
 ولكنها أعادت إلى أبناء سيماكوس وبيؤسيوس أملاك والديهما . وأرادت
امالاسونثا أن تجعل ابنها شبيهاً بالأمراء الرومان في أسلوبه حياته .
 ولذلك أجبرته على الذهاب الى مدرّس متخصص في الآداب والخطرات
 ثلاثة من رجال القوط الشيوخ الذين كللت تنق ليهم لتبزيهم بصفات
 الحرص على الآخرين والدمقراطية وأمرتهم بالعيش مع *أتلاريك* .

ولكن القوط لم يرموا بهذا بأى حال من الأحوال لأنه بسبب
 نحيبهم فى الاساءة الى رعاياهم . أرادوا أن يحكمهم اثالايوت بقدر أكبر
 من الأسلوب البربرى . وقد حدث أن ضبطت الأم الصبى يرتكب اثما فى
 غرقلته ولذلك قامت بمعاملته لمذهب وهو يبكى الى غرف الرجال . وثار
 على هذا الموقف بعض رجل القوط الذين قابلوه ، وبعد أن لعنوا
 امالاسونتا أمروا على أنها أرادت أن تخرج الصبى من هذا العالم بأسرع
 ما يمكن «تقتله» حتى تتمكن من الزواج من زوج ثان ومعه تفرس حكمها على
 القوط والايطاليين . وتجمع جميع الرجال البارزين وتقدموا أمام
 امالاسونتا واتهموها بأن ملكهم لم يذل التربية الصحيحة — من وجهة
 نظرهم — ولم تكن هذه التربية حتى فى صالحه . وقالوا ان الآداب
 بعيدة كل البعد عن الرجولة وتربية افرجال المتقدمين فى العمر لا تؤدى
 غالبا الا الى روح جبانة وراضخة . اذك ينبنى على الرجل الذى يبرز
 صفات النجاة فى أى عمل وتكون سمته طيبة ، الا يكون خجولا كما
 يوحى به المدرسون . وأن ينال تدريبه على الأسلحة وأضافوا أن ثيودريك
 لم يسمح قط لأى واحد من القوط بإرسال أولاده الى المدرسة ذلك لأنه
 اعتاد أن يقول لهم انه اذا ما اقتبلهم خوف السوط فانهم سوف لا يجدون
 العزم أبدا بل سيجدون دائما احتقار السيف أو الرمح وطالبوها بأن
 تفكر فى أن والدها ثيودريك كان سيد اقليمه بأكمله بكل مبادئه وكان قد
 منح نفسه مملكة لم تكن حقا له ، مع أنه لم يسمح شيئا عن الآداب .
 « لذلك ياملكة » هل تشتغلين ببعض الرجال لاثالايوت يكونون من نفس
 سنه حتى يكونوا رفقاء ويقضون معه فترة شبابه وهكذا يسلطون له القوة
 الدافعة المتمشية مع عادات البرابرة .

وعندما سمعت امالاسونتا هذا — ولو انها لم تخلق على هذا
 الكلام بالاضافة الى خوفها من مؤامرة هؤلاء الرجال — فظلمت
 باستحسن كلامهم ، لذلك استجلبت لأى طلب تقدم به البرابرة اليها .
 وحينما ترك الرجال المسوق لاثالايوت ليقتله له فرصة الإختلاط ببعض

الصبية الذين كان ينبغي عليهم أن يشاركوه حياته اليومية ، وهؤلاء الصبية لم يبلغوا مبلغ الرجولة ولكثهم كانوا متقدمين عليه قليلا في العمر وبمجرد أن بلغ الحلم قام هؤلاء الصبيان بأغرائه بالسكر ومضاجعة النساء ومن ثم أفسدوا أخلاقه وانتابته غياوة لدرجة انه عزم عن اتباع نصائح امه .

ونتيجة لذلك فقد رفض مطلقا أن يدافع عن دعاواها رغم أن البرابرة تحالفوا علنا ضدها وأمرؤا المرأة بكل جرأة أن تتسحب من القصر ولكن لم تبد آمالاسونثا أى خوف ولم تخش مؤامرة القوط ، كما أنها لم تستسلم لهم ولم تنزل تظهر الهيبة الثلاثة بها كملكة . فاختارت ثلاثة من الرجال من ذوى المكانة العليا من البرابرة وفي الوقت ذاته كانوا من المشاركين في حركة العصيان ضدها . وأمرتهم بالذهاب الى حدود إيطاليا فرادى كل منهم بعيد قدر الامكان عن الآخر ، وبدأ الأمر جليا أن إيفاد هؤلاء الرجال كان هدفة حراسة الأرض ضد مهاجمة العدو . غير أن هؤلاء الرجال بمساعدة أصدقائهم وأقربائهم الذين لازلوا يتصلون بهم واصلوا رحلة طويلة لهذا الغرض ، واستعروا في اعداد تفاصيل مؤامرتهم ضد آمالاسونثا .

وحيث أن المرأة لم تستطع بعد تحمل مثل هذه الأمور ، فقد اتبعت الخطوة التالية ، بحث الى بيژنطة تستفسر عن الامبراطور جستنيان عما اذا كان يريد أن تأتي آمالاسونثا ابنة ثيودريك اليه ، ذلك لأنه كان في نيته مقادرة إيطاليا بأسرع ما يمكن . وحيث أن الامبراطور راق له هذا العرش لذلك طلب منها القدوم ، وبعث بأوامره كي تعد أروع البيوت في أبيدامنوس Epidamnus .^(٩) حتى تتمكن آمالاسونثا عند قدومها

Dynachium

(٩) ابيدامنوس مدينة وميناء معروف باسم دينلخوم وهو الاسم القديم واسمها الآن دورازو . ويح هذا الميناء على البحر الادرياتي . (المرجعة) انظر : Cam - Med. Hist. vol. IV. p. 1088.

الاقامة والراحة فيها كيفما تشاء الى أن تتوجه بعد ذلك الى بيزنطة .
 دما علمت هذا امالاسونتا وقع اختيارها على بعض الرجال النشيطين
 القوط المكرسين لخدمتها على وجه الخصوص ، وارسلتهم لكي يقتلوا
 رثة السابق ذكرهم اذ انهم كانوا مسؤولين في المقام الأول عن
 سلب خدوها . وقامت هي بذاتها بوضع جميع ممتلكاتها بما في ذلك
 معالها « سنتيناريا »^(١٠) من الذهب في سفينة واحدة وبعثت بعضها
 هؤلاء الرجال الذين يخلصون لها ليعمدوا الى السفينة . وأمرتهم
 بحمل الى ابديمانوس Epidamnus وعند وصولهم هناك التقوا
 لسيهم في مينائها . ولكن دون أن يفرغوا أية شحنة من السفينة لحين
 مها بصدار أوامر أخرى وقد تصرفت على هذا النحو لكي تتمكن من
 قاء هناك واستدعاء السفينة حالة علمها بأن ثلاثة من الرجال تم
 داهمهم دون أن تخشى شيك من قبل أعدائها . ولكن اذا ما نعى الى
 بها أن أحد الرجال بقي على قيد الحياة ففي هذه الحالة يتحتم عليها
 بحار دون إبطاء لاييجاد الأمان لنفسها وللممتلكات في أرض
 امبراطور . وكان هذا هو غرض امالاسونتا حين قررت ارسال السفينة
 ن ابديمانوس ، وعندما وصلت السفينة الى ميناء هذه المدينة فقد
 ذ هؤلاء الذين كانوا يحملون النقود أوامرها . ولكن بعد فترة وجيزة
 عندما تم تنفيذ الانقيالات ولمقا لاولعتها ، فلبست امالاسونتا بلبسة
 سفينة للعودة وبما أنها بقيت هن وافينا فقد عززت حكمها وأمنت بالقدر
 طاروب .

(٣)

كان من بين القوط أحد الأشخاص يدعى ثيوادانتوس Theodatus
 ن امالامريدا Amaletride شقيقة ثيوادريك ، وكان رجلا ناشجا
 سليما في الأدب اللاتيني وتعاليم افلاطون Plato ولكن دون أية

^(١٠) البستريا : إحدى الممالك القديمة الممتدة في الامبراطورية
 رومانية .

خبرة في الحرب ولم يشترك في الحياة النشيطة ولو أنه كان مؤمرا بصفة غير عادية بالسمي وراء المال . وكان ثيوداتوس هذا قد حصل على أغلب الأراضي في توسكانيا Tuscany (١١) وكان منشوقا لاختصاص ما تبقى منها من أصحابها مستعملا الأساليب العنيفة . وما حدث لثيوداتوس لأن نوعا من سوء الحظ . فقد كانت امالا سوحنا لأن تبذل جهدها لكي تكبح جماح هذه الرغبة ، وبالتالي كان في حالة من الانسواء منها . لذلك وضع الخطة لكي يسلم توسكانيا الى الامبراطور جستينيان حتى يتسنى له قضاء بقية حياته في بيزنطة عندما يتسلم منه مبلغا كبيرا من المال والمنصب السيناتوري الرفيع .

وبعد أن قام ثيوداتس بوضع خطته . تقدم ميموثان من بيزنطة الى أسقف روما الرئيسي وهما هيباستيوس Hypastius أسقف الفسوس (١٢) وديميتريوس Demetrius من فيليبس في مقدونيا وذلك بغية التناور بشأن مبدأ عقيدة جوهرية وهو موضوع خلاف وجدال بين المسيحيين بالنسبة لنقط الخلاف « ولو اني علم بها » ، الا اني سوف لا اذكرها بأي حال من الأحوال ذلك لأنني اعتبرها نوعا من الضباوة في تقصى طبيعة الرب ونوعيته ، واعتقد أن الانسان لا يستطيع ادراك التسون الانسانية بدقة ، وبقدر أقل كثيرا بالنسبة للأمور التي تتعلق بطبيعة الرب . أما بالنسبة لي فاني سوف ألترم الصمت حذرا فيما يختص

(١١) توسكانيا : أوتوسكاني Tuscany مدينة ايطالية تقع وسط ايطاليا . (المترجمة) انظر : Setton A. History of the Crusades vol I.

(١٢) الفسوس : مدينة قديمة في آسيا الصغرى — كتبت مركزا رسوليا بسجيا حاليا في العمور الوسطى — حلت عليها القسطنطينية في هذا المركز الديني وسيطرت على جميع المناطق التابعة لفسوس . وهي الآن منقطة مجورة . (المترجمة) انظر : Cam-Med. Hist. vol IV. p. 18.

ويطلق عليها بالقرت المحوى انها مدينة اجل الكيف .

مثل هذه الأمور إذ أن الغرض الوحيد هو أن المعتقدات القديمة الموروثة
 ؟ يمكن فقدان الثقة فيها .. ومن جهتي سوف لا أقول شيئا بشأن
 لرب باستثناء أنه طيب وله السلطة على جميع الأشياء وله السلطة العليا
 في هذا العالم . ونترك كل واحد يقول ما في ذهنه وما يعلم بشأن هذه
 الأمور سواء أكان كاهنا أم علمانيا أما بالنسبة لثيوداتس فغسده قابل
 ندين لمعمنين سرا وأمرهما بإبلاغ الامبراطور جستنيان ما كان قد خطفه
 سرهما ما سبق لي أن بينته *

ولكن عندئذ أصيب أثالاريك - الذي كان قد انغمس في مروح
 صاحب - بعرض منهك ولهذا السبب أصبحت آمالا سونثا في حالة من
 الارتباك الكبير وذلك لأنها كانت لا تتفق في ولاء ابنها من ناحية في الوقت
 الذي تمدى فساد الحدود اللاتقة ، ومن ناحية أخرى فكرت أنه في
 حالة إبعاد أثالاريك ضمن الرجال المبعدين فسوف تتعرض حياتها للخطر
 نيماء بعد ، إذ أنه أساء إلى أبرز الرجال القوط ولهذا السبب اتجهت
 غبتها إلى تسليم سلطة القوط والايطاليين إلى الامبراطور جستنيان
 حتى تستطيع هي بذاتها الوصول إلى بر الأمان وحدث أن أتى إلى رافينا
 Ravenna الكسندر Alexander وهو رجل من مجلس الشيوخ ومعه
 ديمتريوس وهيبوليتيوس *

وعندما علم الامبراطور أن سفينة آمالا سونثا رست في ميناء
 ألبانوس وأنها نفسها لازالت تمكث فيها بالرغم من انقضاء فترة طويلة
 من الزمن إلا أنه كان قد أوعد الكسندر بالتقصي عن الأحوال وإبلاغه عن
 الموقف بأكمله بالنسبة لآمالا سونثا . ومن المعلوم أن الامبراطور كان
 قد أوعد الكسندر كمبعوث لأنه انزعج إلى حد كبير بسبب الأحداث في
 ليبيوم^(١٣) Dybbom وقد شرحتها في قصتي السابقة وبالاعانة
 إلى أن عشرة من الهون^(١٤) Huns من الجيش في ليبييا كانوا قد هربوا

وبلغوا كابانيا Campania^(١١) واستقبلهم أوريليوس as
الذي كان يحرس نابولي Naples بموافقة أمالاسوننة
وأيضا لأن القوط بشنهم الحرب ضد الجيبدأ Gepedes
.. جرميوم Sirmium^(١٢) كانوا قد عاملوا مدينة جراتينا stione
الواقعة في طرف ايليريا Illyricum كمدينة معادية . وهكذا عن ط
الاحتجاج من أمالاسوننا لهذه الأمور قام بتحرير ضلله وأوا
الكندر .

وعندما وصل الكندر الى روما ترك هناك الأساقفة نيشـ
بالمأمور التي أتوا من أجلها ، على حين قام هو نفسه برحلة الى را
وتقدم الى أمالاسوننا ونال رسالة الامبراطور سرا وسلم لها الخ
علانية وفيما يلي مضمون الكتاب :

« استوليت على قلعة ليليوم Lilypeum بالقوة وهي قا
واستقبلت البرابرة والعبيد الذين ولوا هاربين ولم تقرر بعد اعاد
.. جرميوم Sirmium ..

(١١) تقع كابانيا في منطقة الجنوب الإيطالي على البحر الأيوني
Cargliano. والبري الأدنى وجن خليج ذي بوليكتور في اله
وتصل مقاطعة ايلينو وبنفنتو وكاستروفا ونجلي وسيلانو . (المرجع
Enciclopedia Britannica, vol. ١١

(١٢) تقع سريميوم بالقرب من: بلغراد الحالية . وكانت تحكم
الطريق الروماني القديم من الغرب الى الشرق . لها شعب الجيبدأ وه
شعوب الجرمان الشرقيين فقد سيطروا على هنغاريا ورومانيا ، ونشأ
مع القوط الشرقيين على املاك سريميوم . وكان الجيبدأ قد ترموا .
قبل القوط الرومانيين والسويط واليهود غتلوا بالقول هزيمة سا
على نهر نيداو ٥٢ م وطردهم الى منقول روسيا . (المرجع
عن ذلك انظر : موسى : ميلاد المصور الوسطى ، ترجمة عبد ال

لى ، بالإضافة الى كل ذلك عاملت مدينة جراتسيانا *Graetana* ^(١٦) بسلوك تجاوز حدود الأدب رغم انها ليست كذلك بأى حال من الأحوال . ولهذا السبب حل الوقت لك لى تنظري الى ما سنؤدى اليه هذه الأشياء فى النهاية وفى يوم من الأيام ، وعندما سلم هذا الخطاب لها واطلعت عليه ردت على الرسالة بالكلمات التالية :

« يستطيع أحد أن يتوقع من امبراطور عظيم يطالب بالتفسيه أن يقوم بمعاونة طفل يتيم لا يفقه شيئاً على الاطلاق من الذى حدث بدلاً من التشاجر معه بلا سبب ذلك فان لم تكن الحرب متكافئة . فان الانتصار لو تم لا يؤدى الى الفخر . وانكم لا تهددون أتالاريك بسبب ليميبيوم وعشرة هاربين أو بسبب خطأ ارتكبه جنود ضد أعدائهم الذين أسروا فى مدينة قائمة على علاقة صداقة من خلال سوء فهم . لا نفس هذا أيها الامبراطور ، ولكن تذكر أنك عندهما حاربت الوندال *Vandals* لم تعزف عن اعاقه هذه الحرب ولكننا منحنا لكم المرور الحر ضد العدو وأمددناكم بسوق لشراء الامدادات اللازمة وقمنا بامدادكم على الأخص بالعديد من الجياد وبفضل هذا تمت السيطرة النهائية على العدو وقمنا عن ذلك فليس الانسان الذى يقدم حلف أسلحة لجيرانه هو الذى يطلق عليه حليفهم وصديقهم ، ونحن هو أيضا الانسان الذى يقوم بالفعل بمعاونة الآخر فى الحرب . ولرجوا أن تنظروا الى أنه فى هذا الوقت لم يكن ناسطون مكلن آخر فى البحر سوى صقلية *Sicily* وأنه دون الامدادات المستراة هناك لا يستطيع مواصلة السير الى ليبيا . لذلك فلكم مدينون لنا فى المقلم الأول بالتصاركم ذلك لأن من يقوم بتقديم الطل فى المواقف الصعبة يحق الاحتراف بفضل له لظلم الفنتاج التى

(١٦) جراتينا مدينة تقع فى طرف القبريا وهى التى كانت تشمل شبه جزيرة القلان ما مدا افريقيا . (المترجمة) . انتظر :
موس : مهلاء القصود الوسطى . ترجمة عبد العزيز جلود ، ص ١٤٢ .

تم احرازها بفضل مساعدته . وما أحلى للإنسان أن يكتب السيطرة على أعدائه .

وعلى كل - في حالتنا هذه - فإن النتيجة هي أننا لا نتمتع بنصيبنا من الخنائم وفقا لنقييد الحرب « ولأن تعاليمون بحق سلب لبيثيوم في حقبة التي كانت ملكا للقوط منذ الأرمنة القديمة . وهي صخرة منزلة لا تساوي تحفة من الفضة وحتى ولو كانت ملكا للمملكة منذ الأرمنة القديمة فعلى الأقل تستطيعون بكل عدالة منحهما لأتالاريك مجازاة لخدمات التي أداها إذ أنه قام بعد يد المعونة في الوقت الذي كانوا أكثر احتياجا إليه » . وكانت هذه الرسالة التي حررتها أملاسونتا عاتية إلى الإمبراطور وبصفه سرية وافقت على وضع نصيب بكنها تحت يده . وقام الجيعونون بعد عودتهم إلى بيزنطة ببلاغ كل شيء للإمبراطور جستنيان حيث حرج له الكسندر بشأن الاجراء الذي اتخذته أملاسونتا وديميتريوس وهيباسيوس وكل ما سمعوه من قول نيوداتس . وأضاف أن نيوداتس يتمتع بسلطة كبيرة في تسكانيا حيث أصبح هالكا لغالبية الأرض . ومن ثم سوف يتمكن من وضع اتفاقه حين التنفيذ دون أي ضيق . وحيث أن الإمبراطور كلاً يطعم فرحا لهذه الحالة ، فقد بحث فوراً إلى إيطاليا بطرس وهو من مؤلفي ساقونيك^(١٧) إلا أنه يرى المولد وهو رجل من ضمن الرجال المختارين على القديس في بيزنطة ، وشخص حميف وعريق النسب وخالع بطبيعة الحال لكي يلقح الرجال.

(١٧) « ساقونيك » : بنية رومانية قديمة واسمها اليوناني Thessaloniki ويذكر ابدينور الاثيني أن الصقلية دعوا في حلبة هذه المثلث فاستبعت هذه المدينة البونقية معلطة بهم لأنهم اكتسروا حولها في شبه جزيرة الحورة لأن هذه المدينة كانت من أهم المدن التجارية وهناك علم للامبراطورية البيزنطية وكانت تسمى أسوار ضخمة وجقيل قوية « نيكس من السود في وجه المهاجرين كما كانت مركزاً دينياً كبيراً » (الترجمة) . انظر :

(٤)

بينما كانت مثل هذه الأمور تجري كما سبق لي الشرح فقد قام
 العديد من التوسكانيين بالوشاية بشيوداتس أمام الامالاسونثا . وصرخوا
 انه لساء الى جميع أهل توسكانيا واستولى بدون سبب على ضياعهم
 لم يكتف بالضياع الخاصة فحسب وانما أيضا الضياع الملكية التي
 عتاد الرومان تسخيرها بالأرث . ولهذا السبب طأنت النساء باجراء
 تحقيق مع شيوداتس وعقد مواجهته بوشائه 'دانوه دون سؤاله وأجبرته
 الامالاسونثا على رد كل ما كان قد استولى عليه دون وجه حق ثم أقالته .
 حيث انها على هذا النحو قد سببت أكبر لساءة الى الرجل منذ ذلك الحين ،
 ذلك فقد استمر العداء بينهما وظل متربصا منها الى حد كبير اذ انه
 كان شغوقا بالغال وذلك لأنه لم يعد في استطاعته مواصلة ممارسة
 السلطة الغير شرعية .

وفي نفس هذا الوقت - ٦ أكتوبر ٥٣٤ م كان المرض قد انهك
 أتالاريك حتى وصل الى نهايته اذ أنه بقي في المنيصب ثمان سنوات .
 أما بالنسبة لاملالاسونثا فقد قدر لها ما لا تحصى من النجاح لذلك لم تنبأ
 بشيوداتس وما سببت له ، وافترضت أنها سوف تطبق أية معاملة سيئة منه
 اذا ما صنعت له جميلا يفرج عن العادة . وعليه إستدعتة وحينما حضر
 لجأت الى مداعنته قائلة لنها علمت انه كان من المتوقع أن ابنها سوف
 يتولى قريبا ذلك لأنها استمعت الى رأى جميع الأطباء الذين اتفقوا
 في الحكم عليه ومطنت هي بنفسها بأن جسد أتالاريك ازداد نحولا .
 وحيث أنها لاحظت أن كلام القوط والايطلين كان لديهم فكرة غير
 طيبة عن شيوداتس الذي أصبح الآن يمثل عصر فيومريك ، لذلك أبدت
 الرغبة في تغليبهم من الأسم الشرير هذا حتى لا يكون علثا في طريقه
 حالة استدعتة الى العرش . ولكن في نفس الوقت قد أرعجت مسألة
 العدالة كما شرحت لذاتها فكرت في أن الذين أصبحوا بسمه سوف

لا يجدون أحدا يذهبون اليه لابلأغه بما أصابهم وأن سيدهم •
 عدوهم • ولهذه الأسباب رغم أنها استدعته للعرش بعد إزالة اسمه
 هذا النحو الا أنه كان يتحتم كما قالت أن يلتزم بحلف اليمين الحاد
 وفي الوقت الذي يمنح فيه ثيوداتس لقب المنصب يتبني عليها ذاته
 تتولى السلطة بقدر لا يقل عن ذى قبل وعندما سمع هذا ثيوداتس و
 وحلف اليمين على الوفاء بجميع الشروط التي فرضتها أمالاسونثا
 أضمر الغدر في ضميره متذكرا كل ما فعلته ازاءه • وهكذا انخذ
 أمالاسونثا في حكمها وفي الأيمان التي أقسمها لها ثيوداتس ومنح
 المنصب • وقد بمثت بعض القوط بصفتهم مبعوثين الى بيزنطة
 يبلنوا الامبراطور جستنيان بهذا الشأن •

وعندما نال السلطة العليا شرع ثيوداتس في التصرف في جه
 الأمور بطريقة مناقضة لآمال أمالاسونثا والوعود التي تعهد بهـ
 وبعد أن اكتسب انتماء اقرباء القوط الذين قتلتهم أمالاسونثا - وأ
 كثيرين ورجالا ذو مكانة رفيعة ضمن القوط فقد قتل بعض اقد
 أمالاسونثا وأودعها السجن اذ ان المبعوثين لم يبلنوا بيزنطة حتى
 اللحظة • توجد الآن بحيرة في تسكانيا يطلق عليها اسم فلزيانا^(١٨)
 ترتفع داخلها جزيرة صغيرة^(١٩) للغاية مقام عليها قلعة قوية • وفي •
 المكان قام ثيوداتس بحجز أمالاسونثا - ٣٠ ابريل ٥٣٥ م - وش
 الحراسة عليها حيث انه كان يخشى استياء الامبراطور من جراء •
 القتل ، فبعث بعض الرجال من مجلس الشيوخ الروماني وهم ليبيز
 Liberius واوبيليوس Oplio وآخرين وأوجسهم بأن يـ

(١٨) اسمها الآن بولينا Bolsena

(١٩) جزيرة مارتا Marta وهي غير مسكونة الآن ، وبعد حيا
 قلعة منها شقوا في المعبر - كما قبل - بكثا يؤدي الى سجن كمالاس
 (المرجأ)

انظر : Hodkin Italy and her Invaders. ٤. vols.

سلوكه أُملم الامبراطور بما لديهم من قدرة التأكيد له بأن امالاسوننا
نم تعامل بقسوة رغم انها كانت قد أسامت اليه اساءات بالغة وجسيمة .
وقام هو بنفسه بالكتابة بهذا المعنى اتى الامبراطور وأجبر ايضاً
امالاسوننا على الكتابة بهذا المضمون الى الامبراطور ضد ارادتها .

وهكذا سارت مجريات الأمور . ولكن سبق للامبراطور أن أودع
بـ *Peter* الى إيطاليا ومعه تعليمات بمقابلة *ثيوداتس* دون أن
يعلم هذا أى شخص آخر . وبعد أن أخذ *ثيوداتس* تمهداً على نفسه
وحلف انه سوف لا يذيع أية معلومة . وشرع فى اجراء تسوية
ماهونة معه فيما يتصل بتسكين *Tuscany* . وقابل امالاسوننا فى
الغفاء واتفق معها على عمل الترتيبات اللازمة بالنسبة لايطانياس باكملها
حتى تعود هذه الترتيبات بالنفع لكل طرف من الطرفين . ولكن مهمته
طلبت التفاوض علانية بالنسبة ليلىيوم والأمور الأخرى التى سبق لى
أن ذكرتها ذلك لأن الامبراطور لم يكن قد سمع أى شىء بشأن وفاة
انتالاريك أو سقوط امالاسوننا وكان بـ *طرس* فى طريقه عندما قابل مبموثى
امالاسوننا وعلم أن *ثيوداتس* كان قد اعتلى العرش . وبعد فترة
وجيزة عند بلوغه مدينة أولون *Aulun* (٢٠) التى تقع على الخليج
الأيونى قابل جماعته *ليسيديوس* ، وأوبيليم ونمى الى علمه كل شىء . وقد
أبلغ ذلك الى الامبراطور ومكث هناك .

وحينما علم الامبراطور جستييان بكل هذه الأمور عقد النية على
ارباك القوط مع *ثيوداتس* . لذلك قرر خطباً الى امالاسوننا يذكر فيه
انه متطه على مساندتها بأية وسيلة ممكنة ، وفى الوقت ذاته أوصى
بـ *طرس* بعدم اخفاء هذه الرسالة بأية حال من الأحوال بل افشائها
لـ *ثيوداتس* ذاته ولجميع القوط . وعينما وصل المبعوثون من امالاسوننا

يزمحه ماموا جميعهم باستثناء واحد منهم ببللاغ الأمر بأسره الى
 ـ الطور وعلى الأخص لبيروس ذلك لأنه كان رجلا مستقيما وشريفا ،
 ، يهتمون بالحقيقة • ولكن أوبيليو وحده صرح باصرار كبير أن
 اتس لم يكن قد أساء الى أمالاسونتا • وآآن عندهما وصل بطرس
 يطاليسا • حدث أن أبعدت أمالاسونتا من بين الرجال ذلك لأن
 اء القوط أخذين قتلتهن أمالاسونتا من قبل تقدموا امام ثيوداتس
 نين أن حياته وحياتهم فى خطر الا اذا أبعدت أمالاسونتا عن
 نهم بأسرع ما يمكن • وبمجرد أن سلم بالأمر الواقع ذهبوا الى
 يرة وقتلوا أمالاسونتا • وهذا بالفعل أحرز جميع الايطاليين بصورة
 ة والقوط على حد سواء ذلك لأن النساء كان لهن اهتمام الى حد كبير
 ضيلة كما ذكرت انفا فى هذا الشأن • وقام الآن بطرس بالاحتجاج
 ية الى ثيوداتس • والقوط الآخريين بسبب خسة هذا الفعل الذى
 لوه وأعلن أنه سوف تتن حربا دون مهادنة بينهم وبين الامبراطور •
 ن ثيوداتس — هكذا كانت حماقته — بينما كان لا يزال يفسح قتلة
 لاسونتا موضع التقدير ظل يحاول اقناع بطرس والامبراطور بأن هذا
 مل الاثيم ارتكبه القوط دون موافقة وغد ارادته •

(•)

وفى نفس الوقت حدث أن اشتهر بليزارىوس Belisarius (٢١)

٢١١ (بليزارىوس) من أشهر القادة البيزنطيين ولد سنة ٥٠٥ م — كان
 حيفا حيث ولد لـامبراطور جستنيان — كما أن زوجته انطونيا كانت صديقة
 لـامبراطورة ثيودورا وقد بدأ بليزارىوس يلمح فى ميدان العسكرية فى موصلة
 را سنة ٥٢٠ م — ثم عين قائدا للشرق • وفى عام ٥٢٩ م تمكن بليزنتيون
 ع ثارسيس من القضاء على نفقة نيقا ثم أرسله جستنيان سنة ٥٣٣ م الى
 سأل العربيا حيث تم له القضاء على مملكة الوندال بها • (المترجمة)
 Gibbon «The Decline and fall of the Roman empire».

Valerie History of the Byzantine empire.

Ostrogorsky «History of the Byzantine states».

• است غنيم : امبراطورية جستنيان •

بأنه هزم جيليمر Gelimer وقبيلة الوندال ، وعندما علم الامبراطور
بمصر أمالا سوثا أقدم فوراً على الحرب حيث بلغ هذه السنة التاسعة
وبذلك أمر موندس Mundus قائد اليريا بالذهاب الى دالماتسيا
Dalmatia الخاضعة للقوط واختبار سالونا Salones (٢٢) .

وكان مهندس بربرى المولد ولكنه كان مخلصاً للغة نلامبراطور
ومحارباً ماهراً ثم بعث بليزاريوس بحراً ومعه ٤٠٠ أربعة مائة جندي
من الوحدات العسكرية النظامية و« والمعاهدين » وحوالى ٣٠٠ ثلاثمائة
من « الأيسوريين » (٢٣) وكان من ضمن الرجال البارزين القسود
قسطنطينوس Constantinus وبيزاس Byzas من تراقيا ،
وبيرانيوس Poranios (٢٤) من ايبيريا القريبة من ميديا وكان رجلاً
من أعضاء الأسرة المالكة الأيبيرية ولكن قبل ذلك جاء كجندي هارب إلى
الرومان من خلال عداة الفرس . وتولى فرق سلاح الفرسان فالنتينوس
Valentinus وماجنوس Magnus وإينوسنتيوس Innocentius
وتولى سلاح المشاة هيروديان Herodian وبولوس Baulus
وديمترىوس Demetius ولورسينس Ursicinus على حين كان
أينيس Enes زعيم الأيسوريين (٢٥) وجد مائتان من الهون ، بصفتهم
حلفاء وثلاثمائة من اليربر المشرقية ولكن كان بليزاريوس هو القائد
الأعلى ومعه العديد من الرجال وجهاء القوم كرامة وحراس وكان يرافقه
فوشىوس Fabotius ابن زوجته أنطونيا Antonina من زوج

(٢٢) سالونى أو سالونا بالقرب من سبيلو Spoleto على الساحل
الداشلى .

(٢٣) الأيسوريين نسبة إلى إقليم ايسوريا أو ايزونيا جنوب شرق
آسيا الصغرى . (الترجمة)

(٢٤) ايبيريا تقع غربها هضبة جورجيا Georgia وهي إلى الجنوب
من منطقة القوقاز . (الترجمة)

سابق وكان لا يزال شلجا يحمل لحيته الأولى ولكنه كان يتحلى بحصافة
شيرة وضيق قوى .

وأعنى الامبراطور تعليماته لبليزاريوس لكي يعلن أن جهة الوصول
سنت قرصاجة Carthage . ولكن بمجرد وصولهم الى صقلية كان
عليهم النزول الى النهر هناك اضطراريا لسبب ما واستكشف الجزيرة .
وعليهم أيضا الاستيلاء عليها اذا ما أتاحت الفرصة لاختصاعها دون
اضطراب وعدم تركها تفت مرة أخرى اما اذا صادفهم أى عائق فعليهم
الاحتفاظ دون ابتداء الى ليبيا دون اعطاء الفرصة لاحد لكي يغلن الى
مقصدهم .

كما أنه أرسل خطابا الى زعماء الفرنجة^(٢٥) نصه كالاتي :

« حيث ان القرم استولوا بالقوة على ايطاليا التي كانت لنا ولم
يرفضوا ردها فحسب وانما ارتكبوا أيضا أعمالا تنسم بالجور ضدنا ،
وهذه الأعمال جاوزت جميع الحدود ولم تعد متعملة ، لذلك اضطررنا
للتنزل الى ميدان المعركة ضدهم ومن المناسب أن نتصموا اليانا في شن
هذه الحروب التي هي حريكم بقدر ما هي حزيننا ليس فقط ايضاً بالاعباب
التقديم الذي يرفض قبول رأى الأريوسيين^(٢٦) ، وانما أيضا للعداء الذي
شمر به كلانا نحو القوط » .

وعكذا كان نص خطاب الامبراطور ، وقد منح لهم عطية تقسية

(٢٥) الفرنجة قبيلة من قبائل الجرمان ابتدوا في انجاسين بين الراين
الأمنى والميزوالتلند — والآخرون امتدوا على الموزل الآنسى . (الفرنجة)

Fleche et La Chrodiens - Médiévalen.

انظر :

(٢٦) الأريوسية نطقة مسيحية تنسب الى أريوس وهو كاهن سكندري
وتقول بان الاب وجد قبل الابن — ولما كان المسيح مخلوق لئلا الاب هو
اذا موته فلا يساويه في المنزلة والمستوى . (الفرنجة)

Cam - Med. Hist. vol I, p. 119.

انظر

ووافق على منح المزيد بمجرد اتخاذهم دوراً نشيطاً • ووعدا بكل حمية
الذخائر في القتال مخالفة مهم •

وآن دخل مندوس والجيش تحت قيادته الى دلمانيا واشتبوا
مع القوط الذين قابلوهم هناك ، وهزمهم في المعركة واستولوا على
سانور Salones أما بالنسبة لبلليزارىوس فقد دخل صقلية • استولى
على كاتانا Catana • وحيث انه جعل هذا المكان قاعدة لمعنياته
لقد استولى على سيراكوز والمدن الأخرى التي استسلمت دون أي
مشقة باستثناء أن القوط الذين كانوا يقفون حراساً على بانورموس
Panormus^(٢٧) والذين كانوا ينتون في غلاخ هذا المكان وهو مكان قوي
أبداً أن يستلموا لبلليزارىوس • وأمره بإبعاد الجيش عن هذا المكان
بكل سرعة حيث أن بلليزارىوس أدرك أنه كان من المحال الاستيلاء على
هذا المكان من جهة البر ، لذلك أمر الأسطول بالابحار داخل الميناء الذي
كان يمتد بعيداً حتى السور ذلك لأنها كانت خارج أسوار الدائري والذي
كان بدون مدافع على وجه الإطلاق • والآن عندما رست السفن هناك
لوحظ أن الأسوار كانت أعلى من الحاجز الترابي • وفي الحال قام
بملء الزوارق الصغيرة للسفينة بالرماة ويرغمهم إلى أعلى المصار • وعندما
أمطرت السهام من هذه الزوارق على رؤوس العدو دخل الرعب في
قلوبهم إلى درجة أنهم سلموا بانورموس Panormus على الفور
لبلليزارىوس — ٣١ ديسمبر ٥٣٥ م — عن طريق الاستسلام • ونتيجة
لذلك خضعت صقلية بأكملها للإمبراطور وأصبحت تابعة له • وحدث في
هذه الأونة — ونتيجة لطالعه الحسن فقد حدث له حادث تميز الكلمات
عن وصفه لأنه نال منصب التتصلي بعد انتصاره على قبيلة الوندال
وبعد أن ائتمر على صقلية بأمرها في اليوم الأخير من منصبه انقضى
زحف إلى سيراكوز والجيش يصفق له بحرارة ودعم أهل صقلية الذين
كانوا ينثرون العملات الذهبية عليهم جميعاً • ومع ذلك فإن هذه الظروف

(٢٧) أنسبا لعملى بلرم لو بلرمو • في صقلية •

لم يعد لها بليزاريوس وانما كانت فرصة طيبة للرجل إذ أنه بعد أن استرد الجزيرة بأكملها من القوط زحف إلى سيراكور في هذا اليوم بالتحديد ، وقد نال بليزاريوس هناك المنصب القنصلي - مخالفاً بذلك النظام المتبع بضرورة أن يتم التقليد في بيزنطة وهكذا أصبح قنصلا EX - Consul ولم يفارق الحظ بليزاريوس منذ ذلك الحين .

(٦)

وعندما علم بطرس Petros بفتح مقلية ركر مجهوداته لكي يهرب ثيوداتس وقرر منعه من المغادرة وحيث أنه أصبح جباناً وواجباً كأنه أسير لجيليم^(٢٨) : لذلك دخل في مفاوضات مع بطرس دون علم الآخرين وعقد بينهما اتفاقاً شريطة أن ينسحب ثيوداتس من مقلية بأكملها لصالح الامبراطور جستنيان وعلى أن يرسل له كل سنة تاجاً ذهبياً يزن ثلاثمائة « ليرة »^(٢٩) وثلاثمائة من المحاربين القوط كلما أراد ذلك . كما أنه حظر على ثيوداتس قتل أي أسقف أو عضو في مجلس الشيوخ أو مصادرة ممتلكاته لصالح الخزانة العامة إلا إذا قرر ذلك الامبراطور وإذا ما أراد ثيوداتس ترقية أي من أتباعه إلى البطرقية أو رتبة سيناتورية أخرى ، فليس له أن يقوم بذلك ، ولكن عليه أن يطلب من الامبراطور أن يمنح مثل هذه الترقيات كما ينبغي على عامة الشعب الروماني عند الهاتف للملك أن يفتلوا أولاً وعلى الدوام باسم الامبراطور ثم اسم ثيوداتس وذلك في المسرح وميادين سبا في الخليل وفي أي مكان آخر .

وفضلاً عن ذلك فلا ينبغي أن يقام تمثال من البرونز أو من أية مادة أخرى لثيوداتس وحده ، ولكن يتعين أن تقام تماثيل لكليهما وعلى أن

(٢٨) عملية أسر جيليم فلم يتركه ثيوداتس يوصفها كخلا في كتابه الرابع .
(٢٩) تساوى الليرة الآن حوالي ١٢٠٠٠ ليرة إيطالية . (الفرجة)
Hodkin exp-city

تقام على الجانب اليمين بالنسبة للامبراطور وعلى الجانب الآخر بال
لثيوداتس وبعد أن حرر ثيوداتس مستندا تأكيدا لهذا الاتفاق قام با
السفر .

بعد فترة قليلة ملا الرعب قلب الرجل وأصابه الهلع الذى لب
له حدود . وقد انتابه الهلع واضطرب ذهنه بمجرد سماعه كلمة الحر
وتذكر أنه اذا لم يوافق الامبراطور على الاتفاق المبرم بينه وبين بطر
فسوف تقوم الحرب حتما وفى الحال ، لذلك استدعى مرة أخرى بطر
الذى كان قد وصل الى الباني Albeni (٢٠) نعتقد مؤتمرا س
واستفسر منه عما اذا كان يعتقد أن الاتفاق سوف يرضى الامبراطور
وأجاب أنه يعتقد ذلك وقال ثيوداتس « ولكن اذا لم تعجب هذه الات
الرجل بالمرّة لماذا سيحدث » فأجاب بطرس بعد ذلك عليك أن تت
حرّيا يا أنبل النبلاء ، قال ما هذا أهو مسفيرى العزيز فأجاب بطرس
انفور كيف يمكن لنا أن نلاحق ما يناسب طبيعة كل رجل ؟ فسأله ثيودات
ماذا يعنى هذا ؟ وكان الجواب « انك تهتم كثيرا بالتفلسف فى حين
جستينيان امبراطور جدير بالرومان وهنا الفرق لأن الشخص الذى ماز
الفلسفة لا يستطيع أن يتسبب فى موت الرجال وعلى الأخص به
الأعداد الكبيرة ، وإضافة الى ذلك فإن هذه النظرية تتفق مع تصال
الملاحون التى تمتنعها بلا شك لذلك فمن المجحف لك ألا تكون متحدر
من أراقة الدماء . ولكن بالنسبة له فمن المناسب أن يسعى لاكتساب
أرض تنتمى منذ القدم الى مملكته على أثر ذلك اقتنع ثيوداتس بهذه
النصيحة ووافق على الانسحاب من المملكة لصالح الامبراطور جستينيان
وحلف هو وزوجته اليمين الثتونية لهذا الترتيب ، ثم حلف اليمين اما
بطرس بعدم انشاء هذا الاتفاق لعين التأكيد لأن الامبراطور ربما لا يقب

الاتفاقية السابقة . ويبحث معه رستيكس Rusticus وهو استاذ كرس نفسه له ومعه مواضع روحاني لكي يقوم بالتفاوض على أسس هذا الاتفاق كما أنه اعطى خطاباً لهؤلاء الرجال .

وعندما وصل بطرس وروستيكوس الى بيزنطة قاما بإبلاغ القرار الأول الى الامبراطور تعاماً كما اوصاهما ثيوداتس لهما . لكن حين ابدى الامبراطور رفضه قبول لعرض قام باغشاء الخطة التي تلاها الخطاب فيما بعد .

وكان لهذا الخطاب الوقع التالي :

« اننى لست غريباً . على البلاط الملكي ولكن كان من حظي أن وُدت في دار عمى حينما كان ملكاً وانى تربيت بطريقة جديرة بعنصرى . ومع ذلك فقد نلت القليل من الخبرة في الحروب والاضطرابات الناتجة عن الحروب وذلك لأنى منذ سنواتى المبكرة كنت مولماً بالمتغيرات المدرسية وكُرس على الدوام وقتى لهذا الغرض ومن ثم كنت حتى هذا الزمان بعيداً كل البعد عن ربكة المعرك . لذلك فمن اللغو أن اتطلع الى عناصر الشرف التى تمنحها الحضرة الملكية ، أحياء حياة محفوفة بالمخاطر بينما فى استطاعتى أن اتطشأها ، ذلك لأن مثل هذه الأحياء ليست ممتعة لى غالباًولى عرصة للاشباع لنا وهناك المرط فى كل الأحياء الطولة المذاق والثانية بسبب النقص فى الألفة فان هذه الحياة تترك المرء . أما بالنسبة لى فلذا منحت لى ضياعاً تمل ايرادا سنوياً لا يقل عن ١٧ « سنتيناري » نظرت الى الملكة بأقل أهمية وسوف أسلم على الفور لكم قوة التسوط والايطاليين وذلك لأنى سوف أجد متعة أكبر فى أن أكون مزارعاً بعيداً عن الهموم والمشاكل بدلاً من قضاء حياتى كلها بين عموم الملكية إذ أن هذه المشاغل محفوفة بالمخاطر . أرجو أن تبشوا لى برجل بأسرع ما يمكن حتى أستطيع أن أسلم له بطريقة لائقة انطاليا ومقاليد الملكة » .

هكذا كان مضمون خطاب نيودانسي وحدث أن الإمبراطور كان راضيا للغاية ، لذلك أجاب على النحو التالي :

« منذ انقدم غمت من التليغات التي تحملني أنك رجل ذو فطنة ، ولكن الآن حيث أن التجربة علمتني ، لذلك فاني اعلم هذا بقاء على القرار الذي اتخذهته بالآ انتظار ما تنخفض عنه الحرب ذلك لأن بعض الرجال الذين تابعوا هذا المسار في الماضي أصابهم الكدر . وسوف لا تتقدم من أنك جعلتنا أصدقاء بدلا من أعداء ، ولكن سوف يكون لك امتياز انخرطك في قائمة شرف الرومان . وفي الوقت الراهن بعثت اثناسيوس Athanasius وبنرس Peter حتى يستطيع كل طرف أن ينال ضمانا بموجب اتفاق . وسوف يقوم بيلزارايوس بزيارتك لاتمام جميع الترتيبات التي وافقنا عليها فيما بيننا » .

وبعد أن كتب هذه الرسالة بعث الإمبراطور باثناسيوس شقيق الكسندر Alexander الذي سبق أن أوفد إلى اناطليك كما سبق انقول ، وللمرة الثانية بطرس الخطيب الذي ذكرته بعاليه وذلك لتضمين شجاع الدار الملكية لنيودانسي المطلق فيها اسم « الميراث » وبعد أن قاموا بتحرير الوثيقة والقسموا الايمان على تنفيذ الاتفاق استدعوا بيلزارايوس من صقلية ليستكن من الاضطهاد على القصر واطاليا باسمهم ووضعها تحت الحراسة . وكتب لبيلزارايوس اللهم بهجود استدعائه ينبنى عليه أن يذهب هنا ليكمل سرجه .

(٧)

في غضون ذلك وبينما كان الإمبراطور منشغلا في هذه المعالومات وكان هؤلاء المبوثون في طريقهم إلى ايطاليا ، كان القوط تحت قيادة اريزارايوس Armarius وجريليس Arpas وآخرين قد أتوا

بجيش كبير داخل دلفنيا وعندما بلغوا حدود سانوني Salones^(٢١) قبلهم موريشيوس Mauricius ابن مندى الذى لم يكن قد قدم للمعركة وإنما كان مع بقع رجال فى حملة استكشافية : فحدث اشتباك عنيف فقد فيه القوط أنبل الرجال ولكن الرومان أيضا فقدوا جماعات بأكملها بما فى ذلك القائد موريشيوس وعندما علم مندى بذلك انتابه حزن عميق وفى الوقت ذاته ثورة شمواء ولذلك توجه للقاء العدو دون انبطاء وبغض النظر عن أى أمر . كانت المعركة محتدمة وأسفرت النتيجة عن انتصار تامل بالنسبة للرومان^(٢٢) . ورغم أن أغلب الأعداء سقطوا صرعى هناك واندحروا إلا أن مندى الذى واصل القتال وذبح العدو أينما كان وعجز عن تركيز أفكاره بسبب سوء حظ ابنه الذى جرح على يد أحد الهاربين . وعلى أثر ذلك انتهت المعاردة وانفصل الجيشان واستعاد الرومان إلى خاطرهم جزءا من قميدة الكاهنة التى كانت نضى فى الأركان الصالفة وبدا لهم نذير شؤم ذلك لأن الكلمات تقول عندما تخضع أفريقيا فإن العالم سوف يهلك مع ذريته . ومع ذلك فإن هذا لم يكن المعنى الصحيح لهذا الغيب ولكن بعد التتويه بأن ليبى سوف تخضع مرة أخرى للرومان أشاف هذا البيان أيضا أنه عند قدوم مندى فسوف يهلك هو وابنه . وحدث أن مندى فى اللغة اللاتينية تعنى كلمة « العالم » لذلك اعتقدوا أن القول كان يشير إلى العالم . أما بالنسبة لسانوني Salone ، فلم يتمكن أحد من دخولها ذلك لأن الرومان عادوا إلى ديارهم لأنهم أصبحوا بدون قائد ، وحيث أن القوط لاحظوا أنه لم يبق معهم أى قبيل من قبلاهم لذلك انتظهم الخوف واستولوا على القسلاع المجاورة فلك لأنهم لم يثقوا فى دفاع سانوني ، وفضلا عن ذلك فإن الرومان الذين كانوا يعيشون هناك لم يظهروا نية حسة نهزم .

(٢١) سانوني قلعة مند Amphisse فى بلاد اليونان .

(٢٢) وهى حكاية تشير إلى أن النصر ذبح فيه المنتصر . وربما يرجع إلى قصة ثوبان Thaban لوكسين وابطلقا اليوكليس Etocles وبوليتيس Polytices .

وعندما علم ثيوداتس بكل هذا ، لم يعبأ بالمبعوثين الذين كانوا قد أتوا إليه ، ذلك لأنه بطبيعته لم يكن يثق فيهم وعقله لم يكن ثابثا يأتى حل من الأحوال . ولكن الحقد دفع به فى هذه الآونة الى حالة من الارهاب لا يعرف لها حدود وكان هذا منافضا للفهم الصحيح للمواف ، ودفعه ذلك الى جسارة لا يمكن وصلها .

على هذا الوقت حينما علم بوفاة مهندس وموريشيوس تأثر للغاية بما حدث ورأى أنه من المناسب أن يوبخ المبعوثين عندما ظهروا أخيرا أمامه . وحينما أتبه بطرس فى مناسبة ما لأنه كان قد انتهك الانساق مع الاجبراطور استدعى ثيوداتوس كليهما وتحدث غذا كما يلى :

« ان موقف المبعوثين يدعو الى الغضب وعلى وجه العموم فقد سألوا التقدير من جميع الرجال . ولكن المبعوثين يحتفظون لأنفسهم بهذه الحقوق طالما أنهم يحتفظون بشرف انقاذهم بغسل صلاحية سنوكهم الذاتى » ذلك لأن الرجال أفرأ بعدالة قتل أى مبعوث اما لأنه أهان الذات الملكية أو عرف بأنه على علاقة بامرأة لزوج آخر » . وهكذا كانت الكلمات التى ندد بها ثيوداتس ضد بطرس ليس لأنه كان قد اغترب من امرأة وإنما على ما يبدو ليثبت صحة ادعائه بأنه كانت هناك اتصالات قد تؤدي الى قتل سفير ما ، ولكن المبعوثين أجابوا كما يلى : « ان المعتقن يا حاكم للقوط ليست كما فكرتها ولا تستطيع تحت ستمار اعدار وصية ان تقوم بارتكاب افعال بظلمة لعبد رجال المبعوثين ذلك لأنه من المحال بالنسبة لسفير ما حتى اذا ما أراد ذلك أن يصبح عاجزا اذ انه ليس من السهل عليه أن يتناول حتى الماء الا بلردة الذين يحرسونه . اما بالنسبة للمروض التى تلقاها من شفاء من بثوة فهو ذاته لا يستطيع أن يتحمل بصفة مقولة النائب الذى يأتى منهم ، ولكن من اعطى الأمر سوف يتحمل التهمة على حين أن مسؤولية السفير تقتصر على المواف بمعمته .

لذلك ينبغي علينا أن نصرح بكل ما أوصى به الامبراطور عند ايفادنا وأن نسمعوا اليه بعهده ذلك لأنه اذا أصابكم الهياج فسوف لا يكون في وسعكم الا الاساءة الى رجال هم سفراء . لذلك حان الوقت لكي تقوموا بأداء كل ما وعدتم الامبراطور بانجزئه ، وهذا هو الغرض الذي أتينا من اجله هنا : والخطاب الأخير الذي حرره لكم سبق تسلمه ، أما الكتاب الذي ارسله الى طليعة القوط فلن تسلمه الا لهم » .

وعندما سمع زعماء البرابرة الذين كانوا حاضرين هذا الحديث من المبعوثين طلبوا منهم أن يعطوا ثيوداتس ما كان قد حرره لهم . وجرى ما يأتي :

« كان هذا موضع عنايتنا لاستقبالكم في دولتنا حيث يمكنكم التمتع فيها ذلك لأنكم سوف تاتون اليها ليس لأن الأمر اقل أهمية وانما لأنكم تكريمكم بقدر أكبر . وفضلا عن ذلك فانتنا لا نوصي القوط بالشروع في عادات غريبة أو أجنبية وانما في عادات قوم كنتم ذات مرة متعلقين معهم ولو أنكم انفصلتم عنهم بالصدفة تفصل من فصول السنة . ولهذا الأسباب تم ايفاد بطرس وأثناسيوس اليكم وينبغي عليكم أن تتعاونوا معها في كل شيء » .

وهكذا كان مضمون هذا الخطاب . ولكن بعد أن اطلع ثيوداتس على كل شيء لم يكتب بتنفيذ ما كان قد وعد الامبراطور بتنفيذه بحسب بل قام أيضا بوضع المبعوثين تحت حراسة مشددة .

وعندما علم الامبراطور جستييان بهذه الأشياء وما كان قد حدث في دالماتيا ، بعث قسطنطينوس الذي كان يقود السلة الحكيين الى الليريا وطلب منه أن يقوم بجمع جيش من هنالك وعمل محاولة على سالوني بأية طريقة وحسب امكانياته .

وأمر بيلزاريوس بدخول ايطاليا دون ابطاء ومعالجة القوط كالاعداء

وهكذا جاء قنسطنطينوس الى ابيدามوس وقضى بعض الوقت يجمع جيشا . وفى غضون ذلك أتى القوط تحت زعامة جريباس *Grepas* ومعهم جيش آخر الى دالماتيا واستولوا على سالونى . وغادر قنسطنطينوس ابيداموس مع قوته الكاملة عندما انكسرت ثريتياته قدر المستطاع وألقى مرساه فى ابيداروس *Epideros* ^(٢٢) التى تقع على الجانب الأيمن عند الاتجاه الى داخل الخليج الأيونى . وتصادف الآن وجود بعض رجال هناك كان جريباس قد أرسلهم كجواسيس . وبعد أن سجلوا كل شيء عن السفن وعن جيش قنسطنطينوس بدأ لهم أن يبحر والأرض بأكملها مفعمة بالجند ، فعمادوا الى جريباس وأعلنوا أن قنسطنطينوس قد جرد عددهم جيشا من الرجال عددهم لا يقل عن عشرات الآلاف . وحيث أنه كان متخفيا الى حد كبير لذلك اعتد أنه من غير المناسب أن يواجه هجومهم وفى الوقت ذاته أبى أن يخاطر بواسطة جيش الامبراطور إذ أنه كان يتحكم فى البحر بالكامل . ولكن تحصينات سالونى أزعجته فى أغلب الأمر (إذ أن أكبر جزء منها كان قد سقط) بالإضافة الى موقف السكان المشكوك فيه الى درجة كبيرة فى هذا المكان تجاه القوط . ولهذا السبب غادر المكان ومعه جيشه بالكامل بأسرع ما يمكن وعسكر فى السهل الذى يقع بين سالونى ، ومدينة سكارودون ^(٢٣) . وأبحر قنسطنطينوس بجميع سفنه من ابيداروس ودخل فى ليزينا ^(٢٤) وهى جزيرة فى الخليج ، ومن هناك بحث ببعض رجاله لكي يستمروا العقوبة بشأن خطط جريباس وأبلاغه بها . وبعد أن علم منهم بالحالة بأكملها أبحر رأسا الى سالونى دون إبطاء . وعندما دخل فى مكان ما بالقرب من المدينة ، أنزل جيشه الى الجزر الرئيسى من البلاد وبقي هناك ساكنا ، واختلر خمسمائة رجل من الجيش وعين سينيلاس *Sphenes* قائدا لهم وهو أحد حراسه للشخصين .

(٢٢) فى الآن *Ragusa Vecchia* وجوزا نيكيا .

(٢٣) بالقرب من سبينكو *Sebenico*

(٢٤) وهى الآن *Lesina* ليزينا .

ثم أهرم بالاستيلاء على الممر الضيق^(٢٦) الذي كان يقع في أنحراف المدينة كما كان قد علم . وقد كان هذا ما فعله سيفلاس . ودخل قنطنطيانوس وجيشه البري بأكملة سالونس في اليوم التالي ورسي الأسطول بالقرب منها . ثم مضى قنطنطيانوس يعتنى بتحصينات المدينة ويقوم ببناء جميع الأجزاء التي كانت قد سقطت ، وغادر جريداس مع الجيش القوطي من هناك في اليوم السابع بعد أن قسم الرومان بالاستيلاء على سالونس وتوجهوا إلى رافينا . وهكذا احتل قنطنطيانوس دالماتشيا بأكملةا وليبورينا Liburnia بالكامل .

وحدث جميع القوط الذين سكنوا هذه المنطقة على الوقوف إلى جانبه وهكذا كانت الأحداث في الدالماتشيا . واقترب موسم الشتاء من النهاية وانتهى العام الأول من هذه الحرب التي كتب بروكوبيوس تاريخها .

(٨)

وحيث أن بيليزاريوس ترك حراساً في سيراكوز وبانورموس^(٢٧) لذلك عبر الطريق مع باقي الجيش من مسينا Messana^(٢٨) إلى ريجيوم Rhégium^(٢٩) حيث تقول أساطير الشعراء أن سييلا وكاربيديس كانا يتواجدان ، وظل أهل هذه المنطقة يأتون إليه حيث أن مدينتهم منذ القدم كانت دون أسوار لذلك لم يكن لديهم أي وسيلة لمراسمتهم بالمرّة وبسبب عدائهم تجاه القوط كانوا يتحيزون للحالين في رافينا عن حكومتهم الحالية وجاء ابريموس Ebrimus حاربا من وجه القوط إلى بليزاريوس

(٢٦) هو مدخل عام للمدينة من جهة الغرب .

(٢٧) سيراكوز وبانورموس . مدينتان من مدن صقلية . (المرجعة)

(٢٨) ضيق يفصل بين صقلية وجنوب إيطاليا ويطلق عليه بـشبق مسينا . (المرجعة)

(٢٩) ريجيوم مدينة تقع في كالابريا في جنوب إيطاليا . (المرجعة)

Cam - Med. Hist. vol J V. p. 729 + 7360 . من ذلك انظر :

ومعه جميع أتباعه • وكان هذا الرجل صهر ثيوداتس الذي تزوج
 ثيودينثي Theodonthe • وكان موفداً على الفور إلى الامبراطور
 ونلقى هدايا شرقية وعلى الأخص منمنب التنيل السامي • وزحف ج.
 بيليزاريوس من ريجيوم من خلال بروتيوم ولوكانيا • ورافقه أسد
 السفن الذي أبحر إلى نفس الاتجاه • ولكن حينما بلغوا كامبانيا ج.
 إلى المدينة عبر البحر « إلى ما تسمى نابولي »^(١٠١) التي كلنت تسـ
 قوتها ليس فقط من طبيعة موقعها وإنما أيضاً لأنها كانت تحتوى
 حامية وافرة من القوط • وأمر بيليزاريوس ، السفن بأن ترسو
 الميناء الذي كان خارج خط القذائف على حين أنه أقام معسكره على قمة
 من المدينة • ثم استولى على بادي • الأمر على القلعة عن طريق الاستـ
 وهي في الساحة وسمح بعد ذلك لسكان المدينة — بناء على طلبهم
 بإيفاد بعض وجهاء القوم إلى معسكره حتى يتمكنوا من ابداء رغبـ
 فيما يريدونه • وبعد أن تلقوا جوابه أخطروا عامة الناس بذلك • و.
 الفور قام أهل نابولي بإيفاد ستيفانس Stephanus وعندما حـ
 أمام بيليزاريوس تحدث على النحو الآتى :

« انك لم تتصرف بالمعدل أيها القائد باستيلائك على ميدان المـ
 شد رجال من الرؤساء لم يرتكبوا أية أسامة • وهم يقطنون في مدـ
 شيرة وأسيادهم نجارة من حرس من البرابرة لدرجة أنه ليس
 وسعنا أن نقلوهم إذا ما أردنا ذلك • ولكن يتصافد انه حتى هـ
 الحراس يسفرون إلى ترك زوجاتهم وأطفالهم وأثمن ممتلكاتهم تـ
 يد ثيوداتس قبل مجيئهم ليقوموا بحراستنا • لذلك إذا ما تعاملوا مـ
 فسوف لا يخدرون بالمدينة وإنما بأنفسهم • وإذا ما رغب أحد أن يـ
 الحقيقة دون مواردكم لم تنصحو أحداً لكي يأتي غداً لصالحـ
 ذلك لأنكم إذا استوليتم على روما فسوف تخضع لكم نابولي دون

(١٠١) تقع نابولي في الغرب من نابلينا على نهر الصير • (المترواحـ

مجهود بينما اذا اضطررتم الى الانسحاب من هناك فمن المرجح انكم سوف لا تستطيعون الاحتفاظ بهذه المدينة آمنة .

لذلك فان الزمن الذى تقضونه فى هذا الحصار سوف يذهب مع الريح دون ان تحققوا أى غرض منه .

وتكلم ستيفانوس على هذا القول . واجاب بيليزاريوس كما رى :

« سواء تصرفنا بحكمة أو بغباوة بمجيئنا هنا فهذه ليست مسألة نقترح عرضها على أهل نابولى . ولكننا نرغب فى أن تقوموا بتأخير هذه الأمور بعمداة وبما يتلزم ومشاور انكم ثم بالتصرف على انفراد وفقا لمصالحكم الخاصة . وذلك عليكم أن تستقبلوا فى مدينتكم جيش الامبراطور الذى اتى لتأمين حريبتكم وجيش الايطاليين الآخرين ولا تختارون المسار الذى سوف يجلب عليكم سوء الحظ . وبالنسبة لمن يريد أن يتخلص من العبودية أو أى شئ آخر فليذهب مثل هؤلاء الرجال الى الحرب . فاذا حاربوا جيدا فى المعركة فسوف يكون الحظ مزدوجا لأنه مع انتصارهم سوف يكتسبون الحرية واذا هزموا فسوف يذلون بحسب العزاء لذاتهم اذ انهم لم يختاروا بعد بارادتهم الحظ الأسوأ أما بالنسبة لمن تتاح لهم فرصة التحرر دون صراع ولكن فى امكانهم خوض معركة بنية جمل حالتهم حالة من العبودية الثالثة فمثل هؤلاء الرجال حتى اذا ما انتصروا فسوف يظلون فى المظلمة الأكثر حيوية : واذا لم يستخدم الحظ فى المعركة الى حد أقل من ارادتهم فسوف يكون نصيبهم مع سوء حظهم نكبة الهزائم .

أما بالنسبة لأهل نابولى فهذه الكلمات تكفى . وبالنسبة لهؤلاء القويح المعاصرين فلنا نصبرهم بين أن ينظروا أنفسهم فيما بعد الى جانبنا تحت شعار الامبراطور العظيم ، أو أن يذهبوا الى ديارهم جملة وهم محمضون ضد الأذى ، ذلك لأنه اذا ما أغلقت جميع هذه الاعتبارات ففهمكم بوجه السلاح ضحنا فسوف يلتزم الأمر بارادة الله أن نعلم

أى شخص نقابا كأنه عدو إما إذا كانت إرادة أهل نابولي اختيار جانب الامبراطور والتخلص على هذا النحو من عبودية فنية فانى انهمد بمنحكم تلك المزايا التي كان ياملها أهل عقلية والتي كانوا عاجزين ازادها عن القول باننا انقسمنا اليمين تقريبا وكذبا .

وهكذا كانت الرسالة التي طلب بيليزاريوس من ستيفانوس أن يعود بها الى الشعب ولكنه وعد سرا بمكافآت وافرة اذا تمكن من حث أهالى نابولي بحسن تصرفه على الوقوف الى جانب الامبراطور وبعد قدوم ستيفانوس الى المدينة أبلى كلمات بيليزاريوس وأبدى رأيه الشخصى انه من غير المناسب القتال ضد الامبراطور . وقد عاونته فى مجهوداته أنتيوخس « الأنطاكي » Antiochus وهو رجل من النظم ولكنه ظل مقبعا فى نابولي لمدة طويلة بفرض ممارسة أعمال النقل البحرى وكانت شهرته كبيرة هناك لصفاته الحكمة والعادلة ولكن كان هناك رجلاين يدعيان باستور Pastor واسكليبيدوتوس Asclepiodotus وهما متحدثان متدربان ومن وجهاء القوم ضمن أهل نابولي . وكانت تربطهما علاقات ودية مع القوط ويرغضون بالكامل اجراء أى تغير فى حالة الدولة الراعية ، وحيث أن الرجلين قلما بانتخطيط بشأن كيفية عرقلة المفاوضات ، لذلك قلما بحث الجمهور الصغير على طلب الكثير من الامتيازات الجديدة ومحاولة اجبار بيليزاريوس على اعطائهم الوعد المقتدر بحلف اليمين حتى يحصلوا على الفور على ما يطلبوه . وبعد أن دونت مثل هذه الطلبات فى مستند أعطوها لستيفانوس وعاد هو الى جيش الامبراطور وأبرز الكتاب الى القائد واستفسر منه عما اذا كان ينوى تنفيذ جميع العروض المقدمة من أهل نابولي وأن يحلف لهم اليمين على تنفيذ ذلك . ووعد بيليزاريوس بأنه سوف يقوم بلقواء بجميع طلباتهم من ثم بحث اليمين مرة أخرى . والآن عندما علم أهل نابولي بهذا تقبلوا تأكيدات القائد على الفور وبدلوا الحث على استتقبال جيش الامبراطور داخل المدينة فى الحال ذلك لأنه أعلن أنه سوف لا يسبب لهم أى اذى . وكانت حالة أهل عقلية دليلا كافيا لآى واحد منهم لكى يحك

بنفسه إذ أنه - كما أشار - لم يأت مديرم هذا إلا في زمن قريب
المهد بعد أن استبدلوا طغاتهم البرابرة بسيادة جستينان حتى أصبحوا
رجالاً أحراراً ومتحررين من جميع المصاعب وحيث أنه انتابهم هياج
شديد فقد كانوا على وشك الذهاب إلى الأبواب بغية فتح الأبواب على
مصرعها - ولو أن القوط لم يرتضوا بما كانوا يفعلون إلا أنهم كانوا
عاجزين عن الحيلولة دون هذا ولذلك تنحوا جانباً عن الطريق .

ولكن قام باستور واسكليبيديوس باستدعاء الشعب وجميع القوط
في مكان واحد وتحدث كما يلي :

« ليس من الطبيعي بالمرّة أن يقوم عامة الناس بمدينة ما بالتخلي
عن ذاتهم وأمانهم دون أن يستشيروا أيًا من وجهاء القوم وعلى الأخص .
إذا ما اتخذوا قراراً يخصهم جميعاً . ولكن من الضروري لنا نحن الذين
على وشك الهلاك معكم أن نقدم هذه النصيحة الأخيرة لاسهاما منا في
خدمة الوطن للمرة الأخيرة . لذلك نرى أيها المواطنون الرفاق أنكم
محمومون على التفرير بأنفسكم وبمدينتكم إلى بليزاريوس الذي وعد
وأقسم بأنه سيجلب لكم كثيراً من النفع . والآن إذا أمكنه الوعد بأن
جيشه سوف يحقق الانتصار في الحرب فلا يستطيع أحد أن ينكسر
أن المسار الذي تتخذونه سوف يكون لصالحكم ذلك لأنه من القبولة
عدم إرضاء أي نزوة إذا أصبح سيداً عليكم . ولكن إذا
كانت هذه النتيجة غير أكيدة ولا يوجد رجل في العالم يستطيع ضمان
مسير الحظ فانظروا إلى نوع الكوارث التي سوف تنتج عن استجالتكم
ذلك لأنه إذا تطلب القوط على أعدائهم في الحرب فعوض يقومون بفرض
المقاب عليكم بمقتك أعداء وعلى أساس أنكم أسأتم اليهم اسادة
بالمة ذلك لأنكم تلجأون إلى فعل من أفعال القبيحة ليس تحت ضغط
الاحتياج ولتعا نتيجة جبن هتخذ . وحتى بالنسبة لبليزاريوس . فإذا
أحرز الانتصار على أعدائه فربما نظهر بمظهر المخادعين والفاشين
لحكمائنا وبعد أن فُتحت على أنفسنا أننا نهربون فمن المرجح أن يفسح

الامبراطور حرسا علينا بصفة دائمة ذلك لأنه ولو أن الشخص الذي يساعده خائن يكون راضيا في لحظة الانتصار إلا أنه بعد ذلك يبدأ بالاستتباء القائل على ماضي الخائن ويمقت ويخشى غدوره إذا لديه دلائل خداع الآخرين . ومع ذلك إذا أظهرنا إخلاصنا للقوة في الوقت الحالي خاضعين للخطر فإنهم سوف يمنحونا مكافآت خاصة احتسابهم السيادة على العدو وإذا تصادف وكان لمتنصر بليزاريوس فسوف يعيل إلى الفران ذلك لأن التصور في الولاء لا يجازيه أي رج إلا إذا كان قليل الفهم . ولكن ما حدث لكم هل أنتم في حالة من الرعب خشية أن يحاصركم العدو أنتم الذين تتوافر لديكم المسؤولية وأ تحرروا من نقص أي من مستلزمات الحياة ، ومن ثم تستطيعوا الجلوس في دياركم والذين من التحصينات في حاميتمك هنا ؟ وفي رأي فان بليزاريوس لم يكن ليوافق على هذا الاتفاق معنا إذا كان لديه أمل في الاستيلاء على المدينة عنوة . غير أنه إذا كان هذا هو الذي يريه والذي سوف يؤدي إلى منقمتنا ، فينبغي عليه ألا يحاول أن يطر أهل نابولي أو أن يفرض سلطته الخاصة بالتسام بأعمال جائر من قبلنا تجاه القوط ولكن ينبغي عليه أن يحارب مع ثيودانس والقسو حتى تدخل المدينة في سلطة المنتصرين دون مخاطرة لنا أو خيانة .

طرفنا » .

وعندما اتجهوا من الحديث إلى استور واسكيديوس اليه الذين وعدوا بأن المدينة سوف لا تحتاج إلى أي من مستلزمات الحياة كما أن القوط وعدوا من جانبهم أنهم سوف يقومون بحراسة السور الدائري بأمان . وحيث أن أهل نابولي تأثروا من هذه المجادلات لذا طلبوا من بليزاريوس أن ينصرف دون إبطاء . ومع ذلك بدأ الحصار وأجرى عدة محاولات على السور الدائري ولكنه كان يصد العدو عا الدولم ويفقد العديد من جنوده وعلى الأخص هؤلاء الذين ادعوا اليه ذلك لأن سور نابولي كان يتحذر الوصول إليه من جهة بسبب البحر

ومن جهة أخرى بسبب صعوبة الأرض ، والذين خططوا للهجوم عليها
 ثم يتمكنوا من الدخول الى أية نقطة منها ليس بسبب موقعها الهام
 فحسب بل أيضا بسبب شدة انحدار الأرض . ومع ذلك قطع بليزاريوس
 القناة المائية الصناعية التي كانت تجلب الماء داخل المدينة . ولكنه لم
 يزعج على هذا النحو أهل نابولي حيث كانت تتوفر براميل مياه داخل
 السور الدائري تكفي لتغطية احتياجاتهم ومن ثم لم يشعروا قط بفقدان
 القناة .

(٩)

وهكذا بحث المحاصرون دون علم انعدوا الى ثيوداتس في روما
 يطلبون منه القدوم لمعاونتهم بأسرع ما يمكن . ولكن لم يكن ثيوداتس
 مستعدا قط للحرب اذ انه كان بطبيعته ثابت الهممة كما سبق القول .
 ويقولون ان شيئا آخر حدث له وهذا الشيء أزعجه للغاية وجعله أكثر
 قلقا . ولكن من قبلي لا أصدق هذا الادعاء . فقد كان ثيوداتس
 حتى قبل هذا الزمن ميالا لعمل استقصاءات من أجل التنبؤ
 بالمستقبل ، وفي الوقت الراهن كان في حيرة شديدة بما ينبغي أن يفعل
 في هذا الموقف الذي كان يواجهه وهي حالة تفتت الرجال على البحث عن
 التنبؤات لذلك استفسر من أحد الجرائيين المشهورين جدا في مجال
 النبوءة عن نتيجة الحرب . وأمره الجرائي أن يقيد ثلاث جماعات بها
 عشرة خنازير يضعهم في ثلاثة أكواخ ، وبعد أن اصطلم أسماء القسوط
 والرومان وجنود الامبراطور على التوالي ، أمره أن ينتظر بهدوء لبضعة
 أيام . وفعل ثيوداتس ما قيل له . عندما أتى اليوم المحدد ذهبوا سويا
 الى الأكواخ ونظروا الى الخنازير ووجدوا أن الخنازير التي أخذت اسم القسوط
 ماتت جميعها ما عدا اثنين ، على حين أن الخنازير التي أخذت اسم
 جنود الامبراطور بقيت جميعها على قيد الحياة ما عدا عددا قليلا منها
 أما بالنسبة للخنازير التي أطلق عليها اسم الرومان حدث أنه رغم سقوط
 النسر من جميعها الا أن نصف عددها بقي على قيد الحياة وعندما

شاهد ثيوداتس هذا وضمن حقيقة نتيجة الحرب انتلبه خوف كبير إذ أنه علم جيدا أن هذا سوف يكون مصير الرومان أى وفاة نصف عددهم وحرمانهم من ممتلكاتهم . وعزيمة القوط وانخفاض عنصرهم الى عدد قليل منهم وأن الفتح سوف يأتى الى الامبراطور مع فقدان عدد قليل من جنوده ولهذا السبب يقولون أن ثيوداتس لم يشعر بأى قوة دافعة تحته على خوض معركة مع بليزارىوس . وفيما يتعلق بهذه القضية فليترك كل واحد يحبر عن نظرياته وفقا لمعنيته أو عدم تصديقه فى هذا الشأن .

ولكن بليزارىوس الذى حاصر أهل نابولى برا وبحرا بدأ يشعر بالضيق وفكر أنهم سوف لا يستسلمون له . وفضلا عن ذلك لم يستطع أن يتوقع أن المدينة سوف يتم الاستيلاء عليها إذ أنه وجد أن موقعها يشكل عائقا لا يستهان به . وازدواج نغية بسبب اضاعة الوقت ذلك لأنه كان يجرى حساباته لكى يتحاشى الاضطراب للوفوف أمام ثيوداتس وروما فى موسم الشتاء . وكان قد سبق له أن أعطى أوامر الى الجيش لحزم الامتعة للرحيل حيث كان ينوى أن يعادر المكان بأسرع ما يمكن — ولكن بينما كان فى بحيرة كبيرة تصاليف لحسن الحظ أن قابل ما يأتى :

فقد قبض على لئد الأيسوريين وهى يحاول بناء القناة المائية ، واكتشف كيفية توصيل الماء الى المدينة . لذلك دخل مكانا بعيدا عن المدينة حيث كان بليزارىوس قد لقتحه وواصل السير على طول الطريق لا يجد لية صوبية إذ أن الماء كان قد توقف بسبب انقطاعهم للقناة المائية .

حينما بلغ نقطة ما بالقرب من السور الدائرى إتجه نحو مسخر كبير لم يقم الإنسان بوضعه فى هذا المكان وإنما كان جزءا من التشكيل الطبيعى فى هذا المكان . والذين بنوا القناة المائية قبل سطوات عديدة مضت بعد أن قلموا بربط بنائى الأهرار بهذا الصخر واصلوا العمل

وشقوا نفقا من هذه النقطة وهي ليست عريضة عرضا كافيا وانما تكفي ليمر رجل من المرور من خلالها واعداد ممر الماء . ولم تكن سرعة القناة المثبتة بذاك العرض في كل مكان ، وواجهة احداهما ضيقة في هذا الصخر بحيث يصعب على رجل ما المرور منه خاصة اذا كان يرتدى درعا أو يحمل غطاء واقيا وعندما لاحظ الأيسوري هذا ، بدا له أنه ليس من المحال للجيش أن يتوغل الى المدينة اذا ما قاموا بشق النفق في هذه النقطة بنسبة يسيرة ، حيث انه كان هو ذاته رجلا متواضعا ولم يتجاذب اطراف الحديث ، دائما مع أي من القواد لذلك أبلغ الأمر لبوكاريس *Paucaris* وهو ايسوري لمع نجمه وارتفع شأنه بين حراس بليزارايوس . وعليه قام بوكاريس على الفور بإبلاغ الأمر بالكثمة الى القائد . وحيث ان بليزارايوس فرح بهذا البلاغ لذلك تشجع من جديد ووعد بكثافة الرجل بأعطائه مبالغ والفره من المال وبثلاثي استماله الى إجراء محاولة من المحاولات وأن يشارك معه بعض الايسوريين لشق ممر في الصخر بأسرع ما يمكن ، مع العناية بعدم السماح لأحد أن يقتبه الى ما كانوا يفعلونه ، ثم قام بوكاريس باختيار بعض الايسوريين ممن كانوا لائقين بالكامل لهذا العمل ، ودخل سرا معهم داخل القناة المائية ووصلوا الى المكان حيث كان الممر في الصخر ضيقا وشرعوا في العمل معتقدين ان قطع الصخر بالصافور أو المول خشية أن يكتبه الأعداء الى طرفاتهم ويكتشفوا ما كانوا يفعلون ، وانما قاموا بكشفه باستمرار بأدوات خديعة عادة . وتم اتمام العمل في فترة وجيزة بحيث يتمكن رجل ما يرتدى درعا ويحمل غطاء واقيا من التلنقل في هذه النقطة .

ولكن حينما تمت جميع ترتيبات فكر بليزارايوس في أنه اذا بما اضطر الى الدخول مع الجيش الى نابولي هربا فسوف يترقب على ذلك فقدان ارواح كثيرة وسيحدث للمدينة ما يحدث دائما عند اقتحام الأعداء ، لذلك استدعى ستيفانس *Stevens* في الحال وتعلم كالأجي :

ولقد شاجعت هزل عديدة الاستيلاء على المدن وعلى دراية تامة

بما يحدث في مثل هذه الحالات ذلك لأنهم يقتلون جميع الرجال من كل الأعمار . وأما بالنسبة للنساء رغم أنهن يتمتعن الموت إلا أنهم لا يتمتعون نعمة الموت وإنما يحملونهن للاعتداء الأثيم عليهن ويتعمدان المساملة المنكرة التي يرثي لها ، والأطفال الذين يحرمون على هذا النحو من العناية والتربية المناسبة يجبرون على أن يتجرعوا كأس العبودية بالاضافة الى الرجال الذين يرتكبون أبغض الأعمال حيث يروون على أيديهم دماء آبائهم . ولم يقتصر الأمر على هذا يا عزيزي ستيفانس ذلك لأنني لم أذكر الحريق الهائل الذي يدمر جميع الممتلكات ويمحو جمال المدينة . وعندما أرى — كما لو كنت أرى في مرآة المدن التي تم الاستيلاء عليها في الأزمنة القامبية — عندما أرى مدينة نابولي تسقط ضحية لمثل هذا المصير فاني أثار لدرجة الشفقة عليها وعلى سكانها ذلك لأن مثل هذه الوسائل استكملت الآن ضد المدينة وأصبح أمر الاستيلاء عليها لأحد من مملكتي أرجو أن مدينة كهذه أدم فيها كل من المسيحيين والرومن^(١) في الأزمنة السحيقة لا تواجه مثل هذا المصير وعلى الأخص على يدي بصفتي قائد وحدات الرومان . وهذا ليس لأن جيشي يتكون من جموع غفيرة من البرابرة الذين فقدوا أخوات أو أقرباء أمام أسوار هذه المدينة لأنني سوف أعجز عن التحكم في غضب هؤلاء الرجال إذا ما تم الاستيلاء حتما على المدينة حربا . وعليه فلا يزال الأمر في وسعي لاختيار المسار الأفضل وتنفيذه سوف يعود عليك بالفئحة ، ليجب والمسار الأفضل وتحاشي سوء الحظ ذلك لأنه إذا أصبت به ومن المرجح أنه سوف يعصيك لسوء لا تلوم الحظ فصب وإنما أيضا حكمك الخاص » .

وبهذه الكلمات أذن بليزاريوس لاستيفانيس بالانصراف . وذهب إلى شعب نابولي بلكيا وأبلغ بالتهيب الحادث كل من كان قد سمع قوله من

(١) تشير من هنا إلى كل من الذين قتلوا في مذبحة القديس
والحواريون الذين تناولوا دماء المسيح البها . (الترجمة)

بليزاريوس . ولكن حيث نه لم يتدر لأهل نابولي أن يصحبوا أتباعا
للاجراطور دون معاقبة لذلك لم يدخل الخوف فى قلوبهم ولم يقرروا
بعد الرضوخ لبليزاريوس .

(١٠)

وأخيرا قام بليزاريوس من ناحيته بوضع الترتيبات اللازمة لدخول
المدينة كما يلى : فقد اختار ٤٠٠ (أربعمائة) رجل عند ختول المساء
وعين ماجنوس Magnus قائدا عليهم : وقاد الأخير كتيبة من سلاح
الفرسان . وأمرهم اينيس Ennes زعيم الايسوريين جميعهم أن
يضعوا دروعهم ويمسكوا أغلبيتهم الواقية وسيوفهم وألباء على هذا
الوضع فى حدود حتى يقوم هو بنفسه بأعضاء الإشارة . استدعى بيزنس
Byzess وأصدر له الأوامر كى يبقى معه . ذلك لأنه كان يريد التسلل
معه فيما يتعلق بموضوع معين خاص بالجيش . وحينما كان كل شىء نيل
على ما يرام شرح للمجنوس واينيس المهمة الملقاة على عاتقهما وأشار
الى المكان الذى سبق له أن اقتحم فيه القناة المثلثة وأمرهم بتسيدة
الى ربمائة رجل داخل المدينة مع أخذ وسائل الاتصال معهم : كما أنه
بث معهم - رجلين ماهرين - فى استعمال البوق حتى يتمكنوا بمجرد
الدخول داخل السور الدائرى من اتيان المدينة واستنزال رجالهم بما كانوا
يفعلونه وكان يعد هو بنفسه خطا كبيرا من السلطان سبق بنالها قبل
ذلك .

وهكذا دخل هؤلاء الرجال القناة المثلثة واستجروا فى السبر صوب
المدينة على حين بقى مع بيزنس وفوشويس فى مركزه وظل يصاحبتهم
يشرف على جميع التفاصيل كما أنه بث برسلة الى المسكر يأمر الرجال
بالبقاء مستيقظين والاحتفاظ بأسلحتهم فى أيديهم . وفى الوقت ذاته
احتفظ بقوة كبيرة بجواره - مكونة من الرجال الذين كانوا فى احتجاره
شجع الرجال - ولأن حوالى نصف عدد الرجال الذين كانوا فى طريقهم

الى المدينة أصابهم الذعر امام الضر وعادوا ادراجهم وحيث أن ماجنوس
 لم يتمكن من اقناعهم باتباعه رغم أنه حثهم على ذلك مراراً وتكراراً
 أنه عاد معهم الى القائد . وبعد أن قدم بليزارىوس بتوبيخهم أخذ
 ٢٠٠ من الوحدات العسكرية وأمرهم بالذهاب مع ماجنوس . و
 فوشىوس أيضاً قيادتهم ووثب داخل مجرى القناة المائية و
 بليزارىوس منعه عن ذلك . أما الذين هربوا من قبل من الأعداء
 شعروا بالخزي من القائد وفوشىوس وتبعوا الآخرين . وحيث
 بليزارىوس كان يخشى أن يتتبعه بعض الأعداء من عملياتهم وهم ١١
 كن لهم حرس يقوم بهراسة البرج الذى تصادف وجوده بالقرب
 انقضاء المائية . لذلك ذهب الى هذا المكان وأمر بيزاس بمواصلة حدة
 هناك باللغة القوطية مع البرابرة إذ أن غرضه كان الصلابة دون حد
 أى رفيع أسلحة يمكن سماعه . وبناء عليه صاح بيزاس فيهم بصـ
 عال يحث القوط على الاستسلام لبليزارىوس ووعدهم بمكافآت كـ
 ولكنهم سخرؤا منه وانغمسوا في اطلاق شتائم كثيرة موجهة نكـ
 بليزارىوس والامبراطور . وانتشل بعد ذلك بليزارىوس وبيزاس

وأن فلن قناة نابلى لم تكن منطقة فقط حتى تقاربت أسوار المد
 ولكنها ظلت كذلك وامتدت الى اتجاهات بعيدة فى قلب المدينة مذ
 قنطرة عالية من الطوب الأحمر . لذلك عندما نفذ الرجال تحت قيـ
 ماجنوس واينيس داخل التجميعة هيجزوا حتى عن التخمين أين كـ
 فى هذه الدنيا . وفشلا عن ذلك لم يتمكنوا من مناداة القناة المائية فى
 نقطة منها حتى وصل أغلبهم الى مكان حيث تصادف أن كانت القنـ
 المائية دون سقف وحيث كان يوجد مبنى مهجور تماماً ، وكان داخل المـ
 مسكن لأمراء تعيش على انفراد وكان القنـ الكلل ولحقها الزحيم
 وخارجه كانت شجرة زيتون قد تفرعت على القناة المائية ، وعليه عـ
 رأى هؤلاء للرجال السقاء ولاحظوا أنهم كانوا فى وسط المدينة . و
 فى التخطيط بشأن كيفية امكان خروجهم ولكن لم يتبن لديهم أية وـ
 القدرة للغة المائية سواء بلسلحهم أو بدونها ذلك لأنه

الهيكل عاليا جدا في هذه النقطة . وفشلا عن ذلك كانت وسائل التسليح الى القعة معدومة . ونظرا لأن الجنود كانوا في حالة من الحيرة السديدة وبدأوا يكتفون في هذا المكان وايضا لاستمرار تدفق الرجال الفدسين من الخلف بدأ حشد غفير يتجمع ، لذلك فكر أحدهم في محاولة الصمود . وعليه ألقى السلاح ، تسليح مستعملا يديه ورجليه حتى بلغ بيت الخراف . وبعد أن ظهرت أمامه هددها بالقتل أن لم تترك السكوت ، وقد أصيبت بالذعر وظلت صامتة . ثم قام بربط سير قوى الى جذع شجرة الزيتون وألقى بالطرف الآخر داخل القناة المائية . وهكذا تمكن الجنود من إصباح هذا الطرف والصمود بصمودية . وبعد أن سعد الجميع وبقي الجزء الرابع من الليل شرعوا في الاتجاه الى السور وقاموا بقتل اثنين من حرس الأبرج دون أدنى فكرة عما حدث من قبل الرجال وكان هؤلاء الرجال بداخلها وكانت هذه الأبرج تقع على الجزء الشمالي من السور الدائري . حيث كان بليزاريوس مرابطا مع بيزاس وفوشوس وهم مشغولو البال على ما سوف يتمخض عنه الموقف . وعلى حين كان البواقون يستدعون الجيش للقدوم الى السور ، وكان بليزاريوس يضع السلام قبالة التصفينات يأمر الجنود بالصمود عليها . تصادف أن أيا من السلام لم يصل الى حافة التراس ذلك لأن الشمال لم يقوموا بصنمها على قياس السور وبالتالي تحذر عليهم الوصول الى القياس المناسب . ولهذا السبب تم قيد كل اثنين معا ، وبإستعمال هذه الطريقة دون غيرها، تمكن الجنود من الصمود فوق منبسط التراس ، وهكذا سارت مجريات الأمور .

ومن ناحية السور الدائري الذي يواجه البحر حيث كانت القوات المرابطة للحراسة من غير البرابرة ولكثمن من اليهود ، كان الجنود عاجزين عن استعمال السلام أو تسلق السور ذلك لأنه سبق لليهود أن أضربوا المدو وذلك بسبب مجهوداتهم للاستيلاء على المدينة دون حركة ، ولهذا السبب لم يكن لديهم أمل اذا ما وقموا تحت سيطرتهم . لذلك استمروا يقاتلون بحداد رغم انه كان من المستطاع ملاحظة أن

المدينة كانت على وشك الاستيلاء عليها . وعندما أتى النهار قام بعض الجنود الذين كانوا قد صعدوا إلى السور بالزحف مدحهم ، وأخبروا نوا هارين حيث إن النيران كانت تطلق عليهم ، وتم الاستيلاء على نابولي - ٥٣٣ م - بطريقة عاصفة . وفي هذه اللحظة اقتحمت الأبواب ودخل الجيش الروماني بأكمله . ولكن الجنود الذين كانوا مرابطين بالقرب من الأبواب المواجهة للشرق تصادف وجود سلام نديهم لمانعوا النار في هذه الأبواب التي كانت بالجبهة دون حراسة ذلك لأن هذا الجزء من السور - كان مهجورا إذ أن الحراس ولوا هارين ثم حدثت مذبحة كبرى ذلك لأن جميعهم كانوا في حالة غضب شديد لا سيما هؤلاء الذين افتقدوا أخا أو قريبا قتل في الحركة أمام السور . واستمروا يقتلون كل من يتصادف وجوده أمامهم دون رحمة لا يفرقون بين المسيحي أو الشهاب . وقد اندفعوا داخل البيوت واسترقوا النساء والأطفال وسلبوا الثغالب . وفي هذه الأفعال تلقى المسيحيين Messagerae (١٧) على غيرهم ذلك لأنهم لم يمتنعوا حتى عن سلب الأماكن المقدسة وعندما يقتل العديد من الذين لجأوا إليها كملاذئ لهم إلا أن بليزاريوس الذي زار كل جزء من المدينة وضع حدا لهذه الحالة واستدعى الجميع وتحدث اليهم كالآتي :

« بما أن الله أعطانا الفتح وسبغ لنا بالروح أوج المجد وذلك باستيلائنا على مدينة لم يسبق أن استولى عليها أحد ، لذلك ينبغي علينا من جانبنا ألا نبرهن على أننا غير جديرين بنسبته ولكن يتعين علينا أن نتعاطى بمعاملة إنسانية تجاه المتحررين وأن نولسح بكل جلاء أننا انتقمنا على هؤلاء الرجال بالفعل لذلك يجب ألا نكرهوا أهل نابولي نرحا

(١٧) المسيحيين يتنبهون إلى إحدى القبائل المسيحية التي قدمت من وسط أستراليا وقد حملت الأرائين القروية قبل نهر الاموداريا . وقد اناسوا في القبائل الجماعية في الأسبانيا على الأراضي الريفية وفكروا وطن لهم .

لا حد له ولا نهاية ولا تسمحوا لعدائكم نحوهم بأن تستمر خارج حدود الحرب ذلك لأنه حين ينهزم الرجال فإن المنتصرين لن يعودوا يعقتونهم .

وسوف تتخلصون من الأعداء في المستقبل بقتلهم وإنما سوف تمانون من فقدان شخص عزيز من خلال وفاة أتباعكم ، لذلك كنوا عن إيذاء هؤلاء الرجال واكبحوا جماح الغضب ذلك لأنه من العار السيطرة على العدو والظهور بمظهر من يغلبه الانفعال النفسي ؛ لذلك عليكم أن تكتفوا بامتلاكات هؤلاء الرجال حتى تكون بمثابة مكافأة مقابل جسارتكم، ولكن اتركوا زوجاتهم وأطفالهم وأعيدهم إلى الرجال ، واجلسوا القصورين يملون بالخبرة نوعية الأسداء ، الذين أنتدوهم نتيجة الدفعية الحمقاء .

ويعد أن تكلم بليزاريوس على هذا النحو قام بإخراج عن زوجات وأطفال أهل نابلي والسبيد إذ أنه تم يلن أو يسب أحدا منهم . وأعاد الوثام بين الجنود والمواطنين وهكذا تحول أهل نابلي بعد أن كنسوا أسرى إلى الحرية . بالإضافة إلى أنه أعاد إليهم ممتلكاتهم ذلك لأنه من أخفى الذهب أو أى شيء ذا قيمة بدفنه تحت الأرض استطاع أن يخفيه عن أعين الأعداء والدليل على ذلك أن من عاد إلى دياره استرد أمواله أيضا . والحصار الذي كان قد دأب لأكثر من عشرين يوما انتهى على هذا المنوال . أما بالنسبة للقوط الطين وقدموا في الأمان في المدينة وعسدهم كان لا يقل عن ثمانمئة قام بليزاريوس بوضعهم تحت الحراسة وجنبهم أى أذى إذ أنه كان يقدرهم تقديرا لا يقل عن جنوده .

أما عن باستور Pastor الذي كان قد قاد الشعب إلى هزير الحفلة كما سبق أن بينت هذه الواقعة ، حينما شاهد الاستيلاء على المدينة أصيب بطفوة من السكتة المخية ، وتوفي فجأة رغم أنه لم يسبق له أن مرض أو هانى من أى لذي من أى شخص كان . ولكن اسكتيبديوس الذي ارتبط معه في هذه المأثرة تقدم أمام بليزاريوس مع هؤلاء

انوجهاء الذين ظلوا على قيد الحياة . وسخر ستيغافانوس منه وقام بسجبه
بهذه الكلمات :

« انظر يا أخط الرجال إلى مدى الإصرار التي جلبتها لوطنتك . فقد
بعث أمان المواطنين مقابل الولاء للقوط . وفصلا عن ذلك إذا ما سارت
الأمر جيداً بالنسبة للبرابرة فسوف تكون قد طالبت بحقك في أن تكون
أجيراً في خدمتهم وتقديم كل واحد منا إلى المحاكمة ، نحن الذين أعطينا
أفضل نصيحة وذلك بتمه محاولة التحرير بالمدينة إلى الرومان ولكن
الآن بعد أن استولى الامبراطور على المدينة وانقضت استقامه هذا الرجل
وسمحت لك وقاحتك أن تتقدم إلى الامبراطور بكل استهزاء كما لو لم تكن
قد تسببت في أي أذى لأهل نابولي أو لجيش الامبراطور ، فسوف
نتال العقاب الذي تستحقه » . وهكذا كانت الكلمات التي القها
ستيغافانوس بشدة ضد اسكليبيديوس « أن كان قد تألم للغاية بسبب
سوء حظ المدينة » واجاب اسكليبيديوس عليه كما يلي :

« بلا تمتد أيها السيد النبيل أمطرتونا بوابل من المديح حينما
ابتمنونا على ولائنا للقوط ذلك لأنه لم يستطيع أحد أن يكون وفيها
دوماً لأسياده عندما يكونون في حالة من الفطريه عدا إذا كان هذا
الموقف نتيجة عقيدة راسخة أما بالبنية لي فسوف يجد المنتصرون في
ذاتي حارساً حقيقياً للدولة كما وجدوا في ذاتي : هؤلاء في وقت قريب
المدد إذ أن طبيعة الشخص الذي يتميز بالوفاء لا تتغير عقيدته حينما
يقوم بتغيير قدره ، ولكن سوف تستمعون أنتم إلى محادثات مهاجميهم
إذا قلت أقدارهم عن الأزدهار أسوة بالملئى » . وهكذا كانت كلمات
اسكليبيديوس .

ولكن قطعاً رأيت طمة الناس من أهل نابولي عاتداً من عند
بيلزوليوس ، تجمهوا وبدلوا في اللاء المسئولية على عاتقه وذلك عن
كل ما حدث لهم . ولم يتركوه إلا بعد أن قتلوه وجرعوا جسده لربا لربا .

وبعد ذلك توجهوا الى دار باستور ييخون عنه . ولما أصر
الخدم على أن باستور كان ميتا أبوا أن يصدقوا إلا أن قام الخدم
بالكشف عن جسد الرجل وقام أهل نابولي بخرقه بسيخ في ضواحي
المدينة ثم توسلوا الى بيليزاريوس لكي يصفح عنهم بسبب أفعالهم
عندما دفعهم المنصب الى ارتكاب هذه الحماقات . وبعد أن نالوا العفو
تفرقوا وهكذا كل من مصر أهل نابولي .

(١١)

نظر القوط الذين كانوا في روما الى نيوداتس المكتوف اليهذين
بدهشة كبيرة ذلك لأنه بالرغم من أن العدو كان بجوارهم إلا أنه كان
يرفض انشراكهم في المعركة . وفذلك انشبهوا فيه معندين أنه كان يعون
تحركات القوط تجاه الإمبراطور جستنيان بإرادته الكاملة . ولم يلق بالا
لأي شيء سوى أن يتمكن هو بذاته من المشي في هدوء ويحصل على
أكبر قسط ممكن من المال . وعليه حينما علموا بواقعة الاستيلاء على
نابولي شرعوا على الفور في توجيه كل هذه الاتهامات شدة وعلنا وتجمعوا
في مكان على بعد ٢٨٠ « ستيد »^(١٢) عن روما (أطلق الرومان على هذا
المكان اسم ريجاتا^(١٣)) ، وبدأ لهم من الأفضل أن يسكروا في هذا
المكان بسبب السهول الواسعة التي تستخدم مرعى للخيول ويجري النهر
أيضا في هذا المكان ويطلق عليه السكان اسم ديسينوفيوم^(١٤) باللغة
اللاتينية لأنه يجري بعد ١٩ صخرة ، وهي مسلفة تبلغ ١١٣ « ستيد »
قبل أن يعبر داخل البحر على مقربة من مدينة تراسينا ، والقرب من
هذا المكان يوجد جبل سرجيوم حيث تقبل أدونيسوس مع سرجي^(١٥)

(١٢) الستيد وحدة رومانية قديمة للطول .

(١٣) بالقرب من تراسينا Terracina

(١٤) الكلمة مركبة من مقطعين Novem, Decan ومعناها

عشر وهو تشكيل قديم والنهر كان مجرى من قناة قديمة من في لوريوم

Appel Forum الى تراسينا Terracina

(١٥) وقد وردت هذه الأحداث في الألبانة وأوديسيا لهوميروس .

كما يقولون رغم أن القصة تبدو فيه جديرة بالتصديق ذلك لأن هوميروس صرح أن مسكن سيرسي كان يقع على جزيرة ومع ذلك استطاع القول أن هذا هو سيرميوم الذي يمتد بعيدا داخل البحر وهو يشبه الجزيرة حتى أنه يبدو بالنسبة للذين يجرون بالقرب منه « وبالنسبة للذين يسبحون على الشاطئ ، بحذائه ، يبدو من جميع الوجوه كالجزيرة ولم يدرك المرء أنه غيب أمله في رأيه السابق إلا حين يصعد فوقه » ولهذا السبب ربما أطلق هوميروس على هذا المكان اسم جزيرة « وسوف أعود إلى القصة السابقة »

اختار القوط والأيطاليون بعد أن تجمعوا في وبيجنا ملكا عليهم يدعى (فيتيجيس) Virgiss والرجل رغم أنه ليس من بيت عريق إلا أنه سبق له أن اكتسب شهرة كبيرة في معارك سيرميوم^(٢١) عندما كان ثيودريك يواصل الحرب ضد الجيبيدي .

ولذلك عندما علم ثيودانس بهذه الوقائع انطلق وأخذ الطريق إلى رافنا ، ولكن فيتيجيس بحث بسرعة أوبراتس Opratis وهو قوطي ، وأعطاه التعليمات باحضار ثيودانس حيا أو ميتا ، والآن تصادف أن أوبراتس هذا كان معاديا لثيودانس لسبب القتل : كان أوبراتس يتوحد إلى امرأة شابة كانت وريفة وعلى جانب وفير من الجمال . ولكن ثيودانس بفعل الرشوة تمكن من تخفية هذه المرأة لرجل كثر ، لذلك ثارت نفس أوبراتس وأراد الانتقام من ثيودانس كما أراد أن يؤدي أيضا خدمة لفيتيجيس . ولذلك طارد ثيودانس بطلب شديد وحصل . ولم يتوقف واستمر في المطاردة ليلا ونهارا ، ولحق به بينما كان لا يزال في طريقه ووضع على ظهره في الأرض وقضى عليه كذبيحة للقربان — ديسمبر

(٢١) كتبت بمعرك سيرميوم ليوم حكم ثيودريك وللاسونا وابنهما التلاريك — وقد خلفها القوط ضد الجيبيدي الذين حاولوا أن يستولوا على هذه المدينة .

٥٥٦ م - وهكذا اختتم نيوداتس حياته وحتمه الذي كان قد بلغ
العام الثالث .

وزحف فيتيجيس Vitiqis والقوط الذين كانوا معه الى روما .
وبعدما علم بما حدث لنيوداتس، اغتبط لهذا الخير ووضع شيودييجيسكنوس
Theodegiscus ابن نيوداتس تحت الحراسة ، ولكن بدا له ان
ترتيبات القوط غير مكتملة ، ولهذا السبب فكر انه من الأفضل الذهاب
أولا الى رافينا ، وبعدما يقوم باعداد كل شيء هناك بأفضل أسلوب
ممكن ، يستطيع بعد ذلك خوض الحرب ، لذلك استدعى جميع
القوط وتحدث كالآتي :

« يتوقف نجاح أكبر المغامرات يا أيها الجنود الرفقاء ، على وجه
المعوم ليس على العمل المتسرع في اللحظات العرجة فحسب وإنما
أيضا على التخطيط الدقيق ذلك لأنه في كثير من الأحيان جلبت خسارة
التأخير في الوقت المناسب أكبر النفع من الخطة المسبقة ، وأسرع في
وقت غير مناسب أبطأ أمل نجاح العديد من الرجال ذلك لأنه في كثير
من الحالات يكون هناك رجال غير مستعدين رغم أنهم يهاربون بشروط
متساوية ، هؤلاء يسهل قهرهم بقدر أكبر عن الذين يدخلون المعركة
بأقل استعداد ممكن وقوة أقل ، لذلك فلا تترك الرغبة ترفعا ننكسب
شرعا مؤقتا يؤذيها أذية لا تموض ذلك لأنه من الإحميل أن نعاني من
الفشل لمدة وجيزة ونكسب مجدا أبديا عن الأملات من السباب في اللحظة
الراحة وبذلك نترك في الظلام بعد وقت معين . »

ولا شك انكم تعلمون أكثر مني أن جيش القوط الكبير وتقريباً
جميع معدائنا موجودة في غالة والبنفنية وفي أبعد الأراضى . وبغلا
عن ذلك فانتنا نواصل حرباً ضد بلاد الفرنج وهي حرب لا تنل أهمية عن
هذه الحرب . ومن الصعلة لنا أن نسير في حرب أخرى قبل تسوية هذه
الحرب بطريقة مرضية ذلك أنه من الطبيعي للذين يمحون مرعسين

فلهجوم على كلا الجانبين ولا تقتصر يفلتكم على عدو واحد أن يتغلب
 خصومهم عليهم . ولكنى أقول أننا ينبغي أن نذهب رأساً من
 هنا إلى رافينا وبعد قيامنا بلنا، الحرب ضد الفرنج ونسوية جميع
 أمورنا بأحسن ما يكون وما يمكن . يجب علينا - ومما جيش الفسوف
 بأكمله - أن نحارب ضد بليزاريوس . وأرجو من كل واحد منكم ألا
 يحاول أن ينافق فيما يقتضى بالانسحاب أو التردد وهو ما نسميه هروباً
 ذلك لأن لقب الجبان انتقد العديد على حين أن شهرة الجسارة التي
 اكتسبها بعض الرجال في الأوقات السيئة أدت بهم فيما بعد إلى الهزيمة
 ذلك لأن الأمر ليس بأسماء الأشياء وإنما الخبرة بالفائدة التي تأتي من
 الشيء ذلك أن أعمال رجل ما لا تكشف عن قيمته في بدايتها وإنما في
 نهايتها . وفيما يتعلق بالاستيلاء على هذه المدينة فلا نتروكوا الضوف
 يدخل في قلوبكم ذلك لأن الرومان أوفياء لنا وسوف يهرسون المدينة
 لنقوم وسوف لا يلائمون أية مشقة لأننا سندرد إليهم في خلال فترة
 وجيزة . ومن جهة أخرى إذا أمرنا لنا أي أذى فسوف يؤذونا
 بنسبة أقل من استتابل العدو داخل المدينة لأنه من الأفضل القتال في
 الهواء ضد أعدائنا . ومع ذلك فسوف أعمل على ألا يحدث شيء من هذا
 لتقبل لأننا سنترك في الخلف العديد من الرجال وزعيمات متحفظاً للغاية .
 وسوف يكونون بأعداد كافية لمراقبة روما بطريقة فعالة إلى حد أن الموقف
 سوف لا يكون لثامنا فحسب بل أيضاً بحيث لا يميننا أذى يمكن أن
 يأتيها من استتابل هذا .

ومكذا تحدث فيتيغيس وأبقى جميع الظروف استصلنا واستعدوا
 للرحيل . وقام فيتيغيس بعد ذلك بمناشدة سطريركس Severus (٢٨)
 وهو أسقف المدينة ومجلس الشيوخ وشعب الروم أن مذكراً أيامهم بعد
 ثيودريك ، وحتم جنهما على الولاء لدولة القوط وحظهم اليمين الخاصة

(٢٨) التسمية سطريركس بلغا إلى روما سنة ٥٣٦ م ٥٣٧ م .
 (الفرجة)

على التصرف على هذا الموال واختار عددا لا يقل عن أربعمائة رجل وعين
 نيدريس Loudens قائدًا عليهم . وهو رجل ناضج تمتع بشهرة كبيرة
 في الإتران والتفعل ، وذلك حتى يستطيعوا حراسة روما للقوط ثم شرع
 في الرحيل إلى رافينا مع بقية الجيش محتفظا بأغلب الأعضاء في
 مجلس الشيوخ كرهائن وعندما بلغ هذا المكان ، تزوج من ماتاسونثا
 Metasuntha ابنة أمالاسونثا وهي فتاة ذات عمر يؤهلها للزواج .
 ولكن ضد إرادتها وذلك بغية تأمين حكمة بطريفة أكثر ضمانا باتفراته
 بأحد أعضاء أسرة ثيودريك وقام بهد ذلك بتجميع القوط من كل ناحية
 لتنظيمهم وتجهيزهم ووزع عليهم الأسلحة والخياد ، ولم يتمكن من
 استدعاء القوط الذين كانوا مرتبططين بمهمة حماية غالة خوفا من الفرنج .
 وكان يطلق على هؤلاء الفرنج اسم « الجرمان » في الأرملة القديمة
 وساقوم الآن بسرديك وطلدت في بادئ الأمر أقدامهم في غالة وأين
 عاشوا قبل ذلك ، وكيف صاروا معادين للقوط .

(١٢)

عندما يقوم أحد بالبحار من المحيط إلى داخل البحر المتوسط
 في جاديرا Gadir^(٤٩) فإن الأرض التي تقع على الجانب الأيسر
 كما سبق ذكره في القصة السابقة تسمى أوروبا ، على حين أن الأرض
 المقابلة لها تسمى ليبيا ، وفي صلالة أبعد آسيا . والآن فإني عاجز عن
 التحدث بدقة على المنطقة خارج ليبيا ذلك لأنها خالية من الناس على
 وجه التقريب ، ولهذا السبب فإن المصدر الأول للنيل الذي يقولون أنه
 يتدفق من هذه الأرض صوب مصر غير معروف^(٥٠) . ولكن لأوروبا في

(٤٩) تقع جاديرا في جنوب إيطاليا على البحر المتوسط . (الفرجة)

(٥٠) الموطت الجغرافية والطبيعة التي يوردها بروكوبوس في
 (الفرجة)

بدايتها بالذات تشبه الى حد كبير اليبليونيوز^(٥١) وتواجه البحر من الجانبين . والأرض التي تقع أولا حوب المحيط والغرب تسمى أسبانيا وهي تمتد لغاية جبال الألب من حت البرانس . واعتاد رجال هذه الأرض سميها بالمر الضيق « الألب » . والأرض من هذا المكان حتى حد ليجوريا Liguria تسمى غالة .

وفي هذا المكان تفصل جبال الألب أخرى أهل غالة وأهل ليجوريا ومع ذلك فإن غالة أوسع بكثير من أسبانيا وهي هكذا بطبيعتها الحال أوروبا التي تبدىء بشبه جزيرة غيقة تتسع بالتدريج إذ أن أحدا تتقدم هي بلغ عرضا خارقا للمادة ، والمساء يحاصر هذه الأرض على الجانبين إذ أن المحيط يحيط بها شمالا وعلى جنوبها البحر المسبحيرة توسكاني . وتجري عدة أنهار في غالة ومن ضمنها الرون والراي ولكن حيث أن مسار النهرين في اتجاهات معاكسة لذلك يسبب أحدهما بحيرة التوسكاني على حين يسبب الراين في المحيط^(٥٢) . وهناك بحير كثيرة في هذه المنطقة حيث عاش الجرمان في سالف الممر والزمر . وهم دولة بربرية لم يكن لها وزن يذكر في البداية . ويطلق عليهم اسم الفرنج وعاش بعد هؤلاء الأريوريكي^(٥٣) وكانوا اتباعا للرومان سالف الممر والزمان ومعهم باقي غالة وأيضا أسبانيا وما بعدهم في الشرق استوطن البرابرة الثورجتيان^(٥٤) إذ أن لوطسطين كان قد أعطى

(٥١) اليبليونيوز « شبه جزيرة المورة » حاليا . هي تسمية يونانية لهذه المنطقة التي كان لها طريق حقل في الممرور اليونانية البلد وهي مركز للحضارة الجبلية بدأ السطحية ينفذون عليها منذ ذلك حانا على مركزها الحضري . (المخرجة)

(٥٢) هذه الجبله الخليفة المصنود بها وصف الإقليم الذي يقع في الراين ولكن في هذه الآونة أرض غلبت واستغلت . (المخرجة)

(٥٣) هذا الشعب الذي أطلق عليه بروكوبوس لقب الأريوري المروزي أنهم الأريوريكي Armorici ولذا كقروا هم لهم يسكن السطحية المعروف باسم بلجيكا Belgium .

هذه النبؤة^(٥١) . ولم يمش البرجنديين بعيداً عنهم تجاه الجنوب^(٥٢) وعاش السويبي^(٥٣) أيضاً ما بعد النورثجيان والألماني^(٥٤) وهي دول قوية كل هؤلاء استوطنوا هناك كشعوب مستقلة في الأرمنة المبكرة .

حيث أن الوقت كاد ينقضى لذلك افترض الفوط الغربيون Visigoths الامبراطورية الرومانية واستولوا على أسبانيا بأكملها وكذا جزءاً من غالة الذي كان يقع ما بعد نهر الرون^(٥٥) وجعلوها تابعة لهم .

وفي غضون ذلك تصادف أن أصبح الأريوريكي جنوداً للرومان . وحيث أن الجرمان أرادوا إخضاع هذا الشعب لهم بسبب قرب أقيمتهم منهم وكانوا قد غيروا الحكم الذي عاشوا تحته في سالف العصر والزمان ، لذلك قاموا بسلب أرضهم . وبما أنهم كانوا متلهفين لشن الحرب ، لذلك زحفوا هم مع شعبيهم بأجمعهم ضدّهم . ونحن أثبت الأريوريكي جسارتهم وولاءهم للرومان وأظهروا بسالة في هذه الحرب . وحيث أن الجرمان لم يتمكنوا من التغلب عليهم عنوة لذلك أرادوا أن يتوددوا إليهم وربطوا الشعبين بأواصر النسب والتزاوج ولم يمارس الأريوريكي على هذا العرض بثلثا ذلك لأن كلا الشعبين من المسيحيين . وبهذه الطريقة اتحدا في شعب واحد وأصبح لهما قدرة كبيرة .

والآن كان هناك جنود رومان آخرون مرابطون على حدود غالة لكي يؤديوا خدمة الحراسة . وحيث أن هؤلاء الجنود لم يكن لديهم وسائل العودة إلى روما وفي الوقت ذاته كانوا رافضين الاستسلام إلى أعدائهم الذين كانوا من الأريوسيين لذلك قاموا بإعطاء أنفسهم ضلع

(٥١) تلح الآن في الجنوب الشرقي لالمقيا .

(٥٢) تلح الآن في الجنوب الشرقي لفرنسا .

(٥٣) عاشوا في المنطقة بين موطن الجرمان والبرجنديين .

(٥٤) في منطقة بلوغاريا الحالية .

بهبط بعد دخل الفرنج والقوط في حلف دفاعي ضد البرجنديين
 على ما كان عليه وجوب إرسال جيش خدمهم . كما أنهم وافقوا على أنه
 إذا ما تنسب أي جيش حين يذهب الآخر إلى الميدان ويقوم باستقامتهم
 ويكتسب الأرض ففي هذه الحالة ينبغي على المنتصرين أن ينشقوا مبلغا
 ثابتا من الذهب من هؤلاء الذين لم ينضموا إلى الحملة كرامة وأن
 تستولى على الأرض بناء على هذه الشروط . وهكذا ذهب الجرمان ضد
 البرجنبيين ومعهم جيش كبير وفقا لاتفاقية فيما بينهم وبين القوط .
 ولكن ثيودريك كان لا يزال مشغولا بترتيباته كما قال ، وظل يرجئ عن
 قصد مغادرة الجيش إلى اليوم التالي منتظرا ما قد يتمسّض عنه
 الموقف . وفي نهاية الأمر أرسل الجيش ولكنه أمر القواد بالزحف دون
 عجلة وإذا ما علموا أن الفرنج انتصروا فعليهم أن يذهبوا بعد ذلك بسرعة
 أما إذا علموا أن نكبة قد حلت بهم فعليهم أن يتوقفوا ويبقوا في المكان
 الذي وصلوا إليه . وعليه شرعوا في تنفيذ أوامر ثيودريك وفي غضون
 ذلك اشترك الجرمان والبرجنديون في المعركة دون سواهم ودخلت
 المعركة في دور من التنازع الشديد ووقعت مذبحة كبيرة على كلا الجانبين
 ذلك لأن الصراع كان متكافئا للغاية . وفي نهاية الأمر تمكن الفرنج من
 تشتيت فلول عدوهم ودفعوا بهم إلى حدود الأرض التي كانوا يسكنون
 فيها في ذلك الوقت حيث كانت لديهم قلاع كثيرة ، على حين استولى
 الفرنج على كل ما تبقى . وعندما علم القوط بهذا أتوا بسرعة على مقربة
 منهم . وحينما علم حلفاؤهم بتأنيبهم تأنيا حادا فقد ألغوا النتيجة على
 صعوبة الأرض وبعد أن قاموا بدفع مبلغ الكرامة اقتسموا الأرض مع
 الظافرين وفقا لاتفاق المبرم . وهكذا ظهر بعد نظر ثيودريك أكثر
 وضوحا عن ذي قبل لأنه مع قليل من الذهب كان قد اكتسب نصف
أرض عدوه دون فقد أي شخص من أتباعه وهكذا استولى القوط
 والجرمان في البداية على جزء محدد من غالة .

فيما بعد حينما تمت قدر الجرمان أكثر فأكثر بدلوها ، يستغلون
 ثيودريك والملك الذي كان يوحى به ، وعليه نزلوا إلى ميدان المعركة

فد الأريك والقوط الغربيين ، وعندما علم الأريك بهذا استدعى ثيودريك بأسرع ما يمكن وشرع في معاونته ومعه جيش كبير . وفي غضون ذلك حينما علم القوط الغربيون أن الجرمان كانوا في معسكر بالقرب من مدينة كاركاسيانا^(٦٠) ، ذهبوا لمقابلتهم وبعد أن أقاموا معسكرا ظلوا في حالة من الهدوء ولكن بما أنهم قضوا وقتا طويلا في عرقلة العدو بهذه الطريقة .. فلذلك انتابهم الاستياء وحيث أنهم شاهدوا العدو يقوم بسلب أرضهم لذلك سخطوا عليهم .

وفي نهاية الأمر انهالوا على الأريك بالسباب بسبب خوفه من العدو ووجهوا اليه توبيخا بتهكم لاذع بسبب تأخير صهره ذلك لأنهم أعطوا أنهم هم أنفسهم كانوا ندا للعدو في المعركة وأنه بالرغم من عدم المعانة إلا أنهم يستطيعون التغلب بيسر على الجرمان في الحرب . ونهضا السبب انظر الأريك الى الاشتباك مع العدو (٥٠٧ م) - فب وصول القوط وحيث أن الجرمان كان لهم اليد الطولى في هذا الاشتباك لذلك قتلوا أغلب القوط الغربيين وحاكمهم الأريك . ثم استولوا على أكبر جزء من غالة واحتجزوه وحاصروا كاركاسيانا بحماس كبير لأنهم كانوا قد علموا أن الكنز الملكي كن مدفونا هناك وكان الريك الكبير في الأزمنة الماضية قد أخفاها - كخفية جديدا استولى على روما - ٤١٠ م - . وكان أيضا من ضمن هذه الكنوز كنوز بطليموس ملك المصريين^(٦١) . وكان أعظمهم بترين والزعرد الذي استولى عليه الرومان في قديم الأزمنة من القدس^(٦٢) . ثم أعلن من بقي حيا من القوط الغربيين أن جيزريك

(٦٠) في غالة ونسب لثيودريك واسمها القوطيون وقد انقضا بروكوبس حيث دارت المعركة التي وصلها بيجولر بوتانيه . (الخرقة)

(٦١) بقصد بذلك سيدنا سليمان .

(٦٢) متنا استولى تيودور Thus على روما سنة ٧٠ م انتقل هذا الكنز المبني اليه من روما سنة ٤١٠ م وبما بقي من كنوز اليهود استولى عليه جيزريك حاكم الوندال . متنا فزا روما سنة ٥٥ م . انظر :
Deaneslyt pp. ٤٨.

Gislec ابن غير شرعى لألريك ذ ان أمالاريك Amelic
ابن شقيقه ثيودوريك كان لا يزال طفلا صغيرا . وبعد ذلك عندما أتى
ثيودوريك ومعه جيش القوط ، صار الجرمان خائفين وحلوا الحصار .
وهكذا انسحبوا من هناك واستولوا على جزء من غالة فيما بعد نهر
النرون حتى المحيط وحيث أن ثيودوريك كان عاجزا عن اخراجهم من هناك ،
لذلك صرح لهم بالاحتفاظ بهذا الاقليم ولكن هو ذاته قام باسترداد باقى
غالة وبعد أن وضع جيزليك خارج الطريق ومنع حكم القوط الغربيين
لحفيده أمالاريك وكان بالنسبة له منذ طفولته وصيا عليه . وبعد أن أخذ
النقود بأكملها المودعة فى مدينة كاراكاسيانا — سار بسرعة عائدا إلى
رافينا . وبالإضافة إلى ذلك استمر فى إرسال قواد وجيوش داخل غالة
واسبانيا ويتولى السلطة الحقيقية بذاته وبما أنه كان من الشروط أن
يتولاها بأمان وبصفة دائمة : لذلك أصدر أمرا بأن يقوم حكام هذه
البلدان بإداء ائادة له ورغم أنه تلقى هذه الائادة كل سنة إلا أنه أرسلها
كهدية سنوية إلى جيش القوط والقوط الغربيين حتى لا يعضى الاحساس
بأنه جشع . ونتيجة لذلك قام القوط والقوط الغربيون بخطبة أطفالهم
لبعضهم البعض بمرور الوقت إذ أن رجلا واحدا كان يحكمهم ويحتفظ
بذات الأرض ، ومن ثم ضم العنصرين فى النصب .

فيما بعد تزوج ثيوديس وهو قوطى كان ثيودوريك قد أرسله
بصفته قائدا للجيش تزوج امرأة من اسبانيا . ولم تكن هذه المرأة من
عنصر القوط الغربيين لكنها كانت تنتمى إلى بيت أحد السكّان الاثرياء .
لذلك الأرض . ولم يمتلك هذا الرجل ثروة كبيرة فصحب بل ليثا ضخمة
كبيرة فى اسبانيا . ومن هذه الضخمة جمع حوالى ٢٠٠ ألفين من الجيود
وأعطى نفسه بقوة خاصة من الحرس وعلى حين كان حاكما على القوط
يغضل انعام ثيودوريك عليه . كان بالليل طائفة مائة فى المائة .
وكان ثيودوريك الذى تميز بالحكمة والفناء إلى أعلى درجة متفهما

من مواصلة الحرب ضد عبده الخاص خشية أن يقوم الفرنج بإرشاد الميدان ضده بطبيعة الحال ، أو من شروع القوط الغربيين في حركة تعرد ضده . وبناء عليه لم يعزل ثيوديس Theudis من منصبه بل استمر في إصدار الأوامر له كلما ذهب الجيش للقتال . ومع ذلك أعطى تعليمات إلى أول رجل من القوط كي يكتب لثيوديس بأنه سوف يتصرف تماما وبطريقة جديدة بحكمته إذا ما جاء إلى رافينا ليحسني ثيودوريك ورغم أن ثيوديس نفذ جميع أوامر ثيودوريك ولم يقصر في إرسال الاتاوة السنوية إلا أنه سوف لا يوافق على الذهاب إلى رافينا أو على الوعد للذين كتبوا له بأنه سوف يتصرف على هذا المنوال .

(١٣)

وبعد أن ترك ثيودريك هذا العالم « توفي » - (٥٢٦ م) - نزل الفرنج إلى ميدان المعركة ضد الثرينجيان إذ أن الطريق كان خائبا لهم دون مواجهة أي شخص يتأوهم . ولم يقتلوا زعيمهم هيرمينفريدس فحسب ولكنهم أخضعوا أيضا الشعب بأكمله لهم . ولكن زوجة هيرمينفريدس Hermenetrice أخذت أطفالها وهربت سرا متجهة إلى شقيقها ثيودانس الذي كان يحكم القوط في ذلك الوقت . وبعد ذلك قلم الجرمان بشن هجوم على البرجنديين الذين بقوا على قيد الحياة اثر الحرب السابقة وبعد أن هزمهم في المعركة قاتلوا بحرص زعيمهم في إحدى قلاع البلد ووشغوه تحت الحراسة في حين أخضعوا الشعب لهم ، وأجبروهم بصفقتهم أسرى حرب على الزحف منهم منذ ذلك الحين ضد أعدائهم . كما أنهم أخضعوا لهم كامل الأرض التي سبق للبرجنديين أن سكنوا فيها . وأصيب أمريك Amalric الذي كان يمارس حكمه على القوط الغربيين بالعلم عندما تولي القوط السلطة ولذلك تزوج من ثيودبيرث Theudbert حاكم الجرمان وقام باقتسام غالة مع القوط وابن عمه أثالاريك Atalric وفك القوط الأرض الواقعة شرق

نهر الرون وهي بمثابة نصيبهم على حين أن الأرض الواقعة في الغرب وقعت تحت سيطرة القوط الغربيين .

وقد تم الاتفاق على أن تبطل الاتاوة التي لمرضا نيودوريك لتدفع إلى القوط وقلم أمالاريك Amlric بأمانة وعدل يرد جميع الأموال التي كان قد أخذها من مدينة كاركاسانيا إلى أمالاريك Amlric .

وحيث أن هاتين الدولتين اتحدتا بالترواج لذلك سمحنا لكل رجل كان قد تزوج من زوجة من الشعب الآخر أن يختار إما اتباع زوجته أو احضارها بين أهله وشعبه . وكان هناك العديد ممن قادوا زوجاتهم إلى أهل الشعب الذي يفضلونه وأيضاً كان هناك العديد ممن انتقدوا بواسطة زوجاتهم .

فيما بعد أساء أمالاريك إلى شعور زوجة شقيقه لذلك كان يمانى من نكبة كبيرة ذلك لأنه على حين كنت زوجته تتبع المذهب القسوم « الأرثوذكس »^(٦٢) اتبع هو بدعة أريوس وسوف لا يسمح لها بالولاء بمعتقداتها الاعتيادية أو أداء طقوس الدين وفقاً لتقاليد آبائها ، وبغضاً عن ذلك حيث أنها كانت تأسى أن تستجيب إلى عاداته ، لذلك كان ينظر إليها بعين الازدراء .

وحيث أن المرأة كانت غير قادرة على تحمل هذا ، لذلك طلعت باغشاً الأمر بأكمله إلى شقيقها . ولهذا السبب شرح أنجرمان والقوط الغربيون في الحرب فيما بينهم ، وكانت المنافسة في الحركة شديدة لمدة طويلة . ولكن أمالاريك Amlric انهزم في آخر الأمر وفقد العديد من رجاله وقتل هو ذاته في هذه المعركة . وأخذ ثيوديرت Theodert وشقيقته المال بأكمله وجزءاً مساوياً لنصيب القوط الغربيين من غلة ،

(٦٢) كان هؤلاء جميعاً تابعين لمذهب إبيسجوس المبداى لاريوس .
(الفرقة)

ومن بقي حيا من المهجورين وهاجر من غالة مع زوجته وأطفاله وذهب إلى
ثيديس في أسبانيا الذي سبق أن لعب دور الطاغية علنا . وهكذا فعل
القوط والجرمان واستولوا على غالة .

فيما بعد^(١٢٠) قام ثيوداس حاكم القوط عندما علم أن بليزاريوس
كان قد قدم إلى صقلية قام بمقتل^{الجرمان} اتفاق مع الجرمان حيث تم الاتفاق
على أن يكون لدى الجرمان هذا الجزء من غالة الذي كان من نصيب
القوط وأن يتسلموا ٢٠ (عشرون) سنيناريا من الذهب وفي المقابل
يبنون عليهم أن يعاونوا القوط في هذه الحرب . ولكنه قبل تنفيذ
الاتفاق قدر المقدور له وكان لهذا السبب أن قام العديد من نبلاء القوط
مع زعيمهم ماركياس Marcias بمهمة الحراسة في غالة . وكان هؤلاء
الرجال الذين عجز فيتيجيس Vitiis عن استدعائهم من غالة . ولم
يمتدحوا أن عددهم يكفي لمناوأة الفرنج الذين يحتل جدا أنهم سوف
يكتسبون كلا من غالة وإيطاليا ، إذا ما قام بالزحف مع جيشه اتجه
نحو روما . لذلك استدعى جميع من كانوا مواليين له ضمن القوط وتحدث
كما يلي :

« ان النصيحة التي أردت أن أعطكم أياها بعد أن جمعتكم هنا في
الوقت الراهن ليست نصيحة سارة ولكن هي ضرورية ذلك لأن الأمور
لا تشير كما يريد الرجال فمن غير المناسب لهم أن يتمرفوا بترتيباتهم
العالية غير عابئين بالحاجة أو الخط .

والآن ترتيبتنا للحرب في أحسن حالة من جميع الوجوه الأخرى ،
ولكن يجدر الإشارة أن الفرنج يشكلون عائقا لنا . وقد بذلنا حيلنا
ومالنا ضدهم وهم أعداؤنا منذ القدم ، ومع ذلك وفقنا في الصمود حتى
الوقت الحاضر إذ أنه لم تقم أي قوة عدائية أخرى بمواجهتنا . ولكن

(١٢٠) انظر بوزوكيوس روليه التي قطعها بالمسطرات بحيرة يدات
من جزء ١٢٠

الآن حيث انه يتعين علينا أن نسير ضد أي خصم لذلك فمن الضروري أن نضع حدا للحرب ضدنا . وفي المقام الأول إذا ما ظلوا معادين لنا فسوف يرتبون أنفسهم بكل تأكيد مع بايزاريوس ضدنا ، ذلك لأن الذين يواجهون ذات العدو يميلون بطبيعة الحال إلى انشاء علاقات الصداقة والتحالف مع بعضها البعض وفي المقام الثاني ، فإذا وصلنا الحرب على انفراد ضد كل جيش سيكون مصيرنا القهر على أيدي كل منهم لذلك فمن الأفضل لنا أن نتقبل الاقتال من الخسارة والحفاظ على أكبر جزء من مملكتنا عن تهلثنا للاستحواذ على كل شيء يدمره العدو ونفقد في نفس الوقت السلطة والسيادة بأكملها . لذلك أرى انه إذا أعطينا أمالييم غالة للجرمان ومع هذه الأرض جميع الأموال التي وافق تيوداس أن يعطيها لهم فسوف لا يتحولون من عداوتهم لنا فحسب وإنما سوف يعمدون يد المونة لنا في هذه الحرب .

ولكن عند تحسين أحوالنا ، فبهاهي طريقة إعادة الاستيلاء على غالة، سوف لا يدخل أحدكم في الاعتبار هذه المسألة في وقت لاحق ، هناك مثل قديم يدور في مخيلتي يقول « خسر حلاً مناسباً للامور في الوقت الراهن » .

وعند الاستماع إلى هذه الخطبة تمنى القسوط تنفيذها حسب مصالحهم وبناء عليه فوضوا مندوبين عنهم فوراً إلى بلاد الجرمان بنية منحهم أراضي بلاد غالة بالإضافة إلى الذهب ، وتوفير اتفاقية تحالف هجومية ودفاعية . وكان زعماء الفرنج في هذا الزمن **أيدلبرت** **Idelbert** و **ثيوديبورت** **Theudibert** و **كلوداريوس** **Clovis** تسلموا بلاد غالة واقتسموا الأراضي بينهم وفلسا للمناطق التي يحكمونها . كما اتفقا على المزيد من الصداقة مع القسوط وأمدوهم سرا بالجيوش المساعدة من غير الفرنج بلو جنود من أتباع النجل الغلفسة لسيطرتهم ولما استمال عليهم عقد تحالف على مهم لمواجهة الرومان بعد أن

سبق لهم الاتفاق منذ فترة وجيزة على مساعدة الإمبراطور في الحرب عاد القديسون إلى رافينا بعد انتهاء مأموريتهم في هذه الأرض فكتب فيتيغيس « انذارا إلى «ماركياس» وأتباعه »

(١٤)

أثناء قيام فيتيغيس Vitiensis بلميزاريوس استمداداته للتوجه إلى روما ، لذلك اختار ثلاثمائة من قوات المشاة بقيادة «هيروديان» Herodian وكلفهم بحماية مدينة نابولي ، كما بعث إلى مدينة كومي حامية اعتقد أنها كافية لحراسة قلعتها - فلم تكن هناك استمداد قوية في كميانيا ما عدا تلك الموجودة في نابولي وكومي - كومي كانت المنطقة المكونة خارج الكهف المعروف بكسييد كما أن كومي تقع على ساحل البحر على بعد مائة وعشرين ستاد «الاستاد يوازي ١٠٠ قدم تقريبا من نابولي» واضطر لميزاريوس أن يجهز جيشه ويكون على أهبة الاستعداد ، أهل روما كانوا خائفين من أن تحل عليهم الويلات ، فرأوا أن المستحسن السماح لجيش الإمبراطور بدخول المدينة حتى لا يحدث ما حدث مع أهل نابولي .

وبالإضافة إلى ما حدث فقد حثهم سيلفيريوس Silvius أساقفة المدينة على المنس في هذا الاتجاه ، لذلك فقد بعثوا بغيره Videllus وهو من ميلانو الكاتبة في ليجوريا وهو مستشار «أنتالريك» السابق (يطلقون الرومان اسم كويستور^(١٦)) على

(١٦) يشترط الكويستور بمنصب هام على أساس أنه يستلزم للإمبراطور في الأمور القانونية ومن مهامه صياغة ونشر القوانين الجديدة

هذا الرجل « . نيدعو بليزارىوس لنحضر الى روما بعد أن وعدوه بتسليمه المدينة بدون قتال لذلك فقد خرج بليزارىوس بجيشه من نابولى على الطريق « اللاتيني » تاركا أعلى شمامه طريق ابيان والذي أنشاه أبىوس قنصل الرومان منذ مئة سنة من قبل وتطلق اسمه عليه فيما بعد .

يبلغ طول طريق ابيان مسافة رحلة تستغرق خمسة أيام بالنسبة للمسافرين الذين لا يقتلون أنفسهم بالأمنه لامتداده من روما الى كابوا Capua كما يتسع عرض الطريق لعربتين تسيران في عكس الاتجاه . ويعتبر هذا من أجل المناظر العنالية ذلك لأن حجرها بصفة عامة من حجر الرخى^(١) الصلب بطبيعته . إذ قام أبىوس بتقطيعه فى محاجر بعيدة ونقلها هناك . ولا يوجد مثيلها فى هذه المنطقة^(٢) . وبعد تقطيع الأحجار لتكون منبسطة ومسطحة وتتنوع الى أشكال متعددة الجوانب ، جمعها مع بعضها البعض دون سبب بالأمنه أو غيره . وقد تم اتخاذ الربط بينها بدقة . وسداد التوصلات بينها حتى يخيّل للناظر أنه ليس هناك ربط بينها بل انها التصمت تماما . وحتى بعد مضي هذا الفترة الطويلة من الزمن وبعد مرور الحديد من العربات والحيوانات يوميا عليها لم تنفصل عنها التوصلات ولم يتآكل الحجر لو تكل كثلثه ولا يزال يحتفظ بلمعانه .. هذا إذن هو طريق « ابيان » .

وبالنسبة للقوط المكلمين بالحراية فى روما فلم يهتموا بالأمر الا بعد علمهم بالقتال الحاد الوثائقي ، وبعد أن علموا بقرار الرومان فقد

(١٦) وهو المعروف بقبرزلة وقد بناء لبيوس ، كلوديوس الذى كان يرافها سنة ٤١٢ م - فى الموضع شبكة الطرق العربية - وعرفت الطريق باسمه ووجه من الباب الابيوس ويسمى مير لايوم - كابلها - سلبيوم - وابولايوم حتى ميناء برنديزى ويصل الى الشرق . (المترجمة)

(١٧) بطريق غلطة خطا حيث انه منسوبه لبراكين فقد وجدت حجرا كثيرة على طول الطريق . (المترجمة)

احتصوا بالمدينة ولكن نظرا لجزء من مقاومة الجيش المهاجم في
 فقد شعروا مسبقا بالضرورة ولكن فيما بعد وبعد الحصول على موافقة
 الرومان فقد رحلوا على التو متوجعين الى رليفيا واعتقد أن
 « لودريس » ^{١٢٤} شعر بالفخذي من موقفه - فلم يبرح
 وحدث في نفس اليوم وفي نفس الوقت أثناء دخول بليزاريوس وال
 الامبراطوري في روما تحت البوابة المسماة «بوابة زيبيريان» أن
 القوط خارج المدينة من خلال بوابة أخرى مسماة «فلامنيان» هذا
 خفضت روما لتيطرة الرومان مرة أخرى بعد مضي سنتين عاما في
 التاسع من الشهر الأخير المعروف بـ «ديسمبر» عند الرومان -
 وفي العام التالي عشر من عيد الامبراطور جستنيان ٥٢٨ م -
 بليزاريوس «الآن لودريس» قائد القوط ومعه مذبح البوابة
 الامبراطور ولحقه وجه اهتمامه الى الحائط الدائري الخدم في
 من أجزائه . واعادة بناء جناح على المسافات على طول سور القلعة
 وأشرف سورا وثالثا على الجانب الأيسر ^{١٢٥} . لوقاية المدخلين على
 من المهاجمين والعدائين التي تتهاول عليهم من مهاجمي السور على
 الأيسر كما حفر خلفا لقدام السور ذات حلق كاف يقوم بدور فعال
 في الدفاع ، ولتجنب الرومان من التجهيزات القلعة ولحصة خبرته
 تجهيز سور القلعة - ولتكم تجهيزا كافيا وتملككم الفئس لمجرد
 القلعة في السور التي روما اذ سيطرة القلعة في حالة البصار د
 هناك لاستحالة حصار المدينة وتحويلها حيث انها تبعد عن البحر و
 لتصلها داخل أسوار مرتفعة ^{١٢٦} . وفوق سور هذه المدينة مقدمة
 سلة متسلو تعلقا وسهل للمهاجمين لاعتصاما ، هذا وبالرغم من الا

الى كل هذه الاستعدادات فان بليرار يوس استمر في تعزيز الاستعدادات،
للقولمة الحصار وقام بتفريز الخلل التي احضرها معه على سفنه داخل
صوامع عامة وزودها بقنطرة وأرغم الرومان على احضر كافة المواد
التعويبية لديهم من الزيت رغم سخيمهم على ذلك .

(10)

في هذا الوقت تلوح « بيزاس » Bizzas أحد الطوط المميزين أصلا في مقاطعة « سامنيوم » Samnium في خدمة بيزاريوس ويستتصرف كذلك كل مواضع الطوط المميز في هذه المنطقة . وسمم اليه نصف مضاعفة « سامنيوم » المصدرة على ساحل ليبحر وحتى النهر الذي يجري وسط هذه المنطقة . ورمي الطوط المميز في الضفة الأخرى من النهر - الانضمام إلى بيزاس أو انخسوع لسيغفرد الأمبراطور . وقد سمى بيزاريوس عدد غنيلا من الجسود لمساعدته في حراسة هذه المنطقة وحتى قبل هذه الفترة خضع ثل أهلي كلابريا Calabria وأبوليا Apulia من قلعة انضمام لبيزاريوس لعدم وجود قوم من الطوط في أراضيهم وكنوا في الأصل يقيمون في السواحل والآخرون داخل الأراضي .

ومن بين المدن الدلفية تلك الحنية «بلفور» المروفة عند الرومان
تدعى بـ «مافينوس» حنية الكنعان العظيم التي يذكر بستر «مستوس»
«الريح» بقلة اللاتينية «لما» ويرجع ذلك لأن على «التي» الكتابة
لعم الحنية على السهل الإكبر من البحر تب عليها ربح مملكة . وعند
يستطيع من أي رجل قتل من حلفاء . ويتكرر تلكه جميعا إلى
الإمام دلف الخازن والانتظار . وقد بلغت قوتها ربح حجة له تصل

(٢٤) كان الاسم في الأصل = مقيمتهم = فجرا عن قبائح الزوجة
 قبله : الزوجة من قبله : القوم من قبلها . (الترجمة)

رجلا وجواده ونطيح بهما في الهواء، ثم نندما في بوابة الى مسافة بعيدة نذفهما على الأرض أينما كلنا وتقتلها ، وقد حدث في هذه الآونة أن تنفقتو تواجه دالماتيا كما سبق أن نوهت وهي مرتفعة لذلك فانها تعرضت الى بعض الضرر المنسب عن هذه الريح .

شيد ديوميديس Diomedes بن تايدوس Tydous هذه المدينة قديما بعد طرده من أرجوس Argos (٧١) على اثر سقوط طروادة . وترك للمدينة كرمز له أثياب الشنيزير « الكاليسدونى » Calydonian وكان عمه ميليجر Meleager قد حصل على الأثياب كجائزة صيد وهي لا تزال هناك حتى وقتى هذا ، منظرها جميل ومفيد اذ تبلغ عا لا يتل عن سبعة وعشرين بوصة وهي هلالية الشكل يقال ان في هذه المدينة تدبيل أيضا ديوميديس Diomedes مع ايناس Aeneas ابن أثشيز Anchises اثر عودته من اليوم وثبته لطلب الآلهة ووهب له تمثال أثينا الذى اختتمه بمصاحبة أوديسيوس عندها دخل الاثنان طرواده للنجس قبل أن يقتحمها الاغريق ، ويرويان قصته على أنه سقط مريضا في وقت لاحق وأجرى يحوثا عن مرضه وأجابت الآلهة أنه سوف لا يشفى من مرضه الا بعد أن يهدى هذا التمثال الى أحد رجال طرواده ، وعن مكان وجود هذا التمثال في العالم يعترف الرومان بعدم علمهم بمكانه ، ولكن حتى وقتى هذا أخرجوا نسخة منه منحوتة على نوع معين من الحجر في معبد « فورتون » Fortune بهوار تمثال « أثينا البرونزى » والمعروض مكتوف في الجزء الشرقى من المعبد تمثل النسخة الحجرية وجه امرأة في موقف القتال وهي تمد رمحها استعدادا للقتال ورغم ذلك لمي ترتدى فستانا يتدلى في قدمها ولكن الوجه لا يشبه وجه

(٧١) تقع أرجوس Argos شمال شرق البليونيز اليونانية « شبه جزيرة إلودة »

تعاثلث أثينا اليونانية بل تشبه بصفة عامة أعمال قدماء المصريين ولكن البيزنطيين يقولون ان الامبراطور قسطنطين اخرج هذا التمساح من انساحة التي تحمل اسمه (١٣) ، ووضعه في مكانه الحالي ولنكتفى بهذا .

هكذا استولى بليزاريوس على كل هذه المقاطعة من ايطاليا تقريبا التي تمتد جنوبى خليج ايونيا حتى روما وسامنيوم Samnium والمنطقة الكائنة شمال الخليج حتى ليبورينا Uburina والتي سبق ان فتحها ايضا قسطنطين من قبل ، وسوف اشرح الآن كيفية انقسام ايطاليا بين سكان المنطقة ويتوطن البحر الادرياتيكي (١٤) بعيدا داخل القارة ويشكل خليج ايونيا ولكن لا يكون برزخا عند نهايته مثل غيرها من الأماكن عندما يتوغل البحر داخل الاراضى . وعلى سبيل المثال فان خليج كريسيوم Crisaeum المعروف الذى ينتهى في ليكوم Lechaum حيث توجد مدينة كورنثة تشكل برزخا عند المدينة باتساع أربعين ستاد ، وخليج هلوس (١٥) المعروف بالخليج الأسود يشكل برزخا على شيرسونيز Chersonese بنفس اتساع كورنثة وبنفس الحجم تقريبا ، ولكن من مدينة راينا حيث ينتهى عندها خليج ايونيا الى البحر التوسكانى مسافة يقطعها المسافر الذى لا يجعل متاعا في أقل من ثلاثة أيام . ويرجع السبب الى توغل الخليج وشدة اتجاهاه الى اليمين . وأول مدينة على الخليج هي درايسوس Dryos المعروفة الآن بـ « هيدروس » وعلى اليمين يقطن قوم « الكالابريان » والابولين والسكنيت وجوارهم البيسانى وتمتد مقاطعتهم حتى مدينة راينا وعلى الجانب الآخر يقطن

(١٣) يقع سوق قسطنطين على مسافة بسيطة غرب الهيرودوم - ومن أهم الآثار هذا السوق الذى ما زال موجودا ويعرف باسم السوق المحترق .

(١٤) هو الادرياتيک وهو يمتد جزءا من البحر المتوسط يقع بين ابريقيا في الجنوب وصقلية وايطاليا في الغرب ويغلب اليونان ولبيروس في الشرق وهو البحر الادرياتيک .

(١٥) هو الآن خليج سلروس شمال غرب شبه جزيرة فكيولى .

بلغى قوم الكلابريان والبروتى واللوكاني حتى مدينة تراسينا ومقاطع
تجاور روما . احتلت هذه الشعوب سواحل البحرين والأراضي الدا.
لهذه البلاد فى إيطاليا هذه المقاطعة معروفة منذ القدم بأ-
« ماجناجرسيا » وإلى جانب قوم البروتى Bruttii يوجد ق-
« الإبيزيريان » Epizephurian ولوكريان Locrian وسكان كرو
Corton وثورى Thuri وعند شمال الخليج فإن أول من -
الأغريق المشهورون بالابروت وحتى مدينة أبيدามوس على البه-
وبجوارها توجد أرض بريكليس Praecis وبمدها مقاطعة دالمث
وتعتبر جزءا من الامبراطورية الغربية ، وعند هذا الموقع توجد ليمو
Liburina ^(٢٥) وإستريا Istria وأرض البنادقة الممتدة .
مدينة رافينا تقع هذه البلدان على ساحل البحر وعند هذه المنطقة و-
قوم السيسى Sicii والسويفى Suavi الغير خاضعين للفس-
وكذلك مجموعة أخرى يقطنون فى الداخل وبعدهم يوجد قوم الذ-
Cami والنورىشى . Norici وعلى يمين المذكورين اذ يا
الداكيين Decian البانونيين Pannonians الذين استولوا
مستن كثيرة ومنها سينجيدونوم Singidunum وسيره
Sirmium ^(٢٦) وتمتد حتى نهر إيستر ^(٢٧) وتخضع هذه الش-
المقيمة الآن شمال الخليج لثيونيا لسيطرة القوط عند نشوب هذه الحرب.
وكان يقيم قوم الليجوريان وبعد مدينة رافينا على يسار نهر البو و
شمالهم قوم الألبانى Albani على أرض جيسدة معروفة بلد
لانجوفيللا Langovilla وبعدها البلاد الخلفسة لسيطرة الفرنج

(٢٥) فى الآن كرواتيا .

(٢٦) فى بلغراد الآن .

(٢٧) نهر إيستر هو نهر الدانوبه الآن .

نخضع الأراضي الكائنة غربا لغائه ويعملها ثلاثين وعلى يمين مصر
البرتوجاد اميليا Aemilia^(٧٨) والشعوب التوسكانية التي تمتد حتى
حدود روما . وتكتفى بهذا .

(١٦)

هكذا استولى بليزاريوس على كل أراضي روما المعتدة حتى نهر
التيفير ، وحصلها ، وبعد أن جهزها على أحسن حال سلم إلى قسطنطينوس
عددا كبيرا من حرسه الخاص وبسببتهم مجموعة من حاملي الرماح
ومعهم مساجتاي زارتر Messagetea Zarter وخورسوموس
Chorsomanus واسخاموس Aeschamus ومعهم جيش ، ثم أمرهم
بالتوجه نحو توسكاني لفتح المدن في هذه المنطقة كما أمر بيزاس
بالاستيلاء على نارينا Narina وهي مدينة حمينة في توسكانيا
وكان بيزاس Bises المذكور نوحى المولد وسين أن أقام في تراقيا
منذ زمن طويل ، هذا ولم يتبع ثيودوريك عندما قاد القوط إلى إيطاليا
وكان في ذلك الوقت رجلا قويا ومدتلا قديرا وقائدا من الدرجة الأولى
وفي نفس الوقت رجلا بارعا في القتال . استولى بيزاس على نارينا .
لكن ليس بعد رغبة أهل المنطقة كما استولى قسطنطينوس على بروزيا^(٧٩)
في سبوليتيوم^(٨٠) وغيرها من المدن دون عمامه وإيطاليا أحد توسكانيا
في مدينتهم بحفاوة بالغة ، لذلك فإنه أن تفسخ صلته في سبوليتيوم
أقام هناك بجيشه في بروزيا ككل مدن توسكانيا .

والآن عندما سمع فيتيغيس بما حدث أرسل مملوكه جيشا بقيادة
اونيلاس Unilas وبيزاس وقد تقابل قسطنطينوس مع هذا الجيش في

(٧٨) مملكتها بلاكشيا « بيلكزا » .

(٧٩) حاليا بروجيا .

(٨٠) حاليا سبوليتو Spolito .

ضواحي يروزيا وانتبك معهم وسارت الحركة في أوتها متكافئة بين الطرفين نظرا لتفوق البرابرة عدديا ولكن تغلب الرومان عليهم بعد ذلك بسبب بسالتهم وأجبروهم على الفرار . وإثناء الفرار قتل الرومان البرابرة كلهم تقريبا ، كما اعتقلوا قواد العدو وهم أحياء وأرسلوهم إلى بلزاريوس . ولما سمع فيتيجيس بما حدث رفض المكوث في رافينا هادئا إذ تورط بها بسبب غياب مارسياس *Marcus* ورجاله الذين لم يحضروا بعد من بلاد الغال لذلك فقد أرسل إلى دالماتيا جيشا جبارا بقيادة أرزيناريوس *Arsenarius* وأوليبيز الواس *Milgiasus* لإعادة فتح دالماتيا وإخضاعها لسيطرة القوط .

كما أصدر لهما أمرا بتزويد جيشهما بجيش آخر اضافى من بلاد السويث يتكون من البرابرة المقيمين هناك ثم التوجه مباشرة إلى دالماتيا وبالوئي *Salone* كما أرسل معهم العديد من السفن الحربية بغية حصار سالوني أرضا وبحرا ولكنه أسرع تخفيا بكامل جيشه ليقاوم بلزاريوس وروما على رأس قوة الفرسان والمساء بأعداد لا تقل عن مائة وخمسين ألف رجل معظمهم مدرعين كما كانت الفيلود مدرعة أيضا .

وعند وصوله إلى أرض السويث شرع أرزيناريوس في جمع جيش أكبرابرة في حين قام أوليبيز الواس بمفرده بقيادة القوط داخل ليبيورينا *Liburnia* ^(٨١) وتشبكت الرومان معهم في مكان معروف باسم سكاردون *Scardon* وهزمهم في الحركة . وانسحبوا إلى مدينة بورنوس *Burnus* وهناك انتظر أوليبيز الواس وصوله - وصول زميله - ولما علم قسطنطينوس بالاستعدادات التي يتم بها أرزيناريوس خلف على سالوني واستدعى الجنود المكلفين لحراسة القلاع في هذه المنطقة ثم قام بحفر خندق حول الأسوار الدائرية كما قام بغيرها من

(٨١) هي كراوتيا كما سبق ان ذكرنا .

لاستعدادات لمقاومة الحصار على أفضل وسيلة . وجمع اريزاربوس جيشا كبيرا من البرابرة واقاموا اعمم مدينة بورنوس وانقسم اليه هناك اوليجيزابوس وجيش القوط ثم توجه الي سونتي . واقاموا جدارا خشبيا تجاه السور الدائري ثم شحنوا تسليح بانجنود لحراسة جانب الاستحكامات التحل على البحر وبهذه الوسيلة تقدموا لحصار سسالوني ارفا وبحرا ولكن الرومان شنوا هجوما مفاجئا على سفن العدو واجبروها على الفرار كما اتفقوا الكثير منها بما عثيها من رجل وعدد واستولوا على الكثير منها بدون مقاومة . ورغم ذلك لم يثك تسوء! الحصار لم تسكوا به بقوة لي درجة انهم حبسوا الرومان داخل المدينة اكثر من ذي قبل . هذه هي مضمرات الرومان وجيوش انفسهم في دالماتشيا . وعندما سمع فينيجيس عن الاغنى القادمين من روما ان جيش بليزاربوس صغير جدا لذلك ندم على انتحاره من روما وتم يعد فدرا على تحمل الموقف اكثر من ذلك حيث تطله القصب وتندم لمقابلتهم وفي طريقه الى هناك قابل احد النكبة القادمين من روما . يقول ان فينيجيس وهو في حالته الانفعالية سأل الرجل عن مكان وجود بليزاربوس داخل روما منظره قلقة لعدم اللحاق به او ان يكون بليزاربوس قد سبقه وفر هاربا ، ولكن قيل ان الأسقف فطن الي عدم ليجو . بليزاربوس الي الفرار وانه لا يزال في موقعه . وقيل ان فينيجيس اسرع على يرى بحينه اسوار روما قبل ان يتسكن بليزاربوس من الفرار خارج المدينة .

عندما سمع بليزاربوس بقدوم القوط بكامل جيوشهم لمواجهة ، وقع في ورطة فمن جهة فهو لا يرغب في الاستثناء عن جيوش قسطنطينوس وبيزاس ، خلاصة وان جيشه ضئيل ومن جهة اخرى بدا له ان الجلاء عن الاستحكامات الموجودة في توسكانتي غير مناسب او سوف يستولى القوط على هذه القلاع لاستملاكها ضد الرومان ، لذلك وبعد دراسة الموقف ابلغ قسطنطينوس وبيزاس بالقرام وجود العمليات في الواقع المهمة بامدادك ككلية لمراحتنا وكثيرا المضور مسرعين مع

بأفي الجيش الى روما . فتقاتل فلسطينوس للبلاغ بتلك حقه اذا
 التعليمات في « بيروزيا » *Perusia* وسبوليتوم *Spolium* ثم تو
 مع ما تبقى من جيشه الى روما . ولكن بيزاس تصرف بسيطه وا
 استعداداته في نارينا *Narina* وحدث ان كان العدو مارا في طر
 هاتمات السهول وضواحي المدينة بالقوط . وهم ملاحق لبأفي القو
 واشتباك معهم بيزاس *Bisass* هجأة وارغم من اشتباك منهم
 الفرار وقتل العديد منهم ولكن أمام تفوق العدو التحدى اضطر
 الانسحاب داخل نارينا *Narina* وبعد ان اقام حامية بها تنفي
 لأوامر بليزاريس توجه مسرعا الى روما ولقاد بان العدو على وش
 الاشتباك ذلك لأن نارينا *Narina* على بعد ثلاثمائة وخمسين
 من روما لم يحاول فيتيجيس الاستيلاء على *Perusia*
 وسبوليتوم *Spolium* لأن المدينتين حصينتان اذا لم يرغب في انه
 الوقت أمامها . وكانت رغبته الوحيدة مقابلة بليزاريس قبل ان يفر
 روما . وبالإضافة الى ذلك فقد علم بسقوط نارينا في أيدي العد
 ولذلك لم يرغب في القيام بأية محاولة هناك لعلمه بصمودية الوء
 الى المكان ولشدة انحدار أرضه لأنه جنى على تل شاهر يجري ن
 فارنوس *Narnus* على قدم التل لذا سميت المدينة باسمه وهذا
 طريقان يوصلان الى المدينة أحدهما شرقي والآخر غربي وأحد الطر
 ضيق جدا ووعر بسبب للزلازل المصغور أما الثاني فلا يمكن الوء
 اليه الا عن طريق جسر فوق النهر يسهل المرور عليه عند هذه النقطة
 وتم بناء هذا الجسر في عهد أغسطس منذ زمن بعيد ويحظره جميل
 القواس أعلى الأقواس المعروفة لدينا .

هذا ولما لم يتحمل فيتيجيس فكرة إضاعة الوقت عند هذا
 فقد رحل مسرعا ومتجها مع كامل جيشه الى روما مارا في رحلته ؛

السلبين^(٨٢) وعند اقترابه من روما - ٢١ فبراير ٥٣٧ م - وعلى بعد أربعة عشر سائدا منها وصل إلى جسر فوق نهر التيبر^(٨٣) بنى بليزاريوس في هذا المكان منذ فترة وجيزة - برجاً به بوابات وأغلام به دورية جنود ليس فقط للحراسة لأن هذه هي المنطقة التي يمكن للعدو أن يعبر منها نهر التيبر (لوجود سفن وكبارى في أماكن كثيرة من النهر) . ولكن رغبة في إضاعة المزيد من وقت العدو في الرحلة إذا كان ينتظر قدوم جيش آخر من الإمبراطور ولاتاحة المزيد من الوقت للرومان بخيبة احضار الحزن لأنه في حالة صد البرابرة عند هذا المكان فإنهم سوف يحاولون العبور على جسر في موقع آخر فقد أثبت أنهم يحتلجون إلى ما لا يقل عن عشرين يوماً بل أكثر من ذلك في حالة قيامهم بنزال السفن على « التيبر » هذه هي إذا الاعتبارات التي جعلته يقيم الحامية في هذا الموقع وعسكر القوط في ذلك اليوم عند هذا المكان بعد أن أخطأوا الظن إذ اعتقدوا أن الهجوم سوف يقع على البرج في اليوم التالي . لكن وصل اثنان وعشرون من الهاربين من الجيش البربري ولكثهم جنود رومان من سلاح الخيالة بقيادة « اينوسنتيوس » Innocentius فكر « بليزاريوس » في هذا الوقت بالذات في إقامة معسكر بجوار نهر التيبر بنية عرقلة عبور قوات العدو والقيام بمظاهر الشجاعة أمام أعدائهم ولكن وكما سبق أن قيل شغل الرعب الجنود المظلمين بحراسة الجسر أمام أعداد القوط العالقة فالتحقوا يوليوليون أمام القطورة البائسة ثم هربوا من البرج ليلاً أمام استحالة الدخول إلى روما ، فقد توجهوا إلى

(٨٢) بلاد السلبين المقصود بها المنطق التي سكنها عنصر السلبى

أحد عنصر الجرمان .

(٨٣) جسر ملين وهو الذي دارت عليه من قبل معركة حربية كبرى

بين قسطنطين الكبير وخصه مكسنتيوس *Moschion* سنة ٢١٤ م
ودان له بذلك الجزء الفرس من الأبراطورية .
(المرجعة)

كامبانيا *Campania* ^(٨٤) حولها من المقلب الذي سيوقمه القائد عليهم أو
بسبب شعورهم بالمر عند الظهور أمام زملائهم *

(١٨)

وفي اليوم التالي دمر القوط بوابات البرج دون صعوبة وعبروا
إليه دون مقاومة ، وكان بليزارايوس يجهل حتى هذه اللحظة أحداث
انصافية ، لذلك أمر ألفا من الفرسان بالتوجه نحو الجسر فوق النهر
لمعاينة الأرض تمهيدا لاختيار المكان لتسكّر به قواته ، ولكن عند
اقترابهم منه وجدوا المدوّ قد عبر النهر واستبكروا مع جز ، منعدون الشعور
بالرغبة الحقيقية للقتال ودخلت قوات الفرسان من الجانبين في المعركة
حيث كن بليزارايوس في مكان آمن ولم يلق على الاحتفاظ بموقعه
القائد لذلك نزل إلى المعركة يقاتل في الصفوف الأولى مع الجنود وتعرض
تباعا موقف الرومان لخطر البالغ الداهم إذ أن مصير الحرب بين يديه
ولكن حدث أنه أمتطى جوادا يتمتع بشيرة قتالية خارقة ويعلم جيدا كيف
ينقذ راحته . فقد كان جسم الجواد رمادي اللون فيما عدا وجهه من
أعلى رأسه حتى فتحتي الأنف كان ناصع البياض وقد سمى الأخير
هذا الحصان « غاليوس » ^(٨٥) *Galios* والبرابرة « بالان » ولهذا
السبب فقد حدث أن وجه أغلبية القوط الرماح وغيرها من الأسلحة إليه
والى بليزارايوس أما الهاربون المنضمون إلى القوط في اليوم السابق
فعندما شاهدوا بليزارايوس يقاتل بين الصفوف الامامية أيقنوا تماما أنه

(٨٤) تقع كليتها على الشاطئ الغربي من جنوبي روما . (الترجمة)
مكتوب : أوربا من ١٩٦٤ .

(٨٥) ذو النحلة البيضاء « صلب الوجه الأبيض » .

في حده سفوحه سوف تنتهي نصيبه لرومن نور . فأخذوا يقتلون ويحرقون النوط بالنصوب على أجود دى الوجه الأبيض ونداء انتقل انفتاح بين أنجيش انقضى وتكلمهم لم يمتوا به ذ' انشغل القتلون في ضوضاء القتال العنيف وهم يجهلون أن هذا النداء يخص بليريس ولكن يقن البعض أن هذا انداء خاص بأشخاص معينين فقط صوبوا ضريبتهم إلى بليراريس هذا وقد تحمس كل من رأى في نفسه الشجاعة والرغبة في الحصول على الشرف وحاولوا الاقتراب منه بقدر المستطاع والامسك به ووجهوا إليه الضربات المضمومة بالرمح والسيوف . ولكن بليراريس كان يتلفت يمينا ويسارا يفتش كل من يقترب منه ، كما استند في هذه المنحطت الخرجة من وفاء مقاتليه من حاملي الرمح والحرس لأنهم أحسوا به وكما اعتقد فقد أضسروا شجاعة لا يفهم أى رجل في عالمنا اليوم إذ رموا الدروع أمام القناص والجواري دفاعا عنهما وتم يتعرضوا لضربات الموجهة اليهم فحسب ولكنهم تمكنوا أيضا من صد المهاجمين الذين وجهوا ضريبتهم اليه . وهكذا تركزت الحركة حول جسد رجل واحد . ووقع في هذه المعركة ما لا يقل عن ألف مقاتل من القوط من الذين كانوا يقتتلون في الصفوف الأولى أما مقاتلو « بليراريس » فقد قتل الكثير من القبلاء وكذلك حامل الرمح « ملكستيروس » بعد أن قاتل شجاعة فلكية أمام العدو ولكن الحظ حالف بليراريس إذ لم يصب من قذيفة واحدة ولجودة في هذا اليوم بالرغم من تركيز الحركة حوله دون غيره .

ولمخيرا أرغم الرومن العدو على الفرار بدافع من شجاعتهم وحرر عدد كبير من البرابرة وانضموا إلى للجيش الرئيسى هذا ولما كانت قوة المشاة من القوط مستريحة فانها تمتعت بالعدو وأرغسته على التثاقف دون صعوبة وعند قيام قوة اضافية من الفرسان لتدعم القوط ، اضطر الرومن إلى الفرار حتى وصلوا إلى جبل معين وصعدوا عليه وجزوا موقعهم به .

ولكن لاحقتهم قوة فرسان المدو مباشرة ووقعت معركة ثانية بين «معر»
 أظهر فيها فالنتينوس Valentinus ابن « أنطونينا » Antonine
 مساعد « فوشيرس » Photius بسالة مرموقة عندما قفز بها
 بين جحافل المدو وحاجم القوط وتمكن بذلك من انقاذ رفاقه وتم
 الرومان من الفرار بهذه الوسيلة حتى وصلوا الى استحكامات روم
 والبرابرة يطردونهم من القلعة وحتى السور والبوابه المسماة «سالاريه»
 Salarius ولكن حتى اعالى روما ان يدخل المدو مع الفارين دا
 الاستحكامات ورفضوا فتح البوابات بالرغم من نداءات واستنجا
 بنيزاريوس وتهديداته المتكررة ، فقد صعب على من يطل من النيد
 التعرف على الرجل لأن وجهه ورأسه دامتان تغطيهما الاثرية ، هذا
 ناحية ومن ناحية اخرى استحالت الرؤية بسبب تقدم النهار وغر
 الشمس وبالإضافة الى ذلك لم يجد الرومان أمامهم سببا لنجاة الا
 من الموت لأن الفارين من المعركة اشدوا بوفاء « بليزاريوس » وهو ية
 ببسالة بين الصفوف الأملية وهكذا زحف بقواته يطرؤه الغضب
 ويلوى عبور للفتق فوراً والهجوم على الفارين هناك ، وهكذا تك
 انرومان أمام السور بعد سقوطهم الفتق ملتصين بمنهم البعض دا
 مكان شيق بينما ظل الكند داخل الاستحكامات بدون قائد وعلى غر
 استعداد يختطفون على ارواحهم وعلى مصير الكثير
 ويقتلوا لم يفلتوا من الحصار عن رجلهم في وقتهم البد
 الفطيرة .

ولكن خطرت على بك بليزاريوس فكرة جريئة ، فقد تمكن من ان
 الرومان في هذا اليوم صنع رجاءه بصره وانطق فجأة على المدو
 وكان المدو قبل ذلك في حالة الاضطراب بسبب اللطم والمطاردة ، وه
 لثار دمتهم قيام فجأة من الفارين بجحشهم فظفوا الى هناك جيا
 آخر خسر من الخيبة لسماعهم وبالفطن تعلقهم الاخر وغرؤا حاربو

ووغس بليزارىوس باى حال من الأحوال مطردتهم بل انتهى بالفرقة الى السور . وفى هذه اللحظة تتجع الرومان واستقبلوه ونجش به باكمله داخل المدينة : وبدأت المعركة فى الصباح الباكر ولم تنته حتى الليل .

وهؤلاء الذين برزوا فى القتال بفضل شجاعتهم كانوا هم بليزارىوس من الرومان ومن القوط فيساندوس *Visandus* فاندلارىوس *Vandalarius* أول من هجم بليزارىوس فى المعركة الا أن بليزارىوس لم يتركه الا بعد أن أصيب بثلاث عشرة اصابة فى جسده حتى سقط على التو فلم يهتم رفاقه به بالرغم من كونهم منتصرين وظل ملقيا هناك بين القتلى ، وظنوا أنه قتل . ولكن فى اليوم الثالث عندما عسكر البرابرة أمام السور الدائرى لروما اندبوا بعض الرجال لدفن موتاهم ، والقيام بطقوس الدفن التقليدية وعثر الباهثون عن جثث الموتى على فيساندوس فاندلارىوس وهو لا يزال حيا بين جثث رفاقه يريد أن يتفوه بكلمة ولكنه لم يتمكن حتى من النطق نظرا لأن جسده كان معترقا بسبب الجوع والمطش للناجين عن آلامه وقد أشار بأن يسكب ماء فى فمه . هذا وبعد أن شرب ولفاق حموه الى المسكر ، واكتسب « فيساندوس » فاندلارىوس شهرة واسمة عند القوط بسبب هذه الواقعة وعاش بعد ذلك طويلا يتمتع بشهرة الواسعة ، هذا ما حدث فى اليوم الثالث بعد المعركة .

ولكن فى هذه الآونة بعد أن حُل بليزارىوس وجنوده منطلة الأمان جمع جنوده ومنظم أهل روما عند السور والفرم بأشغال النيران الكثيرة والقيام بالحراسة طوال الليل ثم دار حول سائر الاستحكامات وأمسك النظام وكلف قواده بحراسة البوابات ، وتولى بيزانس *Bizans* قيادة الحراسة على البوابة المسماة « بريتشين » *Prætorio* ثم أرسل أحد أتباعه الى « بليزارىوس » ليخبره بأن المدينة وقعت فى قبضة العدو بعد أن اقتحمها من خلال بوابة أخرى تقع عبر التيسر وتعرف باسم « بلكرتيوس » *Panormus* وهو اسم أحد القديسين .

وعند سماع هذا الخبر حرص أنباء بليزاريوس أن ينجو هو بأسرع ما يمكن من خلال بوابة أخرى . ولم يستسلم للخوف ولم يتردد لحظة واحدة بأن يقر بكذب البلاغ ثم أرسل بعض خيالته صريحين عبر التلير وبعد معاينة المكان ، عادوا لإبلاغه بعدم وقوع أى هجوم على المدينة من هذه الناحية وأرسل بعد ذلك مندوبيه إلى كافة البوابات مع تعليمات إلى القادة في كل مكان بأن عليهم بمجرد سماعهم بدخول العدو الاستحکامات إلا يتناولوا في الدفاع أو ترك أماكنهم بل يلزمون الهدوء حيث أنه سيسوى شخصيا هذه الأمور . وقد تصرف هكذا متحسا من وقوعهم في اضطرابات مرة أخرى اثر انتشار اشاعات كاذبة .

ولكن أثناء الارتباك الكبير الذى وقع فيه الرومان ، أرسل فيتيجيس Virgias أحد كبار القادة « فاكيس » إلى بوابة « سلاريان » Salarian . وعند وصوله هناك أخذ يؤنب الرومان على عدم ولائهم للقوط ووبخهم بقسوة على الخيانة التى زعم أنهم ارتكبوها ضد الوطن . وشد أنفسهم حيث أنهم بدلوا سلطة القوط بسلطة الاغريق الذين عجزوا عن الدفاع عنهم بالرغم من أنهم لم يشهدوا من قبل رجلا من الجنس الاغريقى في ايطاليا فيما عدا ممثلى التراجيديا واليانثوميم^(٨٦) . وبعض اللصوص من البعارة ، هكذا تفوه « فاكيس » Vacis . يمثل هذه الكلمات وما يشابهها ولكن حيث انه لم يثقل اجابة عنها من أحد عاد إلى القوط وإلى فيتيجيس ، أما فيما يخص « بليزاريوس » فقد جلب على نفسه سخرية الرومان فبالرغم من هروبه من العدو فقد حثهم على التسجاعة من الآن فصاعدا كما نظر إلى الأبريرة نظرة ازدراء . ذلك لأدراكه كما قل بأنه سوف ينقض عليهم في النهاية . وسوف نبين فيما بعد كيفية معرفته لهذه النقطة بصفة قاطعة وعندما تأخر الليل كان

(٨٦) هو من التليل المثلث وهو ما اشتركت به ثيودورا زوجة جستينيان قبل زواجها .
(المترجمة)

« بليزاريوس » بنمو وقد أجبرته زوجته والحاضرون من أسدغائه على تناول كسرة من الخبز وهكذا قضى الجيشان الليل .

(١٩)

في اليوم التالي أعدوا الترتيبات للقتال ، وفكر القوط في الانسحاب ، على روما بضرب الحصار حولها بدون مشقة نظرا لمساحة المدينة الواسعة ، وصعوبة دفاع الرومان عنها . لمسور المدينة يحتوى الآن على أربع عشرة بوابة واسعة والعديد منها أفل حجما ، هذا ولما عجز القوط بجيوشهم الكاملة ، عن حصار السور من جميع جهاته ، أقاموا ستة معسكرات مخصصة لشن هجمات متتالية على جزء من السور يحتوى على خمس بوابات من بوابة « فلامينيان » Flaminian حتى بوابة « بريستين » Praenestine وأقام القوط هذه المعسكرات على الضفة اليسرى لنهر التيبر ، وخاف البرابرة من قيام عدوهم بتدمير الجسر المعروف باسم « ملفيوس » Mulvius لتقطع طريق وصولهم إلى الضفة اليمنى للنهر وحتى البعير وحيث انهم يجهلون تماما متاعب الحصار فقد أقاموا معسكرا سابقا عبر التيبر على سهل نيمون Nero وذلك لحصر الجسر بين جيئيهما ووفقا لهذا فقد تعرضت بوابتان أخريان لهجوم العدو .. بوابة « أوريليان »^(٨٧) Aurilian (المسماة الآن باسم بطرس زعيم تلاميذ المسيح حيث دفن بالقرب منها)^(٨٨) وبوابة « ترانسيتيورتين » Transiburtine^(٨٩) وهكذا حاصر القوط فقط نصف السور بجيئهم ونظرا لحجم أحكام الخطط في جديهم في كلمة الجيئهم فقد شنوا هجمات فقط على طول السور كيقلعوا شأوا .

(٨٧) هذا خطأ ويقصد بروكوبيوس به بوابة كورنيليا Porta Cornelia (المرجحة)

(٨٨) وفقا للتقليد فقد قتلوا جيئاه ككتنثانية القديس بولس على قبره الرسولى .

سوف أمف الآن كيف شيد الرومان هذا السور على سفلى النهر
فى المصور القديمة كان التتير يجرى حول السور الدائرى الى مسافة
طويلة وحتى فى المكان الذى ينحصر فيه مجراه ولكن الأرض المازية
لمجرى النهر منبسطة ويسهل الصمود اليها وتجاه هذه الأرض على سفلى
التتير الثانية يوجد تل كبير^(٩٠) بنى عليه طواحين المدينة وتأتيها مياه
كثيرة عن طريق قناة مائية صناعية مرتفعة الى قمة التل ثم انتصب بشدة
على المنحدر . لذلك عزم قداماء الرومان^(٩١) على بناء سور حول التل
وضعة النهر المجاورة له لمنع العدو من تدمير هذه الطواحين ، واجتياز
النهر واتخاذ بعمليات سهلة على السور الدائرى للمدينة وعمرها بناء
جسر على هذا الموقع من النهر وربطه بالسور وبناء منازل كثيرة فى
المقاطعة وعلى جانبى النهر مما جعل مجرى التتير فى وسط المدينة وتكتفى
بهذا .

حفر القوط خنادق عميقة بمسكراتهم ثم جمعوا التراب المستخرج
منها الى اكوام على الجانب الداخلى للخنادق فارتفعت على آثارها سفنا
النهر وغرسوا خوازيق حادة داخلها ، مما جعل هذه المسكرات لا تقبل
أهمية من الحصون أعلاها : تولى ماركياس Marcius زعامة المسكر
القائم على سهل نيمون Hero (حيث كين قد وصل حالا من غاية مع
أتباعه وعسكر معهم هنا فتولى ميتيجيس وغيره زعامة يابى المسكرات
على أن يتولى قائد وإحدى زعمية المسكر الواحد هذا ولما اتخذ القوط
مواقعهم على هذا النهر هلموا بنصب قننوات المياه المعلقة لمنع وصول
المياه داخل المدينة . ويبلغ عدد القننوات المعلقة فى روما أربع عشرة قناة
مبنية من قوالب الطوب الصلب شيدوها القداماء وهي مرتفعة وتتسع لرجل

(٩٠) بوابة اورلين .

(٩١) تيسى تل جيتكولوم

(الترجمة)

(٩١) السور الذى يصبغ به كوسب المتحد مع جزء من بيسور
اورلين . (الترجمة)

يمتلى جودا يجرى عليها^(١٢) نظم بليزاريوس دفاع المدينة على الوجه
الآتى تولى بنفسه حراسة بوابة « بنسيان » Pindan الصغيرة
والبوابة المجاورة لها من جهة اليمين والمعروفة باسم سالريان Salarian
ذلك لأن اقتحام السور عند البوابتين المذكورتين سهل ولم يفس الوقت
يسهل على الرومان الخروج من البوابتين لمقابلة العدو . ثم خلف بيزاس
Bissas بحراسة بوابة بنسيان وكلف قسطنطينوس Constantines
بحراسة بوابة فلامينيان Flaminian الثالثة على الجانب الآخر
لبوابة بنسيان بعد أن أقفل البوابات وسدها بطريقة محكمة بين سور من
الحجر الكبير على الداخل مما يجعل فتحها مستحيلا ، ونظرا لوجود أحد
المسكرات فى مساحة شيقة فقد خشى أن يقوم العدو بمؤامرة سرية
عند المدينة ، وأصدر الأوامر الى قادة المشاة المكلفين بحراسة البوابات
الأخرى لتثديد الحراسة عليها ولأن القنوات المائية قد استطاعت بغناها
وسد القنوات بالأحجار .

وربط فوق الكبارى سلاسل حديدية طويلة عبرت نهر التيرير تماما
وأوقفت هذه السلاسل الأشياء التى يحملها النهر وتجمعت عند هذه
النقطة دون أن تبتعد عنها فكان على القائمين بهذا العمل سحب هذه
الأشياء بمجرد وصولهم ونقلها عن الأرض وهكذا تصرف « بليزاريوس »
ليس فقط بالنسبة للطواحين بل لأنه يد تفكر مذهبورا أن العدو سوف
يدخل على الجسر عند هذه النقطة بالجميع من البيزنطيين إلى منتصف
المدينة قبل أن يفلن أحد الى البحر . لذلك فقد تم إيواء البرابرة عن
محاولاتهم لغشلم فيها واستمر الرومان فى استمالة الطواحين فيما
بعد ولكن حرموا من الصملمت نظرا لظلة المياه . ١٢٥ وقد توفرت لهم
مياه الشرب وحتى السكن البيزنطيين من البحر أمكنهم سحب المياه من
الآبار أما فيما يخص المجارى التى تصرف المياه المؤتة فلم يتخذ

(١٢) هذه الملقبة بالقنوات هراوح من أرضة الى ساحة حمام خولا .

بليزاريوس أى خطه اضية بشأنها نظرا لأنها تصب فى نهر التير لذلك
استعمل تدبير اية مؤامرة من العدو ازامعا .

(٢٠)

انتظر بليزاريوس ذلك احتياطة تجاه الحصار . ثم قوم
السيفيت^(١) عددا كبيرا من الأطفال المكلفين برعايه الأغانم فى بلادهم
اقتاروا اثنين من الأخفاد من اقوياء البنية والطفوا عليهما أسما .
« بليزاريوس وفيتيجيس » ، وادخلوهما فى بيارة ، اخذوا ينكثون
بقوة وقد حدث أن الطفل المسمى باسم فيتيجيس طرح أرضا . لذلك
قام بقية الأطفال يشق الطفل المزعوم على فرع شجرة . ولكن لحسن
حظه أن ظهر ذئب أمامهم اضطر الصبية الى الفرار تاركين من سمى
فيتيجيس معلقا على الشجرة يتألم لفترة ممتدة حتى مات ، ولما علم
قوم السينيت بهذا الحادث لم يمانعوا الصبية ولكن تكهنوا بأن
بليزاريوس سوف ينتصر نهائيا . . ونكتفى بهذا .

كان شعب روما يجهد تماما ويلاش الحرب والحصار لذلك لما
خافوا خروعا لاستحالة وجود حمامات ونذرة المزن واستنفوا عن النوم
للقيام بحراسة السور الدائرى وتوقعوا قرب سقوط لمدينة فى وقت
قريب ، وشاهدوا العدو يذهب حقولهم وغيرها من الممتلكات شجعوا
بالقتل والسخط ينتابهم لقد تعرضوا لمتاب الحصار وللتهلكة بالرغم من
عدم ارتكابهم أخطاء ممتدة ولذلك اقتصروا على تعميمات وشنوا غارات

(١٢) السينيت^(٢) من قبيلة سين كان يقيم فى روما . واصل هذا الشعب
من سكان الجبال الاشداء وهم من الأجناس الإيطالية ونجحوا فى استقط
مدينة كابوا فى قبيلتها فى العصر الجسورى . وكانت لهم هروب ملوية .
ويبنى لهم شعب اللوكاتين . (المرجة)

من ذلك انظر : روما وليبل عظمتها Jones موسومة تاريخ
المسلم ، ص ٢٢٢ .

على بلزارىوس بحجة استدعائه لقائلة القوط دون انتظار وصول جيش
قوى من الامبراطور - وهؤلاء الذين وقفوا الى وجه بلزارىوس عندهم
اعضاء المجلس المعروفون « بالسلاو » وسمع « ليفيتيجيس » عن
هذه الاحداث من الهاربين ورواية منه في خلق مزيد من البلبسة بينهم
وبالتالى زياده موقف الرومان صحبه فقد ارسل الى بلزاريس بعض
المدويين كان « التيس » *Atis* احدهم وعندما مثل المدويون
امام بلزارىوس تحدثوا اليه والى اعضاء مجلس الشيوخ الرومانى
وقادة الجيش على الوجه التالى :

ايها القائد اتخذ الانسان منذ القدم تميزات حقيقية وملائمة على
الاسماء التى يطلقونها على الاشياء واحدى هذه التميزات متماثل فى
الآتى :

يختلف الاندفاع عن الشجاعة ذلك لأنه عندما يستولى الاندفاع
على الانسان فانه يوقعه فى المخاض مع الخذى والصار فى حين ان
الشجاعة تزوده بجائزة مناسبة من الشهرة والبسالة . والآن نسبب احد
هذين العاملين فى قيام العدوة بيننا فايهما تراه مناسباً . فاذا وسمتم
رأيكم على الشجاعة من جهة عندما قاتلتم القوط فان امامكم ايها السيد
النبل العديد من الفرص للقيام بأعمال الرجل الشجاع انه يكتبكم فقط
النظر من السور الى جيش العدو ، ومن جهة أخرى اذا احترتم الاندفاع
فى الهجوم علينا سوف نتقدم الآن للقائم بهذه المهمة التى لا جدوى فيها
ومن آراء المتورطين فى منامرات يقتلهم اضلوا قبول تميزات عند
تورطهم فى مصائب شديدة لذلك فلا تتخطوا لعلكم لطفكم هؤلاء
الرومان - هؤلاء الرجال الذين انشأهم شيوخكم على حياة دعة ورفاهية
علوة على حياة حرة لذلك فكف عن مقاومتهم اذ هو سيد القوط والايطانيين
أيضا ليس هناك بشاعة فى أنكم تقيمون فى روما وتتلطون ما تشامرون
من أجل اخلة العدو فى حين أن ملك هذه المدينة يقضى وقته فى مسكر
حصين يرمى ويلاش الحرب على اتباعه ولكن تضمن لكم ولايتاكم فرصة

الرحيل في أمن وبكلفة مستطكتكم لابد أن تتقبلوا وتواجهوا الجند من زاوية جديدة فلنا لا نعتبر الوسائل الانسانية مقدسة أو جديرة بالاحترام ، وبالأصالة إلى هذا اتنا نسال هؤلاء الرومان عن شكواهم ضد القوط التي لدت بهم إلى الضيالة تجاه أنفسهم وتجاهنا علما بأنه حتى هذه اللحظة قد تمتوا بطيبة قلوبنا وهم يعرفون الآن من واقع اختبارهم لنا نوع المساعدة المرجوة منهم .

هكذا نحدث المدوب فأجاب بليزارىوس بدوتى : ليس من شأنكم اختيار الزمان لئلا هذا المؤتمر لأن الرجال لا يحقدون ولغا لتقدير العدو ولكن جرت العادة أن ينظم كل واحد شئونه حسب مصلحته ولكن أقول لك سيأتى الوقت الذى سوف تغفون رؤوسكم تحت الأنواء ولكن سوف لا تجدون مضيا في أى مكان . وفيما يخص روما التي استولينا عليها فمتعنا نحتفظ بها فلنا لا نحتفظ بممتلكات غيرنا ولكنكم اردتم التحدى على هذه المدينة في اوقات سابقة بالرغم من انكم لا تملكونها قد اعدتموها رغم انوفكم إلى اصحابها الأصليين هذا ومن منكم يأمل أن يدخل في روما دون قتال فهو مخطئ ، في تفكيره فمن المحال أن يسلم « بليزارىوس » المدينة طيلة حياته .. هذه هي كلمات بليزارىوس .

ولكن الرومان وقد تملككم الرعب ، جلسوا في صمت يفكرون في خدمة المدوبين لئلاهم على البقية لصالح القوط . ولم يهيبوا بكلمة فيما عدا أن يمد اليأس ويهيبونهم على ذلك .

كان هذا الرعب وقت ذلك فلذا للحرس عينه بليزارىوس في هذا المركز ويبدو أنه لهذا السبب كان يتبع من غيرهم إلى مصالح الامبراطور .

الرجال لا يقل عن خمسين لثلاثة الواحدة مهمة تحريكها من الداخل وعند
نفس الآلة للسور فانهم يسحبون المعارضة التي سبق أن نوهت عنها الى
الوراء بإدارة جهاز آلي معين ثم يطلقونها فتندفع بقوة شديدة في اتجاه
السور وفي مقدرة هذه الآلة بفرياتها المتكررة أن تهدم السور في مكان
الاصلة وايضا السبب فقد سميت الآلة بهذا الاسم لأن طرف المعارضة
المحد للضرب ينطلق بقوة نحو الامام الى الهدف تماما مثل الكباش وما هي
ذا الكباش التي يحركها المهاجمون على السور قد جهز القوط عددا كبيرا
من اكوام الحطب المكونة من قطع الخشب والقاب والقوا في الخنادق
لتسوية لأرض وعدم اعاقلة مرور الآلات عليها ، وبعد اتعام هذه
الاستعدادات بهذه الوسيلة أبدى القوط رغبتهم الملحة لبدء مهاجمة
السور ولكن بليزاريوس جهز كل برج من الأبراج بالآلات تسمى
« باليسا » *Balisae* ^(١١) هذه الآلة على شكل قوس ولكن على الطرف
الأخر منه توجد قناة خشبية في وضع يسمح لها بالتنحريك وهي محملة
على قاعدة حديدية شبيكة وعندما يقوم الجنود بتوجيه الضربة بهذه
الآلة للعدو فانهم يحركون أطراف القوس الموجودة في المؤخرة بانحناء
بعضها تجاه البعض عن طريق حبل صغير يربط بينها ثم يدخلون انفسهم
داخل المجرى ، ويبلغ طول السهم نصف طول اللقيفة العادية المنطوقة
من القوس ولكنها أعرض منها أربع مرات هذا وهي لا تحمل ريش طيور
عليها ، ولكن بعد احتكاك قطع الخشب زليمة عليها بدلا من الريش السهم
العادي ثم يقوم الرجال القويون حولها بتثبيتته باستخدام بعض الأجهزة
المساعدة تطلق القناة الى الامام ثم تنكف ، وتفرج اللقيفة من المجرى
بقوة الاندفاع القوي لتصل الى مسافة لا تنكف عن مدى قليلتين وعند
ارتطامها بشجرة أو صخرة فانها تشتت كلها تماما ، هذه هي الآلة التي تحمل

(١١) هذه الآلة التي وصفها بروكوبوس في المجتنب المروم في
المصور القصص - نقولنا تلك الأجر لا السهم ..
(القوس التوجيهي القديم)

هذا الاسم وسُميت بذلك لأنها تطلق القذعة بقوة هائلة . كما رفعوا غيرها من الآلات على أسطح السور لكي تنقذ الحجر وهي شبه اتقلاع وتسمى الحمار الوحشى وخارج البوابات ثبوتوا انذنب التى صمموها بالكيفية التالية ، ثبوتوا لوحين من الخشب بحيث يرتفعان من الأرض حتى انشرفتا ثم يربطون عوارض بالتعشيق ببعضها البعض منها فى وضع رأسى والبعض الآخر على هيئة صليب بحيث تظهر الفواصل بينها كمجموعة متتالية من الفتحات ويبرز من كل وصلة نوع من منقار يشبه المهاز الكثيف الى حد كبير ثم يربطون العوارض المصلوبة الى اللوحتين الرأسية ابتداء من القمة وتنحدر حتى منتصف الارتفاع ويشدون اللوحتين الى الوراء فى اتجاه البوابات . عند اقتراب العدو يصك انرجال المقيمون أعلى السور بأطراف اللوحتين ويدفعونها الى الأمام فتسقط لهجأة على المهاجمين وتقتل المناشير البارزة بسهولة الكثير منهم وكل من أمسكت بهم ... وهكذا استمد بليزاريوس .

(٢٢)

وفى اليوم الثامن عشر من بداية الحصار تحرك القوط تجاه الاستحكامات عند شروق الشمس وتمت قيادة « فيتيبيس » للهجوم على السور وأصاب الرومان موجة من الذعر والذهول عند مشاهدة الأبراج والكباش القادمة اذ كان هذا المشهد غير مألوف لديهم . ولكن عندما شاهد بليزاريوس صفوف العدو تتقدم بالآلات أخذ يفكر . وأمر جنوده بالترام الهدوء وعدم التسرع فى التشبك بأى حال من الأحوال الا بعد صدور إشارة منه ، ولم يكشف عن سبب فشكه فى هذه اللحظة ولكنه عرف فيما بعد . افترض الرومان أنه يخشى شعوره الحقيقي وراء المزاح والمخذا يوبخونه وقالوا انه وقع وسقطوا عليه لامتاعه من مراقبة العدو وهو يتقدم . ولكن عند وصول القوط قرب الفندق عن شرع القتل فى تهويل القوم وفى خربة معكبة أصاب عرق لحد الرجال المدرعين كلن يلقوا الجيش وقطعه وبعد أن وقع على ظهره هلك

انجيش الروماني بأكمله كما لم يهلك من قبل اعتقاداً منه انها بشرى خير ، أطلق بليزاريوس القوة مرة أخرى وتكررت الواقعة للمرة الثانية، هذا واشتد إطلاق الفذائف من السور الدثرى حتى اعتقد الرومان بالانتصار المبكر ثم أخذ بليزاريوس الانتصار الى الجيش بأكمله لإطلاق الانفاس وأمر المقربين له بضارب الثيران . جرت السيران بأكملها على انقذ لذلك لم يتمكن العدو من تحريك الأبراج الأمامية الى الامام وفي حيرتهم مما حدث لم يتمكنوا من مواجهة حالة الطوارئ . فبينما كان القتال يحدث أدرك الجنود صوب فكرة بليزاريوس عندما لم يحاول مراقبة العدو من مسافة وكذلك بسبب ضحكته على سذاجة البرابرة اذ لم يعمدوا التفكير عندما حضروا الثيران حتى سور العدو حدث كل هذا عند بوابة « سالاريان » Salarian وبعد أن وقف فيتيجيس في هذا الموقع ترك فيه قوة كبيرة من القوط في صفوف متراسة طويلة وأمر اتقادة بالامتناع عن أى هجوم على الاستحكامات على أن يكونوا على أهبة الاستعداد لإطلاق الفذائف على سطح السور والا يمنحوا بليزاريوس فرصة نقل التعزيزات الى وقع آخر من السور : اذ سوف يهجم عليه بقوة كبيرة ثم توجه الى بوابة « برينستين » على رأس قوة كبيرة وهو جزء من الاستحكامات سماه الرومان « فيفاريوم » حيث يمكن تسلق السور ولكن حدث أن الآلات الحربية كانت في هذا المكان بما فيها من أبراج وكباش وعصج كبير من السلام .

ولكن أثناء ذلك انطلق القوط بهجوم آخر عند بوابة « أوريليان » (١٥) على النحو التالي : أقيمت مقبرة الأمبراطور الروماني هادريان (١٦) Hadrian خارج بوابة « أوريليان » Aunian على بعد قليل من الاستحكامات وبمنظرها جميعاً ، اذ شبيحت من الرخسمن الوارد من

(١٥) يعنى بذلك بوابة كورنيليا Porto-Cornelia

(١٦) تسمى بمسجد القسيس أنجيلو Sant' Angelo

باروس^(٩٧) ، وتم تركيب الحجر واحدا فوق الآخر ونيس بينه اثنين .
 له أربعة جوانب متساوية تمتد الواحدة عن الأخرى بمساوات قصيرة
 وترتفع الى ما فوق ارتفاع سور المدينة وعليها تماثيل جيدة الصنع
 للرجال والخيول^(٩٨) .

وحيث رأى انقضاء أن هذه المقبرة عبارة عن حصن يشكل خطرا
 على المدينة فقد بنوا جدارين حولها تمتد من السور - عند السور
 الدائري^(٩٩) - وأصبحت بذلك جزءا من السور وحقيقة تبدو كحصن
 مرتفع شيد كدعامة للبوابة لذلك كانت الاستحكامات عند هذا الموقع
 مناسبة وحدث أن أمر بليزاريوس قنسطنتينوس Constantinus
 بأن يتولى قيادة الصمية عند المقبرة وأصدر تعليماته فيه لحرابة السور
 المجاور نظرا لأن حاميته صغيرة وقليلة العدد نظرا لتسوية الهجوم على
 هذا الموقع من السور الدائري حيث أن النهر يجري مصادف له . لقد
 اعتقد أنه سوف لا يقع هجوم عند هذا الموقع لذلك عسكرت هناك حامية
 قليلة العدد ، فلقد جمع أغلبية الجنود على المرافق التي تتلصق وجردهم
 وذلك لأن جيش الامبراطور اجتمع في روما عند بداية الحصار يبلغ
 عدده خمسة آلاف رجل فقط . ولما أحبط قنسطنتينوس Constantinus
 محاولات العدو لاجتياز التير خلف على هذا الموقع من الاستحكامات
 واتجه نحوها مسرعا بمسيرة عدد قليل من الرجال لتتاحت بهم أن أصدر

(٩٧) بلروس مدينة بونقية مشهورة برخيلها .

(٩٨) اصل بروكوبيوس ذكر أن هذه المقبرة كانت مير القبر من منذ
 السور الدائري في هذه المنطقة التي تسمى الجسر « جسر اليوس » وهو
 الذي يواجه بوابة كورنيليا والتي سماها بروكوبيوس بوابة لوريليان .
 (الترجمة)

(٩٩) تهيئ هذا الميدان كان لفسى التمسب التذكاري لكل جانب من
 جوانبه طوله ٢٠٠ قدم وبعثي طولا ٨٥ قدما مربعا ، وفوق ذلك ترتفع
 اسطوانة مستديرة معلقة بالأمددة وتصل التماثيل ، وربما كانت مغطاة
 بغطاوة ثقيلة .
 (الترجمة)

Jordan «Topographie der Stadt Rom III, 600.

التفسير :

أوامره إلى رجاله بحراسة البوابه والمقبرة بينما هاجم القوط بوابه أوريلييان ، وبرج هامبرين وحيث انهم لم يمتلكوا آلات حربية لقد أحضروا معهم عدداً كبيراً من السلالم اعتقاداً بأنهم بإطلاق عدد كبير من السهام سوف يقع العدو في شلل تلم ويلتالي الاستيلاء على العاصمة دون مشقة نظراً لعدد الجنود بها . وبينما هم متقدمون يرفسون أمامهم دروعاً صغيرة تشبه دروع الفرس نجحوا في الاختراق من الأعداء دون أن يفلن اليهم أحد منهم لأنهم تقدموا خلف العمود المعد إلى كنيسة بطرس تلميذ المسيح ثم ظهروا فجأة من هذا المخابا وشرعوا في الهجوم إذ تنذر على الحرس استعمال الآلة المسماة بـ « باليستا » (لأن هذه الآلات لا تطلق قذائفها إلا في اتجاه مستقيم) وعجزوا عن صد المهاجمين بالسهم اثر انقلاب الموقف ضدهم بسبب الدروع . ولكن القوط شددوا الهجوم عليهم بإطلاق قذائف عديدة تجاه الترفات المرتفعة وكادت سلامتهم تلمس السور بعد انحصار المقاتلين داخل المقبرة لأنه كلما تقدم القوط فانهم يتسللون دائماً وراء الرومن على الجانبين^(١٠٠) . أصيب الرومان بالذهول لمدة قصيرة بعد أن حاربوا في استخدام وسيلة مميعة للنجاة ولكن بعد ذلك وبالالتفاف المشترك بينهما كسروا معظم التماثيل الكبيرة الحجم إلى قطع صغيرة . وبعد تولي عدد كبير من الحجارة القوا بالأيدي على رؤوس العدو الذي شرع في التقهقر ورمعهم بوابل من القذائف أثناء انسحابهم قليلاً إلى الخلف لذلك تشجع الرومان بعد انقلاب الموقف لمصلحتهم وأصدروا صرخة مدوية وشرعوا في صد المهاجمين باستعمال الأقواس ضدهم ورجعهم بالمجارة ثم لجأوا إلى الآلات ونزّلوا الرعب على المهاجمين حتى أوقفوا هجومهم تماماً . وفي هذه الآونة حضر كلك. قنستانتينوس Constantinus بعد أن خلف الذين تقدموا عن طريق النهر وجعلهم يتقهقرون إلى الخلف

(١٠٠) لأن هذا البناء كان رصاص الشكل - تكن القوط من الأجهل على أمداتهم في الجناح والمؤخرة ويقتسم وراحمزوليا . (المرجعة)

دون مشقة . إذ انهم لم يجدوا في هذا الموقع من السور الا حراسة بسيطة كما سبق أن اعتقدوا وبذلك عاد الأمن الى برابرة إريولييان (١١١) .

(٢٣)

وصلت قوات من العدو عند البوابة المطلة على نهر التيرير المسماة ببوابة « بانكراسيان » Pancretian ولكنها لم تقم بنشاط يذكر نظرا لتحصين الموقع لأن استحکامات المدينة عند هذا الموقع مشيدة على مرتفع شديد الانحدار ولا يسهل الهجوم عليه .

تولى بولوس Peukus حراسة الموقع بفرقة من المشاة وحسب ما حدث من قبل امتنعوا عن أية محاولة للهجوم على بوابة فلامينيان Flaminian الكامنة على منحدر شديد يصعب الوصول اليه ، قامت فرقة من المشاة المسماة بـ « ريجيس » Reges (١٢٢) بالحراسة هناك بقيادة « أورسينيوس » Ursicinus وبين هذه البوابة والبوابة الصغيرة المجاورة على اليمين بـ « بينسيل » Pincian هناك فتحة في السور منذ قديم الزمان . ليست بجوار الأرض ولكن منتصف السور لم يهدم ولم يستطع بل يعيد الى الجهتين أي جزء منها يظهر خارج السور ، وجزء آخر بداخله لذلك أطلق قنصله الرومان على هذا المكان اسم « السور المشور » ولكن عندما شرع « بلينثريوس » في هدم هذا الموقع وإعادة بنائه منه الرومان عن قلب قلعتين أن بطرس الرسول وعدم بحراسة هذا الموقع وكان هذا القديس مقدسا عند الرومان وله

(١١) بوابة كورنيليان .

(١٢٢) ليس هناك من شك أن هذا الـ « ريجيس » يتكلمه مع Regii وهو أحد الطرق المساعدة السبع مشيرة الى بلاتينية تحت قيادة القائد العسكري براينثفليس Praenestina (الفرجة) Modlin aspiche .

رحبة عندهم أكثر من غيره من تلامذة المسيح وتوالت الأحداث في هذا الموقع وفقا لتوقعت الرومان ذلك لأنه ليس في هذا اليوم ولا طوال مدة هجوم القوط على روما لم يحدث أن وصلت قوة محاربة إلى هذا المكان ولم تحدث أية مناقشات عنده وتنبجب إذ لم تر تحصينات بهذا الموقع ولا حتى العدو خلال المدة كلها أثناء قيامهم بالهجوم أو تنفيذ خططهم على السور أثناء الليل بالرغم من قيامهم ببعض المحاولات فلم يجازف أحد منهم فيما بعد بإعادة بناء هذا الجزء الدفاعي ، ولا يزال السور مفتوحا على هذا النحو .

عند بوابة سالريان رفض رجل من رجال القوط البقاء داخل الصف مع رفاقه وهو رجل قوي البنية ومقاتل جبار يرتدى درعا ويغنى رأسه بخوذة . وقف بجانب شجرة وأخذ يطلق قذائف كثيرة على قمة السور ، ولكن لسوء حظه أصابته إحدى القذائف المطلقة من الآلة الموجودة على البرج على يساره . اخترقت القذيفة درع الرجل وجسده ودخل في الشجرة أكثر من نصف طوله وعلق الرجل على الشجرة جثة هامدة ، فأصاب القوط ذعر شديد عندما شاهدوا ما حدث وانسحبوا بعيدا عن مجال القذائف وامطفوا وكفوا عن استنزاف المقاتلين على السور .

وحيث أن هجوم فيتيجيس قد اشتد على الرومان في منطقة « فيفاريوم » Vivarium وجبال من (بيزاس) Bessae وبرانيوس Perantius انذارا إلى بليزاريوس إذ انتابه الخوف على هذا الموقع من السور (ذلك لتسوية الوصول إليه كما سبق أن توهمنا هنا) لذلك أسرع شخصيا للنجدة بعد أن تخلف أحد أصحابه عند بوابة « سالريان » وعندما وجد الجنود السيكرين عند فيفاريوم يخشون هجمات العدو الذي يتقدم في صفوف هائلة مدعمة بنير هوراة — أمرهم أن ينظروا إلى العجم بلزراء ، فأعاد بذلك الثقة اليهم ، وكانت الأرض

في هذا المكان مستوية تماماً^(١٢) . مما سهل الهجوم ولرب ما تهدم من السور عند هذا الموقع لدرجه أن الفواصل بين قوالب الطوب لم تعد متماسكة بشكل محكم لذلك كان قدما الرومان قد بنوا سوراً قصيراً خارجة لتفريقه ، ليس بغرض تحصينه (ذلك لأنه لم يحسن بالابراج علاوة على أنه ليس هناك شرفات لم تجهز بأية وسيلة أخرى لصد هجمات العدو على التحصينات) ولكن لأغراض ترفيحية ممتعة حتى تحبس الأسود وغيرها من الوحوش فيها . ولهذا السبب فقد سمي هذا المكان « فيغاريوم » اسم أطلقه الرومان على مكان يعنون فيه بالحيوانات المفترسة ، لذلك جاز فيتيجيس Vitijs آلات مختلفة في أماكن متعددة طوال السور وأمر القوط بهجر معرات تحت الأرض عند السور الخارجي اعتقاداً منه أنه إذا دخلوا من خلالها سوف لا تصادفهم متاعب الاستيلاء على السور الرئيسي لعله أنه غير معصن بأي حال من الأحوال ، وعندما شاهد « بليزاريوس » العدو يتوهم بالخطر عند الد (فيغاريوم) ويهاجم الاستحكامات في مواقع عديدة منها لم يسمح لجنوده بالدفاع عن السور أو البقاء أمام الشرفات إلا القليل منهم بالرغم من أنه جمع حوله غرة رجال الجيش ، ولكن أوقفهم ينتظرون على أهية الاستعداد أسفل البوابات متحذرين الدروع وحاملين السيوف فقط ، ونجح القوط في كسر فتحة على السور ودخلوا إلى « فيغاريوم » ولكن أرسل « سييريان » Cyprian مع غيره من الجنود في الداخل وأمرهم بالقتال وقتلوا كل من دخل إذ لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم ، وفي نفس الوقت قسوا على واحد تلو الآخر بين المكان الضيق عند الفرج ، ودخل العرب في قلوب العدو بعد تنحية الإحداثك المفاجيء وانسحبوا بدون انتظام يجرؤون هرباً في اتجاهات مختلفة ، وفي هذه اللحظة فتح

(١٢) من الصعب أن تصور الموقع الرئيسي ، تخطيط المسار المذكور على أن الموقع كان بالقرب من بوابة لابيكنا Port - Labikna (المرجحة)

« بليزاريوس » بوابات انسور الدائري وأخرج جيشه كاملا وراء أعدائه .

لم يفكر القوط في المقاومة إطلاقا بل فروا في كل الجهات والرومان خلفهم ولم يجدوا صعوبة في قتل كل من وقع أمامهم . وطالت المطاردة لابتعاد القوط مسافة طويلة عن معسكراتهم وعند مهاجمة السور أمر بليزاريوس بسحق آلات العدو ولما رأوا النيران عالية زاد رعب الهاربين .

وفي هذه الأونة وقعت نفس الأحداث عند بوابة ساءلاريان وفتح الرومان البوابات فجاء وهاجموا البرابرة وقاتلهم اذ لم يجدوا أمامهم مقاومة ثم أحرقوا الآلات الحربية التي استولوا عليها وارتفعت النيران عالية في أماكن عديدة من السور مما أجبر القوط على الانسحاب من السور الدائري وتزايدت القذائف من الطرفين حيث أن الجنود على السور أخذوا يشجعون المطاردين حينما أخذ الرجال داخل المعسكرات يندبون على الكارثة الكبرى التي أصابتهم . سقط في هذا اليوم ثلاثون ألفا من القوط ، كما فر قوادهم وجرح عدد كبير منهم ويرجع السبب إلى أنهم حاربوا في تجمعات كبيرة وتعرضوا للاصابة من جنود الشرفات الذين يلقون حتما ، وأما الجنود الذين خرجوا لفك الحصار فقد قتلوا عددا غير عادي من الفارين المذعورين هذا وقد نشب القتال منذ الصباح عند السور ولم ينته الا متأخرا بعد الظهر وعسكر الجيشان في مكانهما وخلال الليل أخذ الرومان ينشجون أناشيدهم المنصر على الاستحكامات ويمجدون بليزاريوس بعد أن حصلوا على الثنائيم من القتلى بينما ضى القوط بالجرحي وأخذوا يولولون على موتاهم .

(٢٤)

كتب بليراريوس خطبته الى الامبراطور^(١) يتقنع التفسير
الآتى : « وصلنا الى ايطاليا حسب اوامركم وغتحننا الكثير من البلاد
فيها وغتحننا أيضا روما بعد طرد البرابرة المقيمين هنا ، وقد أرسلت
لكم مؤخرًا زعيمهم « لدريس » Leudens . وبما اننا تركنا حاميات
من الجنود في صقلية وايطاليا لحراسة الحصون التي استولينا عليها -
أنخلفس تباعا عدد جنود الجيش الى خمسة آلاف فقط ، لكن وصل العدو
مع حلفائه اليينا على رأس قوة تصل الى مائة وخمسين ألف مقاتل ،
ومعذ البداية توجهنا اليه للتجسس على قواته المعتدة على نهر التيبر ،
ثم اضطررنا الى الابتعاد عنه ضد ارادتنا ، وكفنا أن نخفى تحت
أبل من الرماح أولا أن لاح لنا حسن الحظ . وبعدها هاجم البرابرة
بكامل جيشهم الاستحكامات عند كافة الموانع بلاذلات الحربية العديدة
وكانوا على وشك أسرى والاستيلاء على المدينة عند أول هلة : وكادوا
ينجحون لولا أن خانهم الحظ .. ونجونا من الدماء لأنه لا يمكن أن
نسب الانجازات الفاتحة الى طيبة الأشياء من شجاعة الانسان ، بصفة
مؤقتة وملائمة . ولكن الى قدرة أقوى منه الآن كل ما انجزناه نسبناه
الى حسن الحظ أو الى الشجاعة .. أما فيما يخص امكانيات المستقبل
من الآن فصاعدا فاني أتمنى الأفضل بالنسبة لفضيحتكم . هذا وسوف
لا أخشى عنكم شيئا مما يكون من واجبي أن أبوح به ومن واجبك
تنفيذه علما بأن شئون الانسان مهما كلت تمضى بمشيئة الله ولكن
الشخص المكلف بمأمورية ما ينال الثناء أو اللوم حسب تصرفاته الشخصية
لذلك .. أرجو أن ترسل لي الجئودن والأسلحة بأعداد وكميات تسمح لنا
بالاشتباك مع العدو بقوات متساوية .. ذلك لكم الركون كلية الى الحظ
اذ أن الحظ لا يسرى دائما في كل واحد . تؤلكن أرجو ايها الامبراطور

(١.١) المقصود به الامبراطور جستنيان : (٥٢٧ - ٥٦٥ م) .
(الترجمة) .

أن تعتني بهذا لأنه إذا انتصر البرابرة علينا في هذه المرة سوف نطرد شرقاً خارج إيطاليا التي نمتلكها غير أننا سنخسر الجيش وسوف نتحمل الضرر مهما كبر وأصابنا هذا وأتوقف عن القول أننا سوف ندمر أهل روما الذين يريدون سلامتهم فضلاً عن ولائهم لمملكتكم وبالتالي وفي حالة حدوث ذلك تكون النتيجة بالنسبة لنا أن النجاح الذي كان من نصيبنا حتى الآن سوف يتحول في النهاية إلى مقدمة للمعاقب .. ذلك إذا هردنا من روما و « كامبانيا » Campania وتبليها من حقلية ، سوف نحس بأخف أهانات سوء الحظ وهي عدم قدرتنا على الثراء على حساب معنكات الغير . ومرة أخرى أرجو أن تأخذوا في الاعتبار أيضاً إذا استحل في أي زمن من الأزمان أن يتولى عشرة آلاف رجل حراسة روما لفترة طويلة من الزمن . إذ أن المدينة تقوم على أرض واسعة وحيث أنها بعيدة عن البحر فهي بالتالي معزولة عن الأمدادات ، وبالرغم من ارتياح الرومان لنا في الوقت الحاضر إلا أنه في حالة طول الوقت وزيادة المسقة سوف لا يترددون في اختيار الاتجاه المناسب لمصلحتهم ، لأنه عندما يتصاحب الإنسان مع غيره في لحظة نشوة ، فإنه يتمسك بولائه للصدق .. ليس عندما يلزمه سوء الحظ ولكن أثناء الازدهار ، وبالإضافة إلى ذلك سوف يضطر الرومان إلى اللجوء إلى تصرفات عديدة غير راغبين فيها .

والآن فيما يخصني فاني ممرض للموت في خدمة الملكة .. ولهذا السبب لم يتمكن أي إنسان من اخراجي خارج المدينة طوال حياتي ولكن أرجو أن تأخذ في الاعتبار ما هي المشقة التي تتحوم عليك إذا توكلت بليزارىوس .

هذا هو نص الخطاب الذي كتبه بليزارىوس وبغلق شديد شرع الامبراطور مسرعاً في جمع جيش وسكن وأرسل أوامره إلى « فالريان » Valerian و « مارتينوس » Martinius .^(١٠٥) بالتخاذل الاجرامات

(١٠٥) كانوا بن نوا: المعادين . Foedyst . فقد اسبهدموا بن لريشيا إلى يزنطة .
(المترجمة)

في أسرع وقت . إذ أنهما انتدبا كما حدث على رأس جيش آخر عند
أوائل الشتاء مع تعليمات بالابحار الى إيطاليا . ولكل منهما وصلا الى اليونان
فقط نظرا لمجزهما عن الاستمرار في الرحلة بعد ذلك . فلما بلغا
انتشاء على أراضي « إيتوليا » Aetolia (١١٦) و « أكارتانيا »
Acarnania (١١٧) وبلغ الإمبراطور جستينيان قائده بيزاريوس
بجميع التفاصيل . وزادت بسالة الرومان وعززت في روحهم الحماسة
والشجاعة .

وقد حدث في هذه الآونة في نابلي الواقعة التالية .. كان في
ميدان السوق هناك صورة لـ « ثيودوريك » حاكم القوط مكونة من
أحجار مختلفة صغيرة الحجم ملونة بكل الألوان وقد حدث أثناء حياة
ثيودوريك إن الرأس وقمت من الصورة بعد تطلخل الحجر دون أن
تص يد ، وبالمصدفة توفي ثيودوريك على الفور .. وبعد مضي ثمانية
أعوام وقع هجاء الحجر الذي يكن الجسد وتوفي على أثره « اتالاريك »
Atalric حفيد ثيودوريك وبعد مضي زمن وجيز سقط حجر الفخزين
وعلى أثره توفيت « امالا سونتا » ابنة ثيودوريك هجاة وقد وقمت هذه
الأحداث حسبما رويت ولكن عندما شرع القوط في حصار روما وبطل
انحط تهشم كذلك الجزء ما بين الفخزين والقدمين وبذلك اختلت الصورة
تماما من الحائط وتكن الرومانيون يعجزون هذا الحادث واكتدوا انتصار
جيش الإمبراطور في الحرب فلما علم أن هدمي ثيودوريك ما هي الا
شعب القوط الذي كان تحت سيطرته على زاد العمل لحد الرومان .

(١١٦) إيتوليا Aetolia مدينة يونانية قديمة تقع على ناطح كورنثة
بجيرة وقد انضمت خليا مع أكارتينا . (الخريطة)

(١١٧) أكارتينا Acarnania مدينة يونانية قديمة على البحر الأيوني ،
وتقع خليا في إيتوليا وتسمى ولاية إيتوليا . Encyclopedes Britannica Vol 1.

وفي روما تذكر بعض البطارقة حكم الإلهة^(١٠٨) فثالين : أن الخطر الذي جثم على المدينة سوف يستمر عليها حتى شهر يوليو أن تقرر ضرورة تتويج شخص ما في هذا التاريخ ملكا على الرومان ومنذ هذه اللحظة يختل عن روما خطر جنس « الجيتيك » Getae إذا قيل أن شعب القوط ينتمي إلى جنس « الجيتيك » كان حكم الآلهة كالآتي : في الشهر الخامس تحت حكم - ملك سوف لا يدوم « الجيتيك » طويلا - فقررُوا أن الشهر الخامس هو يوليو إذ قال بعضهم أن بداية الحصار في اليوم الأول من مارس ومنه يصبح يوليو الشهر الخامس . وقال البعض الآخر أن مارس يعتبر الشهر الأول حتى حكم نوما Numa إذ كانت السنة تشمل قبل هذا الحكم عشرة شهور فقط وسعى يوليوس « كوينتيليس » Quinsia .

وبالرغم من هذا فلم تتحقق أي من هذه النبوءات ، فلم يتوج ملك على الرومان في هذا التاريخ ولم يرفع الحصار إلا بعد مضي سنة وواجهت روما أخطارا مماثلة تحت حكم « توتيل » Tutil حاكم القوط ، حسب ما سأتهمه فيما بعد ذلك يبدو لي أن حكم الآلهة لا يشير إلى هجوم البرابرة العالي بل إلى هجوم آخر وقع فعلا أو هجوم سوف يقع في وقت لاحق لأنه في رأيي قد يصعب على الإنسان انتكهن بحقيقة حكم الآلهة قبل حدوث الواقعة . سوف أبين فيما بعد سبب هذا بعد أن أطلعت على كافة أحكام الآلهة الخاصة بهذا الموضوع . لم تظهر الكهنة الأحكام والوقائع حسب حدوثها كما ولم تسرد بداية الأحداث بطريقة معككة ولكن بعد أن ألقت بعض أبيات الشعر عن المشاكل في ليبيا فلها تنقل فجأة إلى بلاد الفرس ومنها تتجه إلى ذكر ازرومن

(١٠٨) والقصة التي حكى أصل هؤلاء الآلهة موجودة في ديونيسيوس هاليكارناسيوس Dionysius Halicarnossus - أحترفوا مع العاصمة عام ٨٢ قبل الميلاد واحترقت المجموعة النقية على يد ستليكو سنة ٤٠٥ م ، والآلهة التي يتكلم عنهم بروكوبوس هـ المجموعة الثالثة .
(المرجعة)

ثم تحليل القصة الى الأحيائى وعمره أخرى تتكهن عن الترومان ومنهم عن متاعب الإيزوريين .. فلهذه الأسباب يتذر على الإنسان ادراك تكهنات الكاهنة قبل وقوع الأحداث والزمن وحده هو المفسر الدقيق لهذه التنبؤات وبعد وقوع الأحداث فقط وتحليل الكلمات بالظيرة بالنسبة لهذه الأحداث فكل واحد يفكر حسب رغبته وسوف أعود الى هذا الموضوع بعد أن نحدث عنه .

(٢٥)

وبعد إيقاف زحف القوط في المعركة عند السور عسكر الجيشان في هزائمهما . وفقا لما سبق أن وصلته ولكن في اليوم التالى أمر بلبزايريوس الرومان بإجلاء النساء والأطفال ، خارج نابولي وكذلك الفاضى من الخدم والغير مكلفين بحراسة السور لضعف وعمره المسنن وأمر جنوده باتباع نفس النظام بالنسبة لى له مرافق من الذكور أو الاناث ثم مضى يقول انه سوف لن يستمر فى توفير المؤن بانقدر أنعاض طيلة مدة الحصار وأن عليهم الاكتفاء بنصف الحصاة اليومية من المسنن المتوفرة وأن يتسلموا النصف الآخر فسه وعليه قام الجميع بتنفيذ التعليمات وعلى التو خرج حشد كبير متجها الى كامبانيا Campania وكان من حسن الحظ أن البعض منهم جيز بعض السفن الراسية داخل ميناء روما ليبحروا عليها^(١٠٩) ولكن ترجل الباقون على الطريق المسمى ابييان ودون وقوع أى خطر أو خوف أو مضايقة للمترجلين المتجهين الى الميناء ذلك لاستعالة معالجة العدو لروما ياكملها بهمسكراتهم نظرا لامتداد المدينة الواسع من جهة ومن جهة أخرى فقد عجز العدو أن يبعد عن المسكرات فى أعداد صغيرة خوفا من خروج الرومان لمهاجمتهم .

(١٠٩) كانت مخينة بورتى Portus فى هذه الآونة تقع على الجزء الشمالى من مداخل التيرى ، وأوستيا Ostia على الجزء الجنوبى ، كنهما كفتا مهلتين .
(المرجعة)

وتبعاً لذلك فقد توغرت للمعاصرين العديد. من الفرص والوقت الكافى
للتجلاء عن المدينة وادخال المؤن من الخارج . وخاصة أثناء الليل أصاب
البرابرة الرعب فالتكفأ بتشديد الحراسة ومكثوا ساكنين داخل معسكراتهم
اذ اعتادت الدوريات الخروج عن المدينة بصفة دائمة وخاصة عدد كبير من
المخربة وعندما غثروا على قوات العدو ودورياته الصغرى (كما يحدث
ذلك مراراً فى الجيوش الكبيرة يخرج الجنود ليس فقط لقضاء الحاجة
ولكن للسلابة بمراعى الفبول والبنال والحيوانات الى ستنهر) فيقتلونهم
ويجردونهم من كل شىء هذا واذا صادفهم مهاجمة العدو بأعداد كبيرة
فانهم ينسحبون مسرعين لاستعدادهم الطبيعي فى سرعة العدو وحسن
التجهيز . لذلك تمكن عدد غير من الانسحاب من روما واتجه الى
« كامبانيا » والبعض الى صقلية والبعض الآخر الى جهة تناسبهم وقد
تبين لبلزارىوس أن عدد الجنود غير كاف لتغطية السور الدائرى باكملها
لقلة عددهم كما سبق أن نوهت به^(١١٠) وأنه يتعذر عليهم القيام
بالحراسة بصفة مستديمة دون الظلود الى النوم اذ سوف ينال البعض
بينما يتولى البعض الآخر الحراسة وفى نفس الوقت رأى أغلبية الشعب
فى فقر مدقع وفى حاجة الى ضروريات الحياة لكونهم عمالاً يديون ،
وكذلك ما ينالونه هو قوتهم اليومى ، وحيث انهم اضطروا الى البطالة
بسبب الحصار وقد عدموا وسائل كسب العيش ولهذا الأسباب جمع
« بلزارىوس » الجنود والمواطنين مما ووزعهم على المواقع وحدد
أجراً معيناً يومياً لكل من الرجال الغير مجندين وهكذا تمكن من جمع
وحدات تكفى لحراسة السور وأسند الى الدوريات الحراسة الليلية
للاستكمامات بالتناوب وبذلك تمكن بلزارىوس من التغلب على متاعب
الجنود والمواطنين .

كان هناك شك موجه ضد سيلفاريوس Silvarius رئيس أساقفة المدينة
اذ تورط فى المبالوعات مع القوط فأرسله بلزارىوس فوراً الى اليونان ،

وبعد فترة وجيزة عين رجلا آخر يسمى « ميجيليوم » *Vigilius* في مركز رئيس الأساقفة كما نفى خارج روما بمنفى أعضاء مجلس الشيوخ ولكن أعداهم إلى ديارهم بعد مدة اثر قيام الطوفان العظيم والجلد من المدينة ومن ضمن هؤلاء « ماكسيموس » *Maximus* وكان جد « ماكسيموس » قد ارتكب جريمة ضد الامبراطور فالنشيان وخشى أن يتورط حراس البوابات في مؤامرة ما بدخول أحد الأشخاص من الخارج بفرض اسناد الحرس يدفع الرشوى فالتف الملتصق كلها ووضع غيرها تختلف عنها في الشكل في كل مرة . ونقل الحرس إلى مواقع أخرى تبعد كل البعد عن المواقع التي سبق لهم أن عسكروا فيها وغير الحراس وبدلهم بغيرهم على الاستحكامات على موقع معين من السور وفيه اسما الحراس .. وفي حالة غياب أحدهم يستبدل بغيره بصفة مؤقتة ، وفي اليوم التالي يبلغ بليزاريوس شخصية باسم انفطيق لتوقيع الجزاء المناسب عليه كما أمر الموسيقين بالعرف على ألتهم نيلا

وفي هذه الآونة حاول بعض الرومان اقتحام معبد « جانتوس » *Genus* سرا . هذا الجانتوس هو أول الآلهة القديمة التي سماها الرومان « بيناتس » *Pennas* (١١١) وله معبد في هذا المكان من الساحة في مواجهة قاعة مجلس الشيوخ التي تمتد بعد « تريافانا » (١١٢) قليلا لذلك اعتاد الرومان أن يطلقوا عليه اسم « مويراى » *Moirai* (١١٣) ، وبني المعبد بأكمله من البرونز على شكل مربع ومعرض.

(١١١) جانتوس اله اهللى قسم - وقد ظهرت بعلته في معبد رومانيوس .

(١١٢) معبد جانتوس هذا من اكبر المعابد الشهيرة في روما ولكنه لحسن المعبد الوحيد وهو يحتل المكان المجاور لقوس سبتيوس سبوريوس وهو بوابة معبد جوبيتر وبواجهه سجن بليرين *Mamertine* وتريفتا *Tri Fata* وهم ثلاث تبايل لتتبع الكهنة وهى منتسبة بجانب المثير . (الترجمة ٣)

(١١٣) المعبد

(١١٢) المعبد والقدح .

يكفى أيوا، شمال جانوس فقط . التمثال اذا من البرونز وبلارتفاع خمسة
 اقدم مكبة وعن يلقى المواصفات فله يشبه الرجل ولكن برأس ذات
 وجهين يتجه أحدها شرقا والثاني غربا ، أمام كل من الوجهين أبواب
 من التمس الأسفل كان الرومان قديما يملقونها في أوقات السلم
 والازدهار ويفتحونها أثناء الحروب . وعندما تشرف الرومان بالتدخل
 في المسيحية – أثلوا تماما عن هذه المادة ؛ وألقوا عن فتحها أثناء
 الحروب . واعتقدوا أنه خلال هذا الحصار – قام بعض ممن ظن
 يتصك بهذه المادة بمحاولات سرية لفتحها لكنهم لم ينجحوا على
 الإطلاق ، وقد حركوا الأبواب واحدا خلف الآخر ، وهؤلاء الذين حاولوا
 ذلك فشلت محاولاتهم ولم يحدث تحقيق شيء من هذه الأعمال ، وهذا
 طبيعي في حالات الفوضى ، حيث لم يطم القادة بهذه الواقعة كما ولم
 يطم عامة الشعب الا القليل منهم .

(٣٦)

هذا وكان فيتيجيس في حالة غضب وحيرة ، لذا أرسل بعض
 حراسه الى رافنا ، وأمرهم بقتل أعضاء مجلس الشيوخ الرومان من
 الأسرى الذين تم أسرهم عند بداية الحرب ، ولما علم بعضهم مسبقا
 بمصيرهم هربوا هاربين ومنهم « فرجنتينوس » *Vergentius*
 و « ريلراتوس » *Reperatus* شقيق « فجيلوس » *Vigilius*
 رئيس أساقفة روما الذين اتجهوا الى ليجوريا وبقوا هناك ، وقتل
 الباقين ولما شاهد فيتيجيس العدو يتمتع بقدر واسع من الحرية ليس
 فقط في حمل ما يريد خارج المدينة ولكن في أخف المئون برا وبحرا ،
 قرر الاستيلاء على الميناء الذي سماه الرومان « بورتوس » .

يبعد الميناء عن المدينة بسعة وعشرين ستاد = لأن روما لا تترك
على البحر . وتقع عند مصب نهر التيبر (١١١) ، هذا وفي حين أن النهر
يجرى بعيداً عن روما ويصل إلى موقع يجاور البحر على مسافة خمسة
عشرة ستاد منه يتفرع المجرى إلى فرعين متوفاً ما هو ممدود
بـ « الجزيرة المقدسة » هذا ويجري النهر ويزيد عرض الجزيرة حتى
يتساوى مع طولها إذ تبلغ المسافة بين فرعي النهر خمسة عشرة ستاد ،
كما وتسمى الملاحة على الفرعين ، ويصب الفرع الأيمن للنهر في الميناء
وبنى قدماء الرومان عند المصب مدينة (١١٢) موهوبة بسور حصين وسُميت
« بورتوس » مثل الميناء ولكن عند الجهة اليسرى يصب الفرع الأخرى
للتيبر في البحر يوجد مدينة أوستيا Ostia عند نهاية الفلسفة
وهو موقع ذو أهمية كبيرة في الأزمنة القديمة ولكنها غير مسورة في
الوقت الحاضر وبالإضافة إلى ذلك بنى الرومان طريقاً من « بورتوس »
إلى روما وهو طريق أملى وسهل ، وهناك صنادل كثيرة ترسو عند
الميناء جاهرة للخدمة عند وصول سفن التجار إلى الميناء - يقوم التجار
بإزالة البضائع وشحنها على الصنادل التي تبحر على التيبر في اتجاه
روما دون استعمال القلاع أو المجاذيف لاستحالة سيرها بالقلع نظراً
لكثرة التمرجات وعدم السير في اتجاه مستقيم لأنها تسير عكس التيار
فبدلاً من الجوء إلى هذه الوسائل فإنهم يربطون الحبال من الصنادل إلى
أغصان الشجر ثم جر مثل العربات إلى روما . ولكن على الضفة الأخرى
من النهر حينما يتجه الشخص من « أوستيا » إلى روما فإن الغابات
تغلب بصفة عامة على الطريق فهو مهمل وبعيد عن غفة التيبر لا تعتمد
حركة جر الصنادل على الطريق .

(١١٤) هذا هو المصب الشمالي .

(١١٥) قطع الإمبراطور كلوديس القناة الشمالية من النهر حتى يفتح
فرق روما وجعل ميناء كلوديو مفتوحاً على البحر بالقرب من المصب ، وأبناء
المصور اللقي المحاذي لميناء كلوديس هو الذي بناه الإمبراطور تراجان .
(الترجمة)

لذلك تقدم الهوط على دفعت وشاهدوا المدينة ومينائها بدون حراسة لذلك استولوا عليها من الهجوم الأول وقتلوا العديد من الرومان المقيمين هناك كما استولوا على المدينة ثم أقبلوا حراسة مكونة من ألف رجل من قواتهم وعاد الباقون الى المعسكرات ، ونتج عن ذلك استحالة ادخال البضائع الواردة بحرا الى المحاصرين الا عن طريق أوستيا وهو طريق يحتاج الى مجهود واسع بالإضافة الى الخطر الناتج عن عجز السفن الرومانية عن الرسو عليها ولكنها رست عند « انثيسوم » *Antium* على بعد رحلة يوم واحد من أوستيا ، ولكنهم جادلوا متاعب جمة عند نقل البضائع الى روما بسبب ندرة الرجال اذ خشي بلبيزاريوس على استحکامات روما وبالتالي هجز عن تحصين الميناء وتزويدها بالعماليات هذا ولم يصدق انه اذا عسكر ثلاثمائة من الرجال للحراسة سوف لا يجرؤ البرابرة على محاولة اقتحام الموضع القوي المتحصين .

(٢٧)

قام القوط بهذا العمل البطولي في اليوم الثالث بعد الهجوم وانسحابهم من السور عند ذلك وصل « فالريان » *Valerian* و « مارتينيوس » *Martinus* بعد مرور عشرين يوما من الاستيلاء على مدينة « بورتوس » ومينائها على رأس ألف وستمائة فارس ينتمي معظمهم الى قوم الهون ، و « الاسكلاكين » (١١٦) و « الايتان » (١١٧) المقيمين على نهر « ايستر » (١١٨) على مسافة بسيطة من الشفتين . فرح « بلبيزاريوس » عند قدومهما وظن انه في استطاعته الاستمرار في

(١١٦) من السلاف وهم عناصر جلبت مقدونيا في المصور الوسطى .
(الترجمة)

(١١٧) شعب من شعوب السلاف ايضا .

(١١٨) نهر ايستر سبق ان اوضحناه انه نهر الدانوب حاليا .
(الترجمة)

مقاومة العدو لذلك أمر أحد أتباعه في اليوم التالي واسمه « تراجان » Trajan وهو مقاتل نشط وقد حمل على مقبلة العدو على رأس مائتين من الفرسان ، وبمجرد وصوله الى المعسكر عليه أن يتوجه الى نل (بعد أن أشار اليه) والمكوث هناك سلكا واذ تقدم العدو للقتال فعليه الا يشتبك معه وعدم لمس السيف أو الرمح بأي حال من الأحوال بل يستعمل الأقواس دون غيرها واذ تأكد أن كثافته خلوية من السهم أو السهام عليه القيام بالفرار بأسرع ما يمكن دون التفكير في العار واللجوء الى الاستحکامات . وبعد أن جدد تعليماته المذكورة جهز الآلات اثني تطلق السهام والرجال المرة في استخدامها . خرج تراجان على رأس مائتين من الرجال من بوابة « سالاريان » Salarian وانجهوا الى معسكر العدو . اندعش العدو من هذا التصرف المفاجئ وخرج من معسكراته بعد أن تناول كل رجل ممداته على قدر المستطاع ، امتطى رجال تراجان كلهم الجياد حتى قمة التل الذي أشار به بليزاريوس ومن هذا الارتفاع شرعوا يطلقون السهام على البرابرة وهيئ انها وقعت كلها على حشد منهم فقد أصابت كلها الرجال والخيول ولكن وبعد أن استنفذت القذائف لديهم انسحبوا الى الخلف بسرعة وهنا تدفق القوط يطردونهم . وعند وصولهم الى الاستحکامات أطلق عمال الآلات السهام على العدو . فدخل الرعب في قلوب البرابرة وهربوا هاربين دون المضي في المطاردة وقيل انه مات في هذه المعركة ما لا يقل عن مائة من القوط . وبعد أيام أرسل « بليزاريوس » و « منديلاس » Mundilas شطرا آخر من حرس الفصاح مع « ديوجينيس » Diogenes وهما من أمير المقاتلين على رأس ثلاثمائة حارس لإعادة تنفيذ العملية ونفذوها وفقا لتعليماته وكانت النتيجة انه بدأ الاشتباك مع العدو وقتل نفس عدد القتلى في المعركة الأولى وربما أكثر ثم أرسل للمرة الحالية أحد حراس « اوبيلاس » Oubas على رأس ثلاثمائة حارس وزوده بتعليمات للقتال مع العدو على نفس الطريقة وقد لحرز

نفس النتيجة . هذا وبعد اتمام الهجمات الثلاثة وفقا لما رويته قنصل « بليزاريوس » حوالى اربعة آلاف جندي للمدو . نسي « فيتيجيس » *Vitiges* أن يأخذ في الحصان الفرق بين الجيشين من ناحية التسليح والظيرة في العمليات الحربية واعتقد أنه كان في استطاعته أيضا أن ينزل بالمدو خسائر فادحة إذا هاجمه على رأس قوة صغيرة نذلك أرسل خصمته من الفيلة وأمرهم بالاعتراب من الاستحكامات وإلقيام أمام جيش المدو بأكمله بالظهار الخطط الحربية التي استعملت ضدهم بفرق صغيرة كانت السبب في هجيتهم فقد وصلوا الى مكان مرتفع لا يبعد كثيرا عن المدينة ولكن بعيد عن مدى أصالة القذائف ، وتوقفوا هناك واختار بليزاريوس ألف رجل وعلى رأسهم « بيساس » *Bessas* وأمرهم بالاشتباك مع المدو ، وحوطت هذه القوة المدو في دائرة وأخذوا يطلقون القذائف من الخلف وقتلت عددا كبيرا منهم وبالفستق القوى على الباقيين أجبروهم على النزول الى السهل وقامت هناك معركة رجل ضد رجل بين القوتين ولكن بغير تكاليف وقتل أغلبية القوط وقد تمكن عدد قليل منهم من الهرب بصحبة وبالعودة الى معسكراتهم لمن فيتيجيس هؤلاء الرجال مؤكدا أن الجبن هو سبب هزيمتهم وشرع بحث على تجهيز كتيبة أخرى من الرجال لتعويض الخسائر بعد فترة وجيزة ثم تمكن الى السكون في الوقت الحالي - وبعد ثلاثة أيام اختار رجالا من كل المعسكرات يقدرون بحوالى خمسمائة رجل ، وأمرهم بالظهار البطولات ضد المدو ، وهذا ولما شاهد بليزاريوس هؤلاء الرجال يقتربون أرسل ضدهم ألفا وخمسمائة من رجاله بقيادة « مارتينوس » *Martinus* . و« هاريلان » *Varian* قامت المعركة بين قوات الفرسان على الفور ونظرا لتفوق الرومان العددي على المدو ، قد أجبروه على الفرار بدون مشقة وقضوا عليه تقريبا ورأى المدو أن كارثة كبيرة وقعت عليه وأنها قليل على سوء الحظ لأنه عندما كانوا يقتلون بأعداد كبيرة كان المدو في عدد قليل وبالعكس عندما قتلوا المدو

بأعداد كبيرة كان العدو في عدد قليل وبالعكس عندما قاتلوا العدو بأعداد صغيرة فقد الهزموا ، وقد وجه الرومان لقتلها بقلتها على بليزاريوس وعلى حكمته بعد أن تمجوا تمجبا كبيرا ولما طلبه أسدقلاؤه بالهشاه سر كليفية تأسيس حكمه في هذا اليوم بعد فراره من العدو اثر هزيمته الثالثة وسبب تأكيد الانتصار عليهم بصفة قاطعة في الحرب مثل لهم انه عند الاشتباك بهم أول الأمر على رأس قوة صغيرة لاحظ الفرق بين الجيش ثم فكر انه في حالة القتال معهم في المعارك بقوة متكافئة مع قوتهم^(١١٩٧) سيتمكن العدو من انزال الضائر بالرومان نظرا لقلة عددهم والفرق بينهما هو الآتي : ان كل الرومان على وجه التقريب وحلفائهم اليون من امير الفرسان حلفى القوس في حين انه لا يوجد رجل واحد بين القوط يتمتع بخبرة في هذا المجال لأن فرسانهم يستعملون الرماح والسيوف فقط ويدخل حاملوا الأقواس معهم المعركة مترجلين وتحت عملية الجنود المدججين بالسلاح الثقيل . نذلك فليس أمام الفرسان وسيلة للدفاع ضد العدو الذي يحارب بالأقواس واصابتهم بالرماح وقتلهم سهل جدا الا اذا قام القتال رجلا لرجل . أما المشاة لا يقدرون على الخروج والقتال ضد الفرسان . صرح بليزاريوس انه لهذه الأسباب وقمت هزيمة البرابرة على يد الرومان في الاشتباكات الأخيرة وتذكر القوط النهاية الغير منتظرة من خبرتهم وتنازلوا عن الهجوم ضد استكمال روما بأعداد صغيرة وكذلك عن مطاردة العدو بعد أن قام بالاستنزاف فيما عدا اجهله على العودة الى مسكراته .

(٢٨)

أبتهج الرومان فيما بعد بانتصارهم وتناثروا جميعا الى قتال جيش القوط بأكمله واعتقدوا أنهم سوف يحاربون على السهل المكتشف ، وقد نظر بليزاريوس الى حجم الجيش الذي ما يزال كبيرا واختار المخاطرة

١١٩٧. كانت العربة صغيرة لكنها بسرورية بها في القوة .
(المرجعة)

بدخول معركة نهائية بكل من جيشه لذلك انهك في المواجه الدورية عن المدينة وخطط للهجوم بها على المدون ثم وصل إليها إلى القرار بمسد أن زاد النصب على علقته من الجيش والرومان بصفة عامة وبالهم من رغبته في القتل بكامل جيشه فقد عزم على بدء القتال بحملة مفاجئة. خلع المدينة ولكن تراجع مرات عديدة عن القيام بهذه العملية وافطرو أن تأجيل الهجوم إلى اليوم التالي بعد أن علم أن العدو قد أخسر عن الهاربين بخططه وبالتالي استدوا لقلبته ، فلهذا السبب عزم على القيام بمهمة نهائية في ميدان القتال المكثوف وحضر البرابرة مرووين لقلبته ، وبعد استعداد الطرفين للمعركة على أحسن وجه جمع بلير اريوس جيشه وشجع جنوده على الوجه الآتي :

« أيها الأخوة الجنود ليس لأنى لمست جبنا من جانبكم وليس لأنى أرحب قوة العدو - تراجعتم عن الاشتباك معهم ولكن رأيت الانسحاب في الحرب بمرسل الدورية المفاجئة خارج المدينة وأن هذا لأجراء في مصلحتنا لذلك فقد رأيت أنه من الواجب التصك بمسحة عامة بالخطط التي تشبب في انتصارنا فلن لا متقلدى بأنه عندما تسير أمورنا بما يرضينا وغيرها من وسائل القتل فلننا سوف نصلب بالضرر ولكن ههنا أنتى أرى أنكم تواهون إلى هذا الضرر غلى أنتى فيكم ولا نهارض بسانتكم - لا أعرف أن الناطق الزقيني للحرب هو موقف المقتلين منها وبصفة عامة ينود سبب التراجع إلى حملتهم عطا وتطمون الآن أن كل رجل منكم يعرف تعلم المعرفة أن يجهما من الرجال المجيزين للقتل ببسالة يستطيعون التغلب على عدد كبير من الأعداء متمدين لا على الأشعلت بل على خبرتهم القتالية الهيمية - ويتبقى عليكم ألا تاجنبوا الضار للأيجاد السليقة طوال مدة خدمتى كقائد ولا للأمل الظلم من خفاكم هذا وسوف يتم اصدار حكم على انجازتنا في هذه الحرب يتوقف على النتيجة التي نصل إليها اليوم وفى اعتقادى أن هذه المنفعة في مصلحتنا لأنها من الأرجح أنها سوف تسهل علينا السيطرة على العدو ،

اذ ان روحهم المنوية تهلزت اثر الأحداث السابقة ، ذلك لأنه عندما يصلح الجنود سوء الحظ مرارا . تتفقد قلوبهم الروح المنوية ، ويحد قليلا .. هذا وأرجو ألا يفرط أحدكم في استمطاع الجنود والإقوال وأعي نوع من السلاح لأننى سوف أستعمل لكم كل ما يدير فى المصركم بغيره .»

وبعد أن وجه بليزاريوس هذه الكلمات التوجيهية قلب جيشه من خلال بوابة « بنيسيان » Pincian المنوية وبوابة « بيلاريين » Salaria وأمر بعض الرجال بالخروج من خلال بوابة « أودنيان » Aurian نحو سهل نيريون بقيادة فالنتينوس . Valentinus قائد كتيبة من الفرسان . وأمره ألا يبدأ المعركة أو يقترب من معسكر العدو ولكن عليه أن يتظاهر دائما أنه وشيك الهجوم حتى يحول دون اجتياز العدو هذه المنطقة على الجسر المجاور ويسرع إلى مساعدة جنود باقي المعسكرات . ذلك لأنه كما سبق أن نوهت به أن معسكر البرابرة كانوا على سهل نيريون Nero وباعداد كبيرة وقد بدأ الله أن هذه الأعداد كافية وتتمكن من عزل باقي قوات الجيش عن الآخرين . وتسلح بعض أفراد الشعب الرومان وخربوا متطوعين للقتال . ولكنه رفض أن يقبلهم للقتال بجانب القوات النظامية وخاف عليهم إذا اشتبكوا فسوف يتسببون فى هزيمة الجيش بأكمله لكنهم من المفلح وبدون دراية بخبرة الحرب ولكن عند بوابة ملفكونسيان التى تلازم النهر أمرهم بالتجمع فى فيلق « الالتزام بالعدو » ، وبعد أن فكر فى الأمر أيقن أن العدو المعسكر على سهل « نيريون » سوف يتفكك من رؤيتهم وبجولهم قوات « فالنتينوس » Valentinus ولا يجرؤ على مغادرة المعسكر والاشتباك مع باقي قوات القوط ضد قواته ، واعتبر هذا ضربة حظ وميزة حيلة ان تجمع هنا الجمع الكبير من الرجال بعيدا عن جيش الأعداء .»

ونظرا لهذا الموقف أباح الاستبك في هذا اليوم في معركة سلاح الفرسان فقط وقد أبدت قوات المشاة رغبتها في عدم البقاء على حالتها الراحة ، وحيث أنه قد سبق لهم الاستيلاء على الجياد كمنلثم من العدو ونظرا لدرايتهم بوسائل ركوب الفيل فقد امتطوها ولأن عدد المشاة صغير واستعمال جمع الرادها في فيلق ذي أثر قتالي فعال وإني أنهم لا يجروؤن على مهاجمة البرابرة ولكنهم يلجأون إلى الفرار منذ اللحظة الأولى فقد اعتبروا أن هناك خطرا في إبعادهم عن الاستحكامات وفكروا أنه من المستحسن أن يبقوا في موقعهم العالي وعلى مقربة من الخندق ، لأنه في حالة هروب قوة الفرسان الرومانية فانهم يواجهون العربيين ويساعدونهم على اجتار العدو على الفرار .

وكان هناك رجلان من ضمن حرس بليزاريوس أحدهم يدعى « برينسيپوس » Principius وهو رجل شجاع ومن مواليد « بيسديا » Pisdian (١٢) وتارموتوس Tamutus من مواليد « ايزوريا » Isaurien شقيق « اينيس » Ennes قائد ذوم الأيزوريين وقد حضر الرجلان أمام بليزار يوس وتكلما كالآتي :

« يا أعظم القادة نرجو ألا تتخذ قرار استبك جيشك الصغير مع عشرات الآلاف من البرابرة بفصله عن كتيبة المشاة وألا تفكر لحظة واحدة في أن يتجرأ أحد في معاملة قوات المشاة الرومانية بازدراء ، فكما سمعنا أن سلطة قدماء الرومن ترجع إلى قوتهم الحالية ، ذلك إذ انها لم تقم بنشاط يذكر في هذه الحرب فليس هذا دليلا على جبن الجنود ولكن اللوم يقع على قادة المشاة لأنهم الوحيدون الذين يمتلكون الجياد أثناء المعارك ولا يريدون المساهمة في احتمال ويلات الحرب مع

(١٢.) مدينة بيسديا Pisdia مدينة قديمة تقع في جنوب الأناضول .
(المراجعة)

انظر :

غيرهم ولكن بصفة عامة يفرون قبل نشوب المعركة . ولكن هل تستطيع أن تحكم قيادة الفرسان اذا رأيتم يتحنون لقوات الفرسان ويمتنعون عن الوقوف الى جانب رؤسهم . وتقبلهم مع باقي قوات الفرسان وتدخل بهم الحرب وتسمع لنا بقيادة المشاة ، فبالرغم من اننا مترجلون فلننا سنقوم بواجبنا في مساعدتهم على صد هجوم جحافل البربرية واتقن اننا سنوقع على العدو أى نوع من العقاب يسمح به الرب .

عندما استمع بليزار يوس الى هذا الخطاب لم يوافق عليه بقدرى . الأمر وقد أعجب أعجابا شديدا بهذين الرجلين وهما مقاتلان على درجة عالية من الكفاءة ، ورفض أن تقوم قوة صغيرة من المشاة بهذه المظاهرة . ولكنه أخيرا وبعد الالتاح الشديد من الرجلين وافق على تكليف عدد صغير من جنودهم مع الشعب الرومانى لحراسة البوابات والشرفات على قمة السور حيث تركزت الآلات الخربية وأمر باقى القوات بالتكركز الى الخلف فى تشكيلات منتظمة بقيادة « برينسيبيوس » *Principius* و « تورمونوس » *Tarmulus* .

كان هذه الأول من هذه الخطة منع هؤلاء الجنود من التسبب فى إزباك باقى قوات الجيش اذا أصيبوا بالذعر عند وقوع الخطر ثم فى حالة تفكك قوة الفرسان ينسحبون الى الفرار فى أى وقت وبالعائلى فرقة الانسحاب بانتشارهم على مسافات طويلة . ولكنه دعم قوات المشاة حتى يتمكن من صد المطردين بمساعدتها .

(٢٩)

استمد الرومان للقتال بهذه الوسيلة لها غيما يخص « فيتيجيس » *Vitigis* فقد قام بتسليح القوط ولم يتزك أخذا فى المستكرات الا العاجزين عن القتال ، وأمر الرجال الذين يقومهم مارسيلس *Marcus* بالإبقاء على سهل نيمون *Nemo* وتناول حراسة الجسر

لحق هجوم العدو عليه في هذا الاتجاه ثم جمع الجيش وتحدث الى رجاله كالآتي :

سوف يفكر البعض منكم اني خائف على مملكتي وان هذا هو سبب اظهاري للمشاعر الطيبة نحوكم في الماضي وانا اوجه لكم الآن ذلك لأن الجملاء من الرجال اعتادوا أن يظهرُوا الرقة نحو الذين يريدون كلمات جميلة لاتقلد بساتنكم .. هذا التكبر لا يتفق وسبل الانسانية . المتاملون مهم حتى اذا كانوا من مستوى أقل ولكن يصعب عليهم النوصون الى البعض الآخر ممن لا ينبغي انصاؤون معه . فيما يخصني فاني لا اباالى بنهاية حياتي او فقد سلطاني .. كلا بل اني اأصلى من أجل خلق الرءاء الابراطوري الأرجواني ليرتديه شخص آخر من القوط . هذا وقد اعترفت دائما واعتبرت نهاية ثيوداتوس Theodatus نهاية سعيدة اذا حالله لحظ عندما فقد مملكته وحياته على أيدي رجال وطنه . هذا وكل مصيبة تقع على الفرد دون أن يتورط فيها أهل بلده تحمل معها موااساة على الأقل بالنسبة للرجال الحكماء ، ولكن عدت الى مصر الوندال ونواية جليمر وخطرت على بالي أفكار غير طبيعية كلا يبدو لي أن القسوط والطاهم وصلوا الى اليهودية وتخضع زوجانكم لأبشع الطرق لأسفل الرجال ولن توجهنا شخصيا وحفيذة نيودوريك^(١٢١) الى أية جهة يريدوها أعداؤنا الآن سوف أقودكم الى معركة خاسرة اذا فانتلتم هكذا في ميدان القتال فسوف تتصنون الموت فضلا عن الأمان بعد الهزيمة . ذلك لأن النبلاء من الرجال يوجهون الأعتبار الى نوع واحد من سوء النطق الا وهو أن ينشأ حيا بعد هزيمته على يد الأعداء . ولعينا يخلص الموت وخامسة الموت السريع فانه يمنح السعادة لمن لم يخنه الحظ ، ومن الجلى انكم اذا احتفلتم بهذه الأفكار في أذهانكم عند أقدامكم على المعركة القادمة سوف لا تنتظرون وتنتصرون على أعدائكم بكل سهولة لقلتم ولتحالفهم

(١٢١) حفيذة نيودوريك هي مونتسونتا Montesuntha .
(الترجمة)

مع الاغريق فحصب بله وسوف يوقعون بهم العذاب على الظلم والبربرية التي يعاملونها بها رغم عدم استئذاننا لهم ، هذا واذا نتجاي بنفوسنا عليهم في البسالة والمدد وغيرها من المجالات فإن البسالة التي يشعرون بها عند الاشتباك انما ترجع فقط الى ايتناجهم لتناعبنا وكل ما لديهم من حزائنا هي عدم الجلالة التي انظرنايا ولأن جثثهم البسيدة هو الذي سابعدهم على الثقة في انفسهم .

وبعد الغاء هذه الطقات التشجيعية متى فيتيجيس *Vitigis* في تسليم جيشه انتظاراً للمركة مركزا على سلاح المشاة يحوطه سلاح الفرسان على الجناحين . هذا ولم يسحب فيلقه بعيداً عن المستكرات واحتفظ به بجوارها حتى اذا نشب القتال فسوف يسيل عليه القصاص بالمدد وقتله نظرا لوفرة امكانيات المطاردة . واخذ في الاعتبار انه اذا تغلقت امور المركة على السهل سوف لا يتحملون غنطه ولو لمدة قصيرة اذ يتضح تماما انه يستحيل الصمود امام الاعداد الغفيرة لجيش المدو .

وبذلك قامت المركة في الصباح الباكر بين جنود الجانبين ووقف كل من بليزاريوس وفيتيجيس الى الخلف يشجعان الجيشين على القتال والجلد . وعند بداية المركة سيطر الجيش الروماني عليها وسقط عدد كبير من البرابرة اثر ضربات رماة السهام ولم يبق بمطاردتهم ، وحيث ان جبابله الفرسان وقفت على اجهة الاستمدايد لبترويد المركة بالرجل ليحلبوا محل القتلى وبهذه الوسيلة لم تظهر الخسائر جلية ، وقد ابتهج الرومان للوصول لمثل هذا النجاح بالرغم من قلة عددهم وبعد ان تقدموا بالمركة في منتصف النهار حتى بمسكرات العجو وقتلوا عددا كبيرا منهم حرصوا على العودة الى المدينة منذ اول فرصة سانحة وفي هذه المرحلة من القتال اظهر ثلاثة من رجال الرومان بطولات تنسوق بشلطة الآخرين وهم « اثينودوروس » *Athenodoros* و « جوين » *Georgios* و « ثيودوريكوس » *Theodoricus* وجورج *George* من حاملي الرماح تحت قيادة

مارتينوس Martinus ومن مواليد كبادوقيا ذلك لغروجهم المستمر أمام
جبهة الفيلق وقتل العديد من البرابرة بالرماح وكان هذا هو وصف
الأحداث .

وقف الجيشان في المواجهة على سهل نيمون لفتوة طويلة دون
حرك وقام المأزبة بحملات استنزافية مستمرة بالمزاييق على العدو
ولم يرغب القوط في الاشتباك معهم خوفا من جبروت قوات شعب روما
السكرية الرابضة على مسافة قليلة منهم فلما أنهم من الجنود وهم
سلكتون تنفيذ لحظة توقفهم في كمين تمهيدا لمطاردتهم من الخلف
والهجوم عليهم من الجانبين ولقتلهم جميعا وعند منتصف النهار هجم
الجيش الروماني فجأة على العدو واضطر القوط الى الفرار بهمد أن
أصيبوا بالذعر من الهجوم المفاجيء ولم ينجحوا حتى في الفرار الى
مسكنهم بل تسلقوا التلال المجاورة ولزموا السكون هناك . لم يكن
الرومان المتفوقون جميعهم من الجنود بل كان أغلبهم من رجال بلا دروع
دفاعية . هذا وبعد انشغال القائد في مكان آخر تطلكت الرغبة العديد
من الضدم والبحارة بالمسكر الروماني في الحصول على نصيب من
الغنائم العربية وبالتالي انضموا الى هذا الجزء من الجيش وبالرغم من
انهم أنزلوا الرعب في نفوس البرابرة وأجبروهم على الفرار لأعدادهم
الكبيرة فقد تسببوا في هزيمة الرومان في هذا اليوم لاقتسارهم الى
الظلم وذلك عند حركة الانقسام المذكورة فقد أوقعوا الجنود في الارتباك
وبالرغم من إصدار فالنتينوس Valentinus أوامره اليهم بصوت
مرتفع الا أنهم لم يسمعوها . لهذا السبب لم يقوموا بمطاردة أو قتل
جندى واحد بل تركوهم يستريحون على التلال في أمان انتظارا لما
يستجد . ولم يفكروا حتى في هدم الجسر المقام عند هذا الموقع متنا
من حصار المدينة فيما بعد على الجانبين ، واذا فعلوا ذلك فكان أن
شعروا نه من المستحيل على البرابرة أمداد لمسكت على الجانب البعيد
نهر التيز . وبالإضافة الى أنهم لم يجتازوا حتى الجسر للهجوم خلف

العدو الذي كان يقاتل جيوش إيليزاريوس في هذا الموقع وأن لمحو ذلك فربما أن القوط كانوا قد توقفوا عن المغلومة ولاذوا بالفرار بكل رجل قدر استطاعته ولكن استولوا على معسكر العدو وشرعوا في نهب البضائع الموجودة به وحملوا أواني فضية عديدة وغيرها من الأشياء الثمينة ومكث البرابرة لفترة وجيزة في أماكنهم ساكنين ، ولكن الالتقاء المشترك بينهم أن يتقدموا ضد أعدائهم يصرخون غاضبين . وحينما وجدوا رجسالا منهمكين في سلب ممتلكاتهم أخذوا يقتلوا العديد منهم ثم انسحبوا بكل هدوء للراحة أما الذين أمسك بهم داخل المعسكر والفارون من المجزرة فقد ألقوا بالفنائم من فوق أكتافهم وغروا هاربين .

عند وقوع هذه الأحداث على سهل نيرون Nero وقف باتي جيش البرابرة بجوار معسكراتهم وسدوا هجوم الأعداء تحت حملة الدروع حتى أجبروهم على التقهقر بعد أن قتلوا العديد من البينود وعدد أكبر من الخيول . وعلى الجانب الروماني ترك كل الجرحى والجنود الذين قتلت خيولهم المملوف وبعد أن كان الجيش قليل العدد أصبحت قلة العدد أكثر ظهورا والفرق بينه وبين الجيش القوطي أكثر ظهورا أيضا . وأخيرا شاهد أحد جنود سلاح الفرسان البرابرة الواقفين على الجناح الأيمن هذا الموقف وهرع مسرعا تجاه العدو أمانه عجز الرومان عن صد الرماح ولاذوا بالفرار حتى وصلوا إلى فيلق المشاة . ولكن عجز سلاح المشاة كذلك عن الصمود أما مبهجة الفرسان المتدفعة لذلك انضم معظمهم إلى الفرسان في العرب . انسطر بعد ذلك جيش الرومان إلى الانسحاب والأعداء خلفهم حتى أصبح الفرار كلاما . قام برينسيبيوس وتارموتوس وبعض رجال المشاة بأعمال بطولية ضد القوط برينسيبيوس وتارموتوس وبعض رجال المشاة بأعمال بطولية ضد القوط لدرجة أنهم توقفوا تعلما ويلتالي تمكن باقي سلاح المشاة وأغلبية الفرسان من الفرار بالمزيد من الأمان .

وقع بريتانيوس Principus في مكانه بعد أن تعزق جسده
أربا أربا ، كما وقع من حوله اثنتان وأربعون جنديا من جنود المشاة ،
لكن « تارموتوس » أمسك بزعمين كل منهما في يد وأخذ يثقلهما من
أجسادهما جميعه وهو يدور يميناً ويساراً حتى توقف أخيراً مشغفاً
بالجراح . ولكن عدد حضور أخيه « ايميس » Emissarius لمساعدته
على رأس قميلة من الفرسان علت إلى الزوج وجزى نحو الاستحكامات
وهو جريح وعلىء بالدفء والثراب دون أن يرسم الزعمين من يديه . ولما
كان من طبيعته سرعة الحركة عند القدمين فقد تنجح عن الهروب بفرضهم
من محنته ولم يسقط إلا عند وصوله إلى بوابة « بينسيان » Pincian
واعتقد أن بعض رفائه رفعوه على درع وحملوه داخل المدينة ، فعاث
يرعين قبل وفاته وترك وراءه شهرة عالية بين قوم الإيسوريين وبناي
البيش .

وإثناء ذلك نزل الرعب في قلوب الرومان وقاموا بالحراسة على السور
واقفلوا البوابات ونظروا لحالة الهياج الواهمة التي تنتابهم فغصروا
الساح للماربيين بدخول المدينة خشية دخول العدو خلفهم ومن تبقى
من الهلابين خارج السور اجتاز الخندق ووقف يدير ظهره للسور وهم
يرتعدون خوفاً ناسين الشجاعة وغير قادرين على صد البرابرة الذين
وصلوا إليهم وشرعوا في اجتياز الخندق تمهيداً للهجوم . والسبب في
ذلك أن معظم رماحهم قد فقدت بعد كسرهما أثناء الاشتباك وأثناء
الهروب وعجزوا عن استعمال الرماح كما عجزوا عن استعمال الخناجر
بسبب التراحم بينهم . هذا وكلما شاهد القوط عدداً قليلاً من المدافعين
على الشرفات ازدادوا في الهجوم على أمل قتل كل من بقي خارج السور
والسلو على المدافعين عن السور الدائري ولكن عندما شاهدوا عدداً
كبيراً من الجنود والشعب الروماني يتجمع عند الشرفات للدفاع عن
السور تنازلوا عن غرضتهم وتقهقروا في الخلف يظهرون أذواقهم
بالبطالة . هذا وأبدت الفرقة في مسكرات البرابرة وانتهت حياة
الخندق وسور المدينة .

تاريخ الحروب

الكتاب السادس

الحروب القوطية

(١)

ولم يعد الرومان بعد هذا يجروؤن على المجازفة بالدخول في معركة بكل جيشهم ولكنهم كانوا يشبكون في معارك يقوم فيها الفرسان فجأة بشتى الهجمات بنفس الطريقة التي كانوا يتبعونها من قبل وكانوا يخرجون منها بصفة عامة وقد حققوا الانتصار على البرابرة — وكان جنود المشاة أيضا يخرجون من كلا الجانبين ولم يكن ذلك على أية حال على هيئة كتائب منظمة ولكن على شكل مرافقين للفرسان . وقد حدث في احدى المرات وكان ذلك في أول هجوم أن انقض بيزاس *Besass* وسط العدو حاملا رمحه وقتل ثلاثة من أفضل فرسانهم وأرغم الباقين على الفرار . وفي مرة أخرى عندما كان قنستنتيوس *Constantius* يقود الهون خارجا الى سهل نيرون قرب الغروب ورأى أنهم كانوا مطلوبين على أمرهم بسبب الأعداد الهائلة لأعدائهم قام بانتفاذ الاجراءات التالية . يوجد منذ القدم في ذلك المكان ساحة هائلة (ستاد)^(١) اعتاد المصارعون بالمدينة على الاقتتال فيه في الأرمسة الغابرة وكان القدماء قد شيدوا العديد من الجاني الأخرى حول هذه الساحة وعلى ذلك فإنه توجد — حسب ما يمكن أن يتوقعه المرء — مرات ضيقة في هذا المكان . ولذلك فإنه في المناسبة التي نحن بصددنا حيث أن قنستنتيوس لم يكن بمقدوره أن يتغلب على حشود القوط أو أن

(١) ربما يكون ذلك هو ستاد كلبجولا .

يعمد الى الفرار دون أن يتعرض لمخاطر كبيرة فقد عمل على أن يجبر الهون على أن ينزلوا من على ظهور خيولهم وفي نفس اللحظة اتخذ موقفه سيرا على الأقدام - في أحد المرات الضيقة هناك ومن ثم فقد استطاع بإطلاق القذائف من هذا الموقع الآمن أن يقتل أعدادا هائلة من العدو . وقد استطاع القوط لفترة من الوقت الصمود أمام قذائهم فقد كانوا يأملون أنه بمجرد أن تفرغ جيب الهون من ذخيرتها ومن القذائف فانهم سوف يكونون في موقف يسمح لهم بالالتفاف حولهم دون مضايقة وأن يوقعوا بهم في الأسر ومن ثم يمودون بهم الى معسكرهم . ولكن لأن الماساجتاي Massagetae (٢) لم يكونوا رعاة ذوى براعة فحسب ولكنهم أيضا كانوا في موقف من يمكك أمامه حشودا كثيفة يصوب نحوها مما جعلهم يصيرون واحدا من الأعداء مقابل كل قذيفة وأدرك القوط أن أكثر من نصف أعدادهم قد هلك ولأن الشمس كانت على وشك الغيب فلم يعرفوا كيف يكون التصرف ومن ثم لم يكن أمامهم غير الفرار . ثم وقع القتلى منهم فعلا لأن الماساجتاي انطلقوا في أثرهم ولأنهم كانوا يتقنون إطلاق السهام بمنتهى الدقة حتى وهم يجرون بسرعة كبيرة فقد استمروا في إطلاق سهامهم بدرجة لا تقل عن ذى قبل وهم يصوبون نحو ظهور أعدادهم استمرارا للمذبحة وهكذا رجع قنسططينيوس مع جنوده من الهون الى روما ليلا .

وعندما قاد بيرانيوس Peranius — بعد أيام قليلة — بعض الرومان عبر بوابة سالاريان Salarian ضد العدو فإن القوط أسرعوا الى الفرار بأقصى ما فيهم من قوة ولكن قبيل الغروب كان هناك اقتفاء مضطرا للاثر روقع أحد جنود المشاة من الرومان بسبب الاضطراب

(٢) الماساجتاي هم قبيلة قديمة من اواسط آسيا كانت ضمن سلسلة القبائل الاسيوية التي بدأت مهاجمة الإمبراطورية الرومانية . احتلت الأراضي الرومانية شمال نهر الأوداربا .

الشديد في حفرة عميقة وكان الكثير من هذه الحفر من صنع الناس في الأرملة القديمة ربما من أجل اختزان الحبوب . ولم يجسروا على الصراع لاعتقاده أن الأعداء كانوا يسكرون على مقربة منه وهم يستطيعون بأي شكل من الأشكال الخروج من الحفرة لأنه لم يكن بها أية وسيلة تيسر على التسلق إلى أعلى ولذلك فقد كان مرغما على أن يقضى الليلة هناك .

وفي اليوم التالي عندما وجد البرابرة أنفسهم مرغمين على الفرار وقع أحد القوط في نفس الحفرة . وهناك تصالح الرجلان على أساس الصداقة المتبادلة والنوايا الطيبة التي تم التوصل إليها من واقع الضرورة لكليهما ومن ثم فقد تبادلوا التعميدات التي تتسم بالوفاء — تمهدت بأن يعمل كل منهما باخلاص من أجل تخليص الآخر . ثم بدءا مما في إطلاق الصراخ العالي في عسيرة شديدة . وجاء القوط على أصوات الصرخات وأخذوا يحملون من حافة الحفرة ويسالون عن يطلق تلك الصرخات . وعند ذلك فإن الروماني — طبقا للخطة التي اتفق عليها الرجلان — التزم الصمت أما القوطي فقد قال مستخدما لغة قومه أنه وقع منذ قليل في تلك الحفرة أثناء الانسحاب الشديد الذي حدث وضرب منهم أن يدلوا حبالا من أجل أن يصعد عليه . وباقصى سرعة ممكنة التقوا بأنوار عدد من الحبال وحسب ما كانوا يمتدنون أنهم كانوا يرغبون القوطي ولكن الروماني كان قد أمسك بالتحبال وكان وهو يسحب إلى أعلى يقول لنفسه أنه إذا وصل إلى فوق أولا فإن القوط لن يتخلوا أبدا عن زميلهم ولكن إذا علموا أن أحد أفراد العدو فقط هو الذي هناك فلن يكون له شأن في حساباتهم . وهكذا صعد وهو يقول ذلك الكلام وعندما رآه انقوط تمجبوا ووقعوا في حيرة كبرى ولكن عند سماعهم للقصّة كلها منه قلموا مرة أخرى برغم زميله الذي كلمهم عن الاتفاق الذي توصلوا إليه وعن التعميدات التي التزما بها . وهكذا انطلق مع رفاقه أما الروماني فقد أخذ في سبيله دون أن يصيبه أي أذى وسمح له بأن يعود إلى المدينة .

بعد هذا كان الفرسان يسلفون انفسهم بأعداد غير هجبة لمرات عديدة استخداما للمفرجة ولكن الصراعات كانت تنتهي دائما بمعارك فردية وكان الرومان يكوؤزون بالنصر فيها جميعا . هكذا كان سير تلك الأحداث في ذلك الوقت .

بعد فترة وجيزة من هذه الأحداث وقع اشتباك في سهل شيمون حيث كانت جماعات صغيرة مقدمة من الفرسان مشغولة بالقتلاء أثر أعدائها في عدة اتجاهات . وفي واحدة من تلك الجماعات كان كورسمانتيس Chorsementis وهو رجل له مكانته بين حرس بليزاريوس Belisarius وكان واحدا من الـ « مساجيتي » Massagetae

من حيث المولد وكان ضمن بقية رجال آخرين يطارد سبعين من رجال العدو . وعندما وصل فعلا الى السهل أعطى الرجال الرومان الآخرون خيولهم ليعودوا أدراجهم ولكن كورسمانتيس استمر في المضادة بمفرده . وبمجرد أن أدرك القوط ذلك أدروا خيولهم ووقفوا له بالمرصاد . فندقم وسطهم وقت برمحه واحدا من أنسب رجالهم ومضى في طريقه وراء الآخرين ولكنهم مرة أخرى كانوا قد استدروا واندفعوا للفرار . ولكنهم كانوا يشعرون بالفشل أمنم زملائهم في المعسكر الذين يشكون في أنه يمكنهم أن يروههم مرة أخرى تمنسوا لو كان بمقدورهم أن يهاجموه . وعلى أية حال فقد نرضوا لنفس التجربة التي تعرضوا لها من قبل بالفشل وفقدوا واحدا من أفضل رجالهم وهكذا ولوا الأديار برغم شغلهم وبعد أن ظل كورسمانتيس يطاردهم حتى وصلوا الى خطوط دفاعهم رجع بمفرده . وبعد فترة قصيرة وفي معركة أخرى جرح هذا الرجل في مقدمة ساقه اليسرى وكان في رأيه أن تسلاح قد كسر المعظم . ومهما يكن من أمر فقد اعتبر غير لائق للقتال طوال عدد معين من الأيام بسبب هذا الجرح ولأنه كان بربريا فلم يكن في مقدوره أن يتحمل ذلك صابرا ولكنه هدد بأنه سوف يثأر على وجه السرعة من القوط الذين سببوا تلك الإصابات لساقه . ولذلك فإنه عندما شفى بعد

فترة قصيرة وشرب حتى ثمل وقت تتلون وجبة الغذاء كما كتبت عليه
مهم على أن يخرج بمفرده للاتاة العدو وأن يثار لسلقه إلى أصبحت
وعندما وصل إلى بوابة بنشيان المبني Pappian • قيل أن بليزاريوس
هو الذي أوغده إلى معسكر العدو • أما حراس البوابة الذين لم يكن في
مقدورهم التثك في كلمة رجل يعرفون أنه أفضل حراس بليزاريوس -
لقد سمحوا له بالذهاب أينما أراد • وعندما لمح رجال العدو اعتقدوا
في بادئ الأمر أن أحد الجنود الفارين يتجه نحوهم ولكن عندما اقترب
ووضع يده على غمسه تحرك نحوه عشرون رجلا وهم لا يعرفون من
يكون هو وتحرك بسهولة ثم بدأ يتجه ممتطيا جواده عائدا إلا أنه لم
يتمكن من الهرب عندما حاجمه عدد كبير من القوط •

عندما أحاط به حشد كبير وهو لا يزال يصير على قتلهم فان الرومان
الذين كانوا يراقبون المشهد من الأبراج اعتقدوا أن الرجل لابد وأن
يكون محتوها وحتى تلك اللحظة لم يكونوا يعرفون أنه كورسمانتيس •
وأخيرا بعد أن قدم عرضا من الأعمال المظلمة الجديرة بالذكر وجد
نفسه محاطا بجيش العدو ودفع ثمن جسارته التي لا يصدقها عقل
وعندما علم بليزاريوس والجيش الروماني بهذا جزؤا كثيرا وظنوا
يخدبون الأمل الذي كانوا يضعونه في الرجل والذي انتهى للآسف •

(٢)

ها قد وصل شخص يدعى إيرثاليوس Eurthallus في الربيع
تقريبا إلى تاراسينا Tarsina قادما من بيزنطة يحمل معه الأموال
التي كان الامبراطور مدينا بها للجنود ولخشيتهم من أن يقابل الأعداء
في الطريق فيسلبون الأموال التي يحملها ويقتلونه ، كتب إلى
بليزاريوس يطلب منه أن يجعل الرحلة إلى روما آمنة بالنسبة له • وبناء

على ذلك فقد قام بليزاريوس ، بانتقاء مائة رجل لهم مكانتهم وذلك من بين حرسه الخاص وقرسلهم من رجلين من حامى الرماح الى تراسينا لمساعدته فى اخضاع الأموال وفى نفس الوقت استمر فى محاولاته فى ابقاء البرابرة على اعتدالهم انه على وشك الدخول فى قتال بكل جيشه اذ كان عدله أن يمنع أى فرد من أفراد العدو من مفادرة المكان سواء أكان ذلك لجلب المؤن أم لى عرض آخر . ولكنه عندما اكتشف أن ايوناليوس Eutharus ورجاله سوف يصلون فى المد نظم صفوف جيشه وجعله على أهبة الاستعداد للمركة فكان البرابرة على أتم استعداد . وطوال فترة ما قبل الظهيرة لم يفعل أكثر من أن يحتفظ بجنوده قرب البوابات لأنه كان يعلم أن ايوناليوس وكذلك هؤلاء الذين كانوا يحبونه سوف يصلون ليلا . وعند منتصف النهار أمر رجاله بتناول غذائهم وفعل القوط نفس الشيء ، معتقدين أنه كان يؤجل الانسحاب لليوم التالى وعلى أية حال فإنه بعد فترة وجيزة أرسل بليزاريوس كلا من مارتينوس Martinus وفالريان Valerian الى سهل نيرون مع القوات التى تقع تحت قيادته وقد أصدر لهم توجيهات بأن يوقعوا أقصى قدر ممكن من الاضطراب فى معسكر العدو . وغير بوابة بنشيان الصغيرة أرسل ستمائة من الفرسان لمهاجمة معسكرات البرابرة بقيادة ثلاثة من خاصة رجاله من رماة الرماح وهم أرتاسايرس Artasires وهو فارسى وبوكاس Bochas وهو من عنصر الماساجيتاي وكينيلاس Cutlase وهو من ترافيا وخرج الكثيرون من رجال العدو للاقتائهم . وعلى أية حال فلن المركة ظلت لوقت طويل بغير حسم فقد كان كلا الجانبين يتقاعز عندما يتقدم الآخر ويبدآن فى الانشغال بالطرذرات التى سرعان ما تعودان منها حتى بدأ الأمر وكأنهما يعمدان الى قضاء بقية اليوم فى الانشغال فى هذا النوع من الحركة . ولكن مع استمرارهم بدأوا أخيرا ينفذون بالسخط الشديد نحو بعضهم البعض . ثم اندلعت المركة على شكل صراع وحشى سقط فيه العديد من أشجع الرجال على كلا الجانبين ووصلت التجذات لكل من الجيشين من الحيفسة ومن

المسكرات . وعندما انجمت هذه القوات الجديدة مع المقاتلين ارداد حجم الصراع فكان الصباح الذى ملا جنبات المدينة والمسكرات يدخل الربح فى قلوب المتحاربين . ولكن فى النهاية استطاع الرومن بيسلهم أن يرغموا العدو على التقهقر وأن يوقفوا بهم هزيمة نكراء .

وفى هذه العمليات تلقى كلينلاس ضربة على منتصف رأسه برمح وأستمر فى مطاردته والرمح لا يزال مفروسا فى رأسه وبعد أن وقعت الهزيمة انطلق بجواره الى المدينة قرب الغروب ومعهم القناجون الآخرون والرمح فى رأسه يتأرجح فى كل اتجاه وكان مشهدا لا مثيل له . أثناء الحركة نفسها تلقى أرزيوس Arseus وهو لحد حراس بليزارىوس ضربة من أحد الرماة القوط وكانت بين الأثف والعين اليمنى غاص طرف السهم المديب حتى منطقة خلف الرقبة ولكنه لم يخترقها وكان الجزء الباقى من الرمح يبرز من وجهه ويهتز كلما اهتز الرجل فوق جواده .

وعندما رآه الرومان واثيلاس كانوا يتمجبون كثيرا لأن ارجنين استطاعا الاستمرار فى ركوب انديساد وهما لا يبديان أى اهتمام بالاصابات التى لحقت بهما . هكذا كان سير الأحداث فى ذلك المكان آنذاك .

فى سهل نيرون كنت للبرابرة اليد الطيما لأن رجال فالسيريان Valerian وهارتينوس Martinus الذين كانوا يقاثلون حشودا هائلة من رجال العدو معدوا لحمل بقوة هائلة ولكنهم لاقوا معاناة رهيبية وتمرضوا لأخطار هائلة وعند ذاك أصدر بليزارىوس امره الى بوخلس أن يأخذ قواته التى كانت قد عانت من الاشتباك دون ارهاق - الرجال والخيول على السواء - وأن يتوجه الى سهل نيرون وكان الوقت حينئذ لمر النهار وعندما حمل الرجال الذين يقودهم بوخلس لجنده الرومان استدار البرابرة فجأة طلبا للفرار ووجد بوخلس الذى كان يواصل المطاردة باستمرار حتى قطع مسافة هائلة - وجد نفسه

معلطا بلثني عشر من رجال العدو يحملون رماحهم • ووجهوا اليه جميعهم
خزباتهم بالرماح دفعة واحدة ولكن درعه حمى للفريقت الأخرى التي
ثم تحبب بأذى كبير ولكن واحدا من القوط نجح في ضربه من الخلف
في مكان كان تحفه فيه مكتوبا فوق مكان الأبط الأيمن بالقوط من
الكتف وأصاب الشاب أصابة بالغة الا انها لم تكن ضربة مميتة ولا حتى
ضربة تجعله يملى خطر الموت • ولكن قوطيا آخر وجه له ضربة من
الاعام اخترقت فخذه الأيسر ومزقت العضلات في هذا المكان — لم
تكن ضربة مباشرة على أية حال ولكنها أحدثت جرحا مائلا • ورأى
هاليريان ومارتينوس ما كان يحدث في تلك اللحظة وعندما وصلوا
لانتفاذه باتصي سرعة ممكنة لنزلوا بالعدو هزيمة قاسية وأمسك كل منهما
بمقود حصان بوخاس ودخلوا المدينة — ثم جاء الليل ودخل أيونثاليوس
المدينة وحمى النقود •

وعندما رجع الجميع الى المدينة وجهوا اهتمامهم الى الجرحى من
الرجال •

وبالنسبة لحالة أرزيس — فعلى الرغم من أن الأطباء كانوا يرغبون
في اخراج السلاح المفروس في وجهه الا أنهم نباطوا في ذلك فترة من
الوقت ليس بسبب الخين التي كانوا يعتقدون انه من غير الممكن انتفاذها
ولكن بسبب خشيتهم من أن قطع الأغشية والأنسجة التي توجد بكثرة في
هذه المنطقة قد يؤدي الى موت الرجل الذي كان يعد واحدا من أفضل
من يصمم بيت بليزاريوس • ولكن فيما بعد قام أحد الأطباء وهو
ثيوقليسثوس Theoclistus بالضغط على ظهر رقبتة وسأله عما اذا
كان يشعر بألم شديد • وعندما رد الرجل بأنه لا يشعر بالألم قال
« سوف يتم انتفاذ كلا الاصابتين — سوف يجري انتفاذك أنت شخصيا
ولن يصاب بعرك بأى ضرر » لقد جيز بهذا التصريح لأنه كان قد
كشف عن أن شوكة السلاح كانت قد اخترقته حتى وصلت الى نقطة
لا تبعد كثيرا عن الجلد • وبناء على ذلك قطع ذلك الجزء من النصل

الظاهر من الخارج والقاء بعيدا وبقطع الجلد في الجزء العلوي من الرأس حيث كان الرجل يشعر بأكثر قدم من الألم استطاع بسهولة سحب النشوة . التي كانت مفروسة بأطرافها الحادة الثلاث من الخلف والخارج معها الجزء المتبقي من السلاح وهكذا ظل أرزيس بعيدا تملأ عن أي أذى خطير ولم يتبقى ولو أثر بسيط للجرح فوق وجهه . وبالعكسبة لكاليلاس لمعدما تم افراج الرمح بشئ من العنف من رأسه (لأنه كان مفروسا الى عمق كبير) راح في غيبوبة كبيرة . ولأن الأختية المصبة بالجرح كانت قد التهمت فقد راح فريسة للاضطراب العلوي^(١) ومات بعد وقت قصير . وعلى أية حال فان يوخاس أصيب لمورا بنزيف حاد في الفخذ وأصبح يبدو كمن أصبح على شفا الموت . وكان سبب النزيف حسب تشخيص الطبيب هو أن الفريسة كانت قد قطعت العفلة ليس بشكل مباشر من الأمام ولكن على شكل جرح مائل . وعلى أية حال فقد مات بعد ثلاثة أيام . لقد نفس الرومان الآية بأكلها بسبب تلك الأحداث في حزن عميق بينما كانت تسمع من المعسكرات القسوطية اليوم السابق فيما عدا عدد غير قليل منهم قد هلك خلال القتال . ان ذلك كان قد وقع لهم من قبل بدرجة لا تتل خطورة ربعا بدرجة أكبر ولكن لم يحدث بينهم ذلك القدر من الحزن مهما كان حجم أعدائهم . ومهما يكن من أمر فقد عرف في اليوم التالي أن القوط ذن يسكون رجالا من ذوى المكانة المرموقة من المعسكر الغائم في سهل نيرون - رجالا كان يوخاس قد قتلهم في أول اشتباك قلم به .

وقد وقعت مصادمات أخرى أيضا ولكنها ليست على ثقل من الأهمية الذي يجعلني أسجلها في يومياتي . وعلى أية حال فأننى سوف أقرر أن جملة المصادمات التي وقعت خلال مدة الحصار كانت سبعة وستين بالإضافة الى اشتباكين نهائين سوف يجي . وصفهما في الرد

التالى . وكان الشئاء فى ذلك الوقت قد اقترب من نهايته وهكذا انتهت السنة الثانية من هذه الحرب الى أرخ لها بروكوبيوس

(٣)

ولكن مع بداية الربيع حلت المجاعة والأوبئة بمكان المدينة . حقيقة كان لا يزال هناك قدر من الحبوب للجنود وعلى الرغم من عدم وجود أى نوع آخر من المؤن غير مقدار مؤن الحبوب لبقية الرومان لكن قد استهلك مكثت المجاعة الحقيقية وكذلك الأوبئة تفشى بشدة عليهم ولما أدرك القوط ذلك لم يمدحوا يهتمون بالمجازفة بمعركة حاسمة مع عدوهم ولكن حرصوا على الاحتراز من أن يخل بهم أى شئ . فى المستقبل . فى هذا الوقت كانت توجد قناتان بين الطرق اللاتينية وطريق ايلان تتميزان بالارتفاع الزائد عن المعقول وبالأقواس الممتدة لمسافة طويلة . هاتان القناتان ظنيتان عند مكان بعيد عن روما^(٥) ويتقاطعان مع بعضهما البعض . بحيث يمكن موقعا لمسافة قصيرة حيث تواصل تلك التي كانت تنح فيما سبق الى اليمين الجريان على الناحية اليسرى . ومرة أخرى ظنيتان فتواصلان اتجاهاتها السابقة ومن ثم تظلمان على انفسالهما . ونتيجة لذلك فإن الفراغ المحصور بينهما والذي تكتنفه القناتان يصبح بمثابة قلعة منيعة وقد قام البرابرة ببناء حوايط تسد الأجزاء السفلى والأقواس المقامة على القناتين من الحجارة والطين وبهذا الشكل أعطوها شكل القلاع وأقاموا معسكرهم هناك لمدد من الرجال لا يقل عن سبعة آلاف وقاموا بالحراسة لكي لا تصل الى المدينة أية مؤن يجلبها الأعداء .

وانقطع فعلا كل أمل فى تحسين الأوضاع بالنسبة للرومان وأحاطت بهم واحتوتهم كافة أنواع الشرور . ومهما يكن من أمر فطالما كانت هناك

(٥) تقدر المسافة بحوالى ثلاثين سناد من روما .

الحيوب ناضجة فإن الجنود الذين كانوا يتميزون بالجراحة النادرة كانوا يذهبون ليلاً بدافع الترامه وشهوة الحصول على المال - الى حصول الحيوب غير البسيده عن المدينة معتطين خيولهم وهم يسحبون خيولاً أخرى وراءهم . ثم يقومون بقمّح سنابل الحيوب ويسحبونها فوق ظهور الخيل التي يقودونها ويحملونها الى قلب المدينة دون أن يراهم العدو ثم يبيعونها بأثمان باهظة لمن يقدر على دفع مثل هذه الأثمان من أثرياء الرومان .

ولكن أهل المدينة الآخرين كانوا يعيشون على مختلف أنواع الأعشاب التي كانت تنمو بوفرة ليس فقط في المناطق المحيطة بها ولكن أيضاً في الحصون (القلاع) لأن أراضي الرومان لم تفتقر أبداً الى الأعشاب سواء في الشتاء أو في أي موسم آخر ولتقها دائماً مزدهرة وتنمو بكميات تفيى عن الحاجة في كل الأوقات . وفي هذه الأماكن أيضاً كان الواقعون تحت الحصار يجدون المرعى لخيولهم . وكان البعض أيضاً يصنع السجق من لحم البغال التي تموت في روما ثم يبيعونها سرا . ولكن عندما خانت حصون الغلال من الحبيب ووصل الرومان جميعاً الى مازق تتزايد شروء دون توقف تجمعوا حول بليزاريوس وحاولوا أرغامه على المجازفة بكل شيء في معركة واحدة مع العدو على وعد منهم بالآ يتخفف روماني واحد عن الحركة . وعندما وقع في حيرة من امره وهو لا يدري ماذا يفعل في هذا الموقف وأصابه حزن شديد تحدث إليه بعض الموجودين قائلين : « أيها القائد اننا لم نكن على اعتماد لتعمل ما وقع لنا من غت في الوقت الحاضر بل على العكس ان ما وقع هو النقيض تماماً لما كانت تطمح إليه آمالنا » .

لأنه بعد أن أحرزنا ما كنا قد وطدنا عليه العزم وصلنا الى ما نحن فيه حالياً من مأساة وقد أدركتنا أخيراً أن ما كنا نراه من قبل من اننا سلكتنا السبيل النقيض الى تلب رعاية واجتنام الامبراطور لم يكن الا غلظة مذكها نم يكن الا بداية لشروء أكبر . في الواقع لقد أوملنا . سلوك هذا!

السبيل الى شيق شديد جدا لدرجة أننا في الوقت الحاضر نرغمون على الأخذ بأسباب الشجاعة من أجل استخدام العنف مرة أخرى ومن أجل التخلص ضد البرابرة . وفي الوقت الذي نطلب فيه العفو عن جرائمنا في القوهر في حفرة بليزاربوس - لأن الوطن الخاوي لا يعرف الفجل عندما تنقسه ضرورياته - فإن الشيق الشديد الذي نجد أنفسنا فيه هو اعتذارنا عن تهورنا لأن الاتفاق سيأتي سريعا على أنه ليس هناك أي نوع من الشيق لا يمكن للرجل أن احتماله من حياة تطول وسط كل ما يعتبر منقضا لنصيب طيب في الحياة . وبالنسبة لمسا أهلنا من سوء فلان لا يمكن أن نغفل عن ادراك ما يحتويها من حزن فهذه الحقول والبساتين بأكمله وقع في أيدي العدو وهذه المدينة قد حرمت من كل ما هو طيب في الحياة مدة لا تعرف كم تطول . أما بالنسبة للرومان فإنهم قد طواه الموت ولم يكونوا ممن يستحقون أن يختفوا في باطن الأرض أما الذين لا يزالون على قيد الحياة علينا أن ننزع كل مأسينا الزهية في كلمة واحدة - فقط أن نصلي من أجل أن نرقد الى جانب الراقيين - أن خطر الموت جوعا يبين لمن يلوح لهم أن كافة أشكال الشرور الأخرى يمكن أن يتحطم المرء وحينما ظهر هذا الخطر فإنه يكون متبوعا بنسبيل كل أنواع المعاناة الأخرى ويجعل كل أشكال الموت قيما عدا ذلك الذي يخرج منه هو نفسه تبدو بهجة في نظر الرجال .

وعلى ذلك فإنه الآن وقبل أن يسيطر علينا تماما هذا الشر المستطير نرجو أن تمنحنا الأذن بالخروج متحملين مسئوليتنا على عاتقنا وحدنا لكي تبدأ المصراع الذي سوف تكون نهايته اما قهر العدو أو التخلص من متابعينا . إذ أنه عندما يجلب التأخير أمل النجاة للرجال فإنه يكون من الحماقة التي لا تفكر بالنسبة لهم المواجهة قبل الأوان لخطر يشعلهم جميعا ولكن عندما يجعل التلكؤ المصراع أكثر صعوبة فإن تأجيل التحرك حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة يكون أمرا يستحق الاستهجان بدرجة أكبر مما يمكن أن يستحقه التحرك العاجل الذي يتسم بالتسرّع » .

هكذا تكلم الرومان وكان رد بليزاريوس كالآتي :

« حسنا عن نفسي أنا لقد كنت متأهبا تماما لمواجهة ما بدر منكم من سلوك في كل أشكاله ولم يكن هناك شيء واحد مما حدث مختلفا لما كنت أتوقعه . لزم من طویل كنت أعلم أن جمعا أو (جمهرة) من الناس تغلب عليهم العاطفة لا يستطيعون أن يزنوا الأمور بأقصى قدر من التمثل وأن مثل هذا الجمع من الناس بطبيعتهم لا يستطيع أن يتحمل الحاضر ولا أن يستعد للمستقبل ولكنه فقط يعرف كيف يحاول في كل حالة على حدة الوصول الى المستحيل وتدمير نفسه دون تعقل .

ومن ناحيتي أنا شخصيا فانتني لن أسمع أبدا - بارادتي على الأمل - أن أسلم قيادتي لتهوركم الذي يؤدي اما الى تدميركم أو تدمير قضية الامبراطور للدمار معكم . لأن الحرب لا يمكن أن يكتب لها النجاح بالنسبة الى من يتعطل في تعطل الأمور ولكن بالجسوء الى الحسرة الطيبة وحسن التدبير في تقدير تحول الميزان عند اللحظات الحاسمة . انكم على أية حال تنصرفون وكانكم تلعبون بالفرد وتريدون أن تجازفوا بكل شيء بشربة واحدة ولكن ليس من عادتي أن أختار الطريق القصير عند التفضيل مقابل الطريق الذي تتملوى على مسرايا متعددة .

وفي المقام الثاني تقدمون وعدا انكم سوف تقدمون المساعدة لنا في شن المعارك ضد العدو ولكن متى كان تدريبكم على تقوية الحرب ؟ نعم من هو ذلك الشخص الذي تعلم فعلا هذه الأمور باستخدام السلاح ولا يعرف أن المعارك ليس فيها مجال للتجربة ؟ ولا العدو من ناحيته على استعداد أن يوفر الفرصة بينما الصراع دائر - للتدرب على صلبة . انتني في الواقع هذه المرة معجب بحملكم وانظر لكم هذا الانزعاج ولكن لانكم اتخذتم هذا الاجراء في وقت غير مناسب ولأن خطة الانتظار التي نتبعها هي خطة حكيمة فانتني أوضح لكم الأمور . لقد قام

الامبراطور بتجميعنا من كل اقلصى الأرض وجهز جيشا اكبر من أن يعرف عدده على وجه الدقة كما جهز أسطولا لم يحدث أبدا أن جمع مثله الرومان ، أسطولا أصبح الآن يغطى كل شواطئ كمباتيا Campanis والجزء الأكبر من خليج أيونيا Ionian Gulf وفى خلال بضعة أيام سوف تصلنا هذه التمزيزات حاملة معها كل أسنذاف المؤن لكى نضج حدا لفرقتنا ولتى تدفن مسكرات البرابرة تحت وأبل من القذائف . وعلى ذلك فقد كتبت أنتدبر الأمر على أساس تأجيل وقت الصراع اتى أن يصل هؤلاء . وبذلك نحرز النصر فى الحرب ونحن بعلمن لأن نقدم استعراضا فى الحرب يتم بالتسرع المبني على عدم تعقل الأمور وبذلك نرعى فى المراء كل احتمالات الخلاص لقضيتنا بأكملها . أن اهتمامى الوحيد سوف يكون لتأمين الوصول العاجل للتمزيزات ومنع تأخيرها مدة أطول .

(٤)

بهذه الكلمات شجع بليزاريوس جمهوره الرومان ثم طلب منهم الانصراف واهم بروكوبيوس الذى كتب هذا التاريخ بالذهاب فوراً الى نابولى . حيث كانت تسرى شائعة أن الامبراطور كان قد أرسل أحد الجيوش اليها . وفوضى اليه سلطة تحميل اكبر عدد ممكن من السفن بالمحبوب وجمع كل الجنود الذين كانوا قد وصلوا فى ذلك الوقت قادمين من بيزنطة أو الذين كانوا قد بقوا فى نابولى من أجل العناية بالخيول أو الذين بقوا هناك لأى غرض مهما كان لأنه كان قد سمع أن الكثيرين من أمثال هؤلاء كانوا يأتون الى مخطف الأماكن فى كمباتيا — وأن يسحب بعض الرجال من الحاميل الموجودة هناك ولأن يعود معهم لنقل الحبوب الى أوستيا Ostia حيث يوجد ميناء الرومان بها . ومضى بروكوبيوس يصحبه مونديلاس Mundilas للحارس وبضعة فرسان وفى الليل عبروا البولية التى تحمل اسم بولس الرسول^(٥) متقلدا مسكر العدو

(٥) البورتا أوستينيسيس « بوابة أوستينيس » .

الذى كان قد أقيم بالقرب من طريق ابييان Appianway لغرض الرقابة عليه وعندما أطن مونتيلانس ورجاله عند محبتهم الزوما أن بروكوبيوس قد وصل فعلا الى كيبانيا دون أن يلتقى بأحد من البرابرة - وأنهم كانوا يقولون أن العدو لن يستطيع أبدا الخروج ليلا من مسكره - امثلات نفوس الجميع بالأمل ويتشجع من بليزاريوس قرر الخطوة الآتية :

أرسل عددا كبيرا من غرسه الى العموم المجاورة مع تعليمات بأنه في حالة خروج العدو الى ذلك الطريق لجلب الكؤن الى مسكراته يجب عليهم دائما أن يتنصروا عليهم هجمات خاطئة من الأمانكى التى يتمركزون بها وأن ينصبوا الكمائن فى كل انحاء المنطقة وبذلك ليمتصوهم من التقدم بل على العكس عليهم بكل ما فيهم من بأس أن يلزموهم بالبقاء داخل المسكرات لكى تقل أضرار أهل المدينة عما سبق بسبب نقص الإمدادات وأيضا حتى يبدو وكأن البرابرة هم المعاصرون وليس الرومان هم الذين يقومون تحت حصارهم - ولذلك فقد أصدر أوامره لمارتينوس وتراجلن ومعه ألف من الرجال بالذهاب الى تارسينا Tarsina - وأرسل معهم زوجته أنتونيئا Antonina مع أمر بأن ترسل هى وهو بصفة رجال الى نابلى وأن تكون هناك فى انتظار الأندار التى سوف تعزل بالرومان - كما أنه أرسل ماجنوس Magnus وستيوس Sinthus الحارسين الذين أخذوا معهما نحو خمسمائة رجل الى قلعة تيسور Tibur التى تبعد مائة وأربعون فرسخا عن روما -

ولكنه كان قد أرسل فعلا جونثاريس Gontharis ومعه عدد من Euris^(٦) الأولى الى بلدة ألبانى Albani التى كانت تقع

(٦) الإيولى - عرفناهم بأنهم خصم شديد المراس كان يزعمر استخدام الفرع ، ومن عدااتهم الحكم على الأراذل بالموت اذا سبب أنواجهم وعلى الآباء الطامعين فى السن بالا بميشوا بعد أن تضطل معهم (المخرجة)

على طريق إيبان على نفس المسافة من المدينة ولكن القسوط قد طردوا هؤلاء إلى إيرولي من هناك بالقوة فيما بعد بعدة نيسب بالقلوبية .

وإذ أن توجد كنيسة مبنية باسم بولس الرسول^(٧) على بعد ٤ أماسخ من تعمسنتل روما ويجرى نهر التير إلى جانبها . وفي ذلك المكان لا توجد أية استحكامات ولكن يوجد بهو الأعمدة يمتد بامتداد الطريق من المدينة إلى الكنيسة وكثير من المباني الأخرى المحيطة بالمكان تجعل من السبب الدخول إليه ولكن القوط كانوا يبدون قدراً ملحوظاً من الاحترام الحقيقي لمقدسات من هذا النوع . وفي الواقع أنه طوال الفترة التي استغرقتها الحرب لم تصب واحدة من كنائس الإرسولين^(٨) بأذى على أيديهم ولكن كان الكثرة يقومون فيها بطقوسهم الدينية كالمتد . عن هذه البقعة أصدر بليزاريوس أمره إلى فاليريان أن يأخذ اللون وأن يقيم خطاً دفاعياً عند نهر التير ليحقق أكبر قدر من الأمان والاحتفاظ بالخيول . ويبقى القوط بعيداً ويقفوا في مكان يبعد مسافات كبيرة عن معسكراتهم . وتصرف فاليريان طبقاً لهذه الأوامر . وبعد أن أقام اللون معسكرهم في المكان الذي حدده التند ركب جواده عائداً إلى المدينة .

وهكذا بعد أن أكمل بليزاريوس هذا شأنه عاداً لا يقدم على معركة ولكنه يتلطف على مواصلة الدفاع من السور إذا حدث وتقدم أحد نحوهم من الخارج ناوياً الشر . كما أنه قام أيضاً بتزويد بعض الجمهور الروماني بالصوب . ولكن هارتيينوس تراجان قام ليلاً بالمرور بين معسكرات العدو وبعد وصولهما إلى تراسينا أرسل انتونينا بصحبة عدد قليل من الرجال إلى كيانيا أما هما فقد استوليا على الأماكن الحصينة في المنطقة وباستخدامهما كتعاضد لهما للقيام بالمعاملات الحربية .

(٧) تقع كنيسة القديس بولس إلى الجنوب من المدينة خارج بوابة إرسنتيس التي لا تزال تعرف باسم بورتلسان بالولو ، بوابه القديس بالولو بولس .

(٨) القديس بطرس والقديس بولس .

ومن ثم بقيامها آنذاك بالهجمات المفاجئة تمكننا من وقف تحركات القوط الذين كانوا يجوبون المنطقة • أما بالنسبة للجفوس وسينثيوس فقد استطاعا في وقت قصير إعادة بناء أجزاء المنطقة التي كانت قد أصابها الدمار وبمجرد أن حققا لأنفسهما الأمان بدأ فوراً في إثارة المتاعب للعدو الذي كانت قلمته لا تبعد كثيراً ليس فقط عن طريق شن الغارات العديدة عليهم ولكن أيضاً بالإبقاء على البرابرة الذين يرافقون قوافل الإمدادات على حال من الرعب المتواصل نتيجة تحركاتهم ذات الطابع الذي يجعلها تستمعي على التنبؤ بمكانها أو زمانها •

ولكن سينثيوس أصيب أخيراً بجرح في يده اليمنى من جراء ضربة حربة في إحدى الممارك ولأن الأعصاب الوتيرية كانت قد تطلعت أصبح بعدها غير لائق للقتال والهنون — أيضاً بعد أن قاموا بأعداد مسكرهم في مكان قريب كما قلت — كانوا من ناهيتهم يسيبون للقوط متاعب لا تقل شدة وكانت النتيجة أن هؤلاء مثلهم في ذلك مثل الرومان أصبحوا يشحرون بوطاة المجاعة لأنهم لم تعد لهم حرية جلب مؤن الطعام اللازمة كما كان يحدث من قبل • كما حل بهم أيضاً الوباء وكان يقضى على الكثيرين وخاصة في المعسكر الذي كانوا قد أعدوه أخيراً قريباً من طريق أبيا كما قلت فيما سبق — أما الأعداد القليلة التي بقيت ولم تهلك فقد انسحبوا من ذلك المعسكر إلى معسكرات أخرى وقد عانى الهون أيضاً بنفس الشكل ولذلك فقد رجعوا إلى روما •

هكذا كان سير الأحداث هنا • أما بالنسبة لبروكوبيوس فإنه عندما وصل إلى كيبانيا استطاع أن يجمع ما لا يقل عن خمسمائة جندي هناك وقام بتحميل عدد كبير من السفن بالحبوب وتوقف بها على أجرة الاستعداد وبعد ذلك بفترة قصيرة انضمت إليه أنتونينا التي بدأت فوراً في مساعدته على إكمال استعدادات الأسطول •

وفي ذلك الوقت بدأ جبل فيسفيوس *Vesuvius* ^(١٠) في الثوران وعلى الرغم من أنه لم يطلق اللعنة لخممه البركانية فإنه بسبب استمرار الثوران كان الناس يتوقعون بما يشبه التخمين أن البركان واقع لا محالة ولهذا السبب حدث أن انتاب السكان رعب هائل . أن الجبل يبعد مسافة سبعين فرسخا عن نابولي ويقع إلى الشمال منها ^(١١) - وهو جبل شديد الانحدار تمتد سفوحه السفلى فوق مساحات شاسعة على كافة جوانبه بينما جزءه الأعلى شديد الانحدار يصعب تسلقه إلى درجة كبيرة . وفوق قمة جبل فيسفيوس عند المنتصف تقريبا تظهر فتحة كهف ذي عمق هائل حتى ليخيل للمرء أن عمقه يمتد إلى قاع الجبل ومن الممكن مشاهدة النيران إذا جرؤ المرء على أن يضل إلى الكهف عند حافته ورغم أن السنة اللهب كقاعدة عامة تتطوى وتستدير فوق بعضها البعض دون أن تحدث أية متاعب لأهل المنطقة إلا أنه عندما يطلق الجبل اللعنة لصوت ثوراته الذي يشبه صراخا هائلا فإنه بعد قليل يطلق إلى أعلى كمية هائلة من الرماد . فلذا حدث وكان هناك مسافر على الطريق وفاجأه هذا الانهيار الرهيب الرماد فلا يمكن أن يظل على قيد الحياة وإذا وقع الرماد فوق المنازل فإنها أيضا كانت تتهدم تحت ثقل كميات الرماد الهائلة ولكن كلما كان يحدث ذلك تهب ريح قوية ويرتفع الرماد إلى علو شاهق وتفرج عن مجال رؤية العين المجردة وظل الرياح تحملها وتدفعها حيثما ذهبت إلى أن تسقط فوق أراضي بعيدة جدا . ويقولون أنها سقطت ذات مرة في بيزنطة ^(١٢) وأصلبت الناس هناك بالذعر لدرجة أنه منذ ذلك الوقت حتى وقتنا هذا ترى المدينة بأكملها أنه من المناسب أن تتوجه بالعمد والشكر لله بأقامة الصلوات كل عام وفي زمن آخر سقطت فوق طرابلس

(٩) فيسور .

(١٠) يقع جبل فيسفيوس بالقرب من نابولي كما أوضح بروكوبيوس .

(١١) وهذا واحد من أخطاء بروكوبيوس إذ الواقع أنه يقع إلى الجنوب الشرقي من نابولي .

(١٢) أثناء بركان عام ١٧٢ م .

في ليبيا • ويقولون إن هذه الفوارق كانت تقع مرة كل مائة عام أو حتى أكثر (١٣) ولكن في الأرملة الأخيرة كانت تحدث مرات أكثر عددا • وعلى أية حال فلنهم يملكون مؤكدين لقوالهم انه كلما تذف فيونفوس بهذا الرماد فان البلاد المحيطة به تزدهر بوفرة بما كل أنواع الحاصلات •

علوة على هذا فان الهواء فوق هذا الجبل خفيف جدا وبطيئته هذه فهو انسب هواء في العالم لصحة • وفي الواقع ان جميع من اصيبوا بعرض السل قد ارسلهم الأطباء الى هذا المكان • وعلى ذلك فهنالك الكثير الذي يمكن أن يقال عن فيونفوس •

(٥)

في هذا الوقت وصل أيضا جيش آخر عن طريق البحر من بيزنطة جيش قوامه ثلاثة آلاف من الأيسوريين الذين نزلوا في ميناء نابولي بقيادة بولولوس Paulus وكونون Canon وثمانمائة من فرسان ترافيا الذين هبطوا في درايوس Dryous (١٤) بقيادة جون ابن أخت فيتاليان Vitalian الذي كان فيما سبق طاغية ومهم ألف جندي آخرون من الفرسان المنتظمين تحت قيادة العديد من القادة كان من بينهم الاسكندر ومارسنتيوس Alexander, Marcenitius وقد حدث أن زينون Zeno ومعه ثلثمائة فارس كانوا قد وصلوا عملا الى روما عن طريق سامنيوم Samnium والطريق اللاتيني • وعندما جاء حنا ومعه كل الآخرين الى كامبانيا وقد تزود بعدد كبير من العربات من أهل كالابريا وانضم الى قواته خمسمائة رجل كانوا — كما قلت من قبل — قد تم

(١٣) منذ وقوع بركان عام ٧٩ وهو الأول بالنسبة للارملة الطريفية — نوالث نورات البركان الواحدة ثلو الأخرى على فترات تتراوح ما بين سنة واحدة وما يزيد عن مائة سنة •

(١٤) دراويوس Dryous تقع على الفلج الابوني ونسب هيرسوس •
(المرجعية)

تجميعهم في كامبانيا • وخرج هؤلاء للقيام برحلتهم عن طريق الساحل ومعهم العربات واضعين في تقديراتهم أنه إذا ما ووجهوا بأية قوى عدائية فما عليهم إلا أن يخطوا العربات تنق على هيئة دائرة تشكل خطا دفاعيا وبذلك يمكنهم صد العدو وأصدروا أمرهم إلى الرجال الذين يعملون تحت قيادة بلولوس وكونون بأن يبحروا بمنتهى السرعة للانضمام إليهم عند أستييا مرعا روما^(١٥) ووضعوا مقادير كافية من الحبوب في العربات وحملوا كل السفن ليس فقط بالحبوب ولكن أيضا بالنبيذ وكل أنواع المؤن • وكانوا في الواقع يتوقعون أن يجدوا القوات التابعة لمرتينوس وتراجان في المنطقة لجاورة لثارسينا وأن يكون في مسجبتهم ابتداء من تلك النقطة وحتى نهاية الرحلة ولكثهم عندما اغتربوا من ثارسينا علموا أن تلك القوات كانت قد استدعيت مرة أخرى وعاد إلى روما •

ولكن بليزارايوس وقد علم أن قوات جون كانت تقترب واذ كان يفتش أن العدو قد يواجهها بأعداد تفوقها إلى حد كبير وتفتح في تدبيرها فقد عمد إلى اتخاذ القرارات الآتية • لقد حدث أن العدو أقام معسكراته في مكان قريب جدا من بوابة فلاميني Flaminian وكان بليزارايوس بنفسه قد سد هذه البوابة عند بداية هذه الحروب بواسطة بناء حجري كما قلت في القصة السابقة وكان هدفه بالطبع أن يجعل من الصعب على العدو أن يسق طريقه إلى الداخل أو أن يقوم بأية محاولة للاستيلاء على المدينة عند تلك النقطة وبالتالي لم يقع أي اشتباك عند هذه البوابة ولم يكن لدى البرابرة أية شكوك فيما يتعلق بوقوع أي هجوم عليهم من هناك • وعند حلول الليل قام بليزارايوس بهدم المبنى الذي يسد البوابة دون أن يابه بأي مظلوق بالمرة وجهز الجزء الأكبر من الجيش هناك وعند الفجر أرسل تراجان وديونير Trajan, Diogenes مع ألف من الفرسان عبر بوابة بنشيان وأمرهم

• هو ميناء بورتوس Portus الطبيعي الذي

(١٥)

استولى عليه القوط •

أن يظفوا قذائفهم داخل المصكرات وبمجرد أن يظهر الأعداء، لبده
المركة مدعهم عليهم أن يمدوا الى الفرار بدون أدنى احساس بالعار
وأن يمدوا الى أعلا التحصينات بأقصى سرعة كما وضع أيضا بعض
الرجال داخل هذه البوابة . ومن ثم فقد بدأ الرجال الذين يقودهم
تراجان في انهك العدو حسب توجيهات بليزاريوس لهم وبدأ القوط
الذين تجمعوا من كل المصكرات في الدفاع عن أنفسهم وبدأ الجيشان
في التحرك بأقصى ما في قدرتهما من سرعة في اتجاه تحصينات المدينة
أحدهما تبدو عليه مظاهر الفرار والثاني يعتقد أنه يطارد العدو .

بمجرد أن رأى بليزاريوس أن العدو شرع في المطاردة قام بفتح
بوابة فلامينا وأطلق الجيش لمواجهة البرابرة الذين أخذوا على غرة .
وقد حدث حينئذ أن أحد مصكرات القوط كان على الطريق بالقرب من
هذه البوابة وكان في مواجهته ممر ضيق يقع ما بين سطفتين منحدرتين
كان المصعد اليه في غاية الصوبة وكان هناك واحد من البرابرة وهو
رجل له قوام رائع منطى باندروع عندما رأى هذا الرجل العدو يتقدم
عمل على الوصول الى هذا المكان قبلهم واتخذ لنفسه موقعا هناك وهو
ينادى في نفس الوقت على زملائه يحثهم على المساعدة في حراسة الممر
الضيق . ولكن قبل أن يتمكن من القيام بأية حركة فبجه مونديلاس
وبذلك لم يسمح لأي واحد من البرابرة بالدخول الى هذا الممر وعلى ذلك
فقد شرع الرومان في المرور خلاله دون أن يصادفوا أية مقاومة وقد
وصل البعض منهم الى أحد مصكرات القوط القريبة وحاولوا الاستيلاء
عليه ولكنهم لم يستطيعوا أن يقطعوا هذا بسبب قوة اللط الدفاعي على
الرمح من قلة عدد البرابرة الذين بقوا خلفه لأن الخندق كان محظورا
بعمق غير عادي ولأن التراب الناتج عن الطار منه كان في كل الأحوال
يوضع على طول جانبيه الداخلي فان ارتفاعه كان كبيرا ومن ثم فقد كان
بمثابة حائط . وكان مزودا بعدد وافر من الأقنود العجيبة بشكل حصاد
والمتنارية جدا من بعضها البعض وعلى ذلك فقد كان هذا تحائط بمثابة
سياج قوى . هذه الدفاعات أدت الى تقوية روح الجسارة في نفوس

البرابرة بدأوا في العمل على صد العدو بقوة هائلة . ولكن أحد حراس
بنيزاريوس واسمه اكويلينيس Aquilinus وكان رجلا ذا تسلط
عجيب أمسك أحد الخيول من لجامه وامطاه على أحسن ما يكون وقفز
به من الخندق الى قلب المعسكر حيث قام بذبح عدد من افراد العدو
وعندما تجمع حوله أعداؤه وأطلقوا عليه وابلا من القذائف جرح الحصان
ووقع ولكنه هو نفسه استطاع بشكل غير متوقع أن ينقذ طريقه للهروب
وبين صفوف العدو . وهكذا توجه سيرا على الأقدام مع رفاقه نحو
بوابة بنشينان وعندما وصلوا الى البرابرة الذين كانوا قد سبقوهم والذين
كانوا لا يزالون منسولين بمطاردة الفرسان الرومان^(١٦) بدأوا في
التصويب عليهم من الخلف وقتلوا عددا منهم .

وعندما أدرك تراجان وزجاله ما يحدث اذ انهم أثناء ذلك كانوا
يعززون صفوفهم بواسطة الفرسان الذين كانوا يقفون على مقربة وعلى
استعداد وهاجموا مطاردتهم بأقصى سرعة وأخيرا بدأ الفسوط الذين
أصبحوا بلا قيادة والذين وقعوا بعكس المترفع بين قسرات أعدائهم
يقفون بلا رحمة . كانت هناك مذبحة هائلة لهم ولم يتمكن من الفرار
الى معسكراتهم الا القليلون وكان ذلك يتم بصعوبة بالغة وفي أثناء ذلك
حبس الآخرون أنفسهم داخل المعسكرات اذ كانوا يخافون على سلامة
حصونهم وبقوا فيها الى ما بعد المذبحة متسدين أن الرومان سوف
يهجمون عليهم دون أدنى تأخير . وفي هذه المظلمات أصاب أحد البرابرة
تراجان في وجهه فوق العين اليمنى وفي مكان لا يبعد كثيرا عن الأنف
واخترق الطرف الحديدي بأكمله الرأس وأختلى تماما على الرغم من أن
الشوكة الموجودة به كانت كبيرة وأطول كثيرا من المعتاد ولكن بقية السهم
سقطت في الحال على الأرض بدون استخدام القوة من جانب أي شخص
وفي رأي أن ذلك قد حدث لأن الطرف الحديدي لم يكن مثبتا بأحكام

(١٦) كتبت هذه حوات تراجان ونيوبنز .

فى قصبة الرمح • وعلى أية حال فإن تراجان لم يأبه بذلك على الاخلاق ولكنه استمر فى قتال ومطاردة العدو بمنتهى لا يقل عن ذى قبل •

ولكن فى العام الخامس فيما بعد بدأ الطرف الحاد لقطعة الحديد يبرز من تلقاء نفسه بشكل لافت للنظر من وجهه وهذا نحن فى المسمم الثالث مذبذب ظهورها وهى لا تزال تبرز شيئاً فشيئاً وبشكل ثابت • وعلى ذلك فالتوقع أن تخرج الشوكة كلها فى النهاية رغم أن ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً •

ولكنها لم تكن عائقاً للرجل على أى وجه من الوجوه فلا أهمية إذن لهذه الأمور •

(٦)

لقد بدأ البرابرة الآن ينتابهم اليأس من كسب الحرب وكانوا يفكرون فى كيفية الانسحاب من روما التى عانت مثلما عانوا هم من انتشار الأوبئة ومن الأعداء وكانت أعدادهم قد تقلصت فأصبحت قوة قليلة من الرجال بعد أن كانوا عشرات الألوف والأسوأ من ذلك كله أنهم كانوا فى حال من الحزن الشديد بسبب المجاعة وبينما كانوا من ناحية الشكل يواصلون الحصار كانوا فى واقع الأمر هم المحاصرون من أعدائهم كما كانوا محرومين من كل الأشياء الضرورية للحياة • وعندما علموا أنه قد وصل لأعدائهم جيش آخر قادماً من بيزنطة برا وبحرا — ولأنهم لم يكن لهم علم بحجمه الحقيقى مستعدين أنه كان جيشاً هائلاً حسب ما كانت تقولهُ الشائعات — فقد أصابهم الرعب وبدأوا يمدون القسط للرجل • وعلى ذلك فقد قلّموا بارسا ثلاثة مبعوثين الى روما كان أحدهم رومانيا يتمتع بمكانة مرموقة بين القوط وعندما وصل هذا الى حيث كان بليزاريوس بانتظاره تكلم قائلاً :

« حيث أن الحرب لم تنتهِ الى تحقيق أية مزايا لأى من الجانبين

وكل منا يعلم هذا جيدا لأن كلا منا كانت له تجربته الحقيقية في التعامل معاصيها . ما الذي يرغم أى واحد في كلا الجانبين المتحاربين على انكار حقائق أن نظل أسيرة الجهل بها .

كما أنني اعتقد أن أحدا - على الأقل لا ينتميه حسن الادراك - أن ينكر أن الرجال الذين يفتقدون الى العمل هم وحدهم الذين يمكن أن يختاروا مواصلة المعاناة الى ما لا نهاية لمجرد إشباع روح النزاع التي تحركهم حاليا ويريدون ايحاء الحلول للمتاعب التي تحيط بهم . كلما نشأ هذا الموقف فإنه يصبح واجبا محتما على القادة في كلا الجانبين ألا يضحوا بأرواحهم ورعاياهم من أجل مجدهم الشخصي ولكن عليهم ادراك أن طريق المدل والسلامة لا لأنفسهم فقط ولكن أيضا لأعدائهم وبذلك يوضع حد للمعاناة القائمة حاليا . أن الاعتدال في المطالب يتيح طريقا للتخلص من كل الصعاب ولكنها الطبيعة الكأمنة في روح المنازعة هي التي لا تستطيع أن تحقق أيًا من الأهداف التي تعتبر أساسية . والآن ، نحن من جانبنا قد بحثنا كل ما يتعلق بما انتهت اليه هذه الحرب وجئنا اليك بمقترحات هي في صالح كل من الطرفين نتغلى فيها - من وجهة نظرنا - عن جزء من حقوقنا . ونرجو أن تعمل أنت بالمثل عند بحثكم لما انتهت اليه الحرب ، أن لا تستسلم لروح النزاع وبذلك تعملون على تدمير أنفسكم وكذلك تدمرينا عند المفاصلة في اختيار الطريق الذي يحقق ميزة لكم . وأنه لمن المناسب أن يقوم الجانبان بعرض قضيتهما ليس بالحديث المسترسل ولكن بأن يسمح لكل طرف أن يقاطع الآخر في اللحظة المناسبة إذا قيل شيء يبدو غير مناسب ، لأنه بهذه الطريقة سوف يستطيع كل جانب أن يعرض باختصار كل ما يريد قوله وفي نفس الوقت سوف يمكن تحقيق الأمل بسود الأسلية » .

وأجاب بليز ليجوس : « ليس هناك ما يمنع استمرار الحوار

بالطريقة التي تعرفها والمطلوب فقط أن تكون الكلمات التي تنطق بها
أنت مبررة عن السلام والمدالة .

ولذلك قال سفراء القوط عندما جاء دورهم : « لقد الحقتم بنا
الظلم أيها الرومان في لجوئكم الخاطيء للسلاح ضدنا نحن أصحابكم
وحلفائكم وما سوف نقوله هو أننا حسب ما نعرف معروفون جيدا لكل
فرد منكم كما نحن معروفون لأنفسنا . لأن القوط لم يستولوا على أراضي
إيطاليا بانتزاعها من الرومان بالقوة ولكن أودوا *Odoacer*
في الأزمنة القديمة خلق الإمبراطور عن العرش ودول حكومة إيطاليا
إلى حكم الطغيان واحتفظ بها على هذا النحو^(١٧) . وهناك أيضا
زينون^(١٨) الذي كان في ذلك الوقت يملك السلطة في الشرق ورغم أنه
كان يتحلى أن ينتقم لشريكه في المنصب الإمبراطوري ويحرر هذه
الأرض من المحتجب إلا أنه كان عاجزا عن تدمير نفوذ أودواكر . وهكذا
عمل على تحريض ثيودريك - حاكمنا على الرغم من أنه كان على وشك
حصاره وكذلك بيزنطة ليس فقط لوضع حد لمدوانه نحو نفسه تقديرا
لذكرى التكريم الذي كان ثيودريك قد لقيه على يديه حيث تم تنصيبه
شريفا رومانياا وقنصلا للرومان ولكن أيضا لمحاكمة أودواكر للمساهمة
الظالمة التي لقيها منه أوغسطس *Augustulus* ثم بعد ذلك في
صحة القوط للسيطرة على حكم البلاد كحكم شرعيين أصحاب حق -
وعلى ذلك فقد كانت تلك هي وسيلتنا في تولي زمام أمور إيطاليا ولقد
حافظنا على القتلون وعلى نظام الحكومة بنفس الشدد الذي كان يمكن
أن يبديه أي إمبراطور روماني وليس هناك على الإطلاق أي قانون سواه
كان مكتوبا أم غير مكتوب تم إقراره بواسطة ثيودريك أو بواسطة أي

(١٧) عام ٤٧٦ م . وذلك عندما اسقط رومولوس أوغسطس *Romulus Augustulus* . آخر
الإمبراطور الرومان .
(الترجمة) .
(١٨) الإمبراطور البيزنطي زينون حكم من ٤٧٤ - ٤٩١ م .
(الترجمة)

واحد ممن خلفوه على العرش من القوط — ولقد ظللنا نراعى بكل احترام وتوقير للرومان ممارساتهم وتمسكهم بميلادة الله والايمان به سبحانه وتمالى لدرجة انه لا يوجد ايطالى واحد اقدم على تغيير عقيدته سواء بارادته أو رغما عنه حتى يومنا هذا وعندما كان القوط يقدمون على تغيير^(١٩) عقيدتهم لم نكن نغير الأمر أى اهتمام • الواقع أن مقدسات الرومان قد لقيت منا أقصى درجات التكريم لأنه لا يوجد انسان واحد اهتمى بهذه المقدسات ولفى معاملة تقوم على الحنف من أى انسان • والأكثر من هذا فان الرومان أنفسهم استمروا فى تولي مناصب الدولة ولا يوجد قوطى واحد شاركهم فى ذلك فليتقدم أى انسان ليدخض ما نقول به اذا كان يعتقد أن ما نقوله غير صحيح بل يمكننا أن نضيف أن القوط قدموا التنازل عن حمل شرف منصب القنصلية مقديرين أنه كان يجب أن يمنح للرومان كل عام بواسطة امبراطور الشرق • لقد كان ذلك هو الأسلوب الذى نتبمه ولكن أنتم من جانبكم لم تأخذوا بيد ايطانيا عندما كانت تعاني على أيدي البرابرة وعلى يد أدواكر رغم أن ذلك لم يستغرق وقتا قصيرا بل عشر سنوات كاملة كان يعامل البلاد بمنتهى العنف — ولكنكم الآن — تعاملوننا بالعنف ونحن الذين تولينا أمر البلاد بالطريق الشرعى وعلى الرغم من أنه لا يوجد لكم أى أعمال هناك • فهل يمكن أن ترحلوا من هذا المكان وتبمدون عن طريقنا مع احتفاظكم بكل ما يخدمكم وبكل ما حملتم عليه بطريق النهب •

ما الذي يرغم الامبراطور على أن يعينم باستبدال طافية بآخر ؟ ولكنه أرسله لكي تنضم إيطاليا بالحرية وتكون في طاعة الامبراطور^(٢٠) ، وعلى الرغم من أن ثيودريك أطاح بالطاغية بطريقة مرغية الا أنه في كل الامور الأخرى كان يبدي افتقارا غير عادي للمشاعر السليمة . لأنه لم يفكر أبدا في استعادة الأرض لتذهب الى مالكها صاحب الحق فيها . ولكن أنا من ناحيتي اعتقد أن الشخص الذي يسرق من آخر باستخدام العنب وكذلك الذي — بكامل ارادته — لا يعمل على استرداد حاجيات جاره متسولين في الجرم.والآن — فيما يختص بي شخصيا لن اسلم بلاد الامبراطور لأى انسان آخر ، ولكن اذا كان هناك شيء آخر ترغب في أن تأخذه بديلا عنها فأننى أترك لك فرصة الكلام » .

وقال البرابرة : « لا يمكن أن يكون أى واحد منكم غير مدرك لصدق كل كلمة قلناها عن كل شيء » . ولكى لا تبدو كمن يرغب في إثارة المفازعات نتنازل لكم عن عقلية رغم عظمتها وما تتطوى عليه من ثروة حيث نعلم أنه بدونها لا يمكن لكم أن تكونوا آمنين على ليبيا » .

ورد بليزاريوس قائلا : « ونحن من جانبنا نسمع للقوط بأن تكون لهم بريطانيا بأكملها^(٢١) » وهي أكبر بكثير من عقلية وكانت تخضع للرومان

(٢٠) أجمعت معظم المراجع على أن الامبراطور زينون قد بعث ثيودريك سنة ٤٨٨ م للتخلص من اوفواكر ، وعلى أن يحكم إيطاليا نهاية منه . (الترجمة)

Vesiliev «op - cite p. 107.

انظر :

Ostrogorskiy «op - cite p. 58.

وهذا يختلف مع ما يفكره بليزاريوس هنا .

(٢١) انسحبت النرق الرومانية من بريطانيا اوائل القرن الخامس وتلاحقت ملبها في الملة وخمسين سنة التالية بالأحداث حتى لما ظهرت على المسرح مرة أخرى أصبحت انظرا لا بريطانيا . (الترجمة)

Hodgkin «The history of England p. 108.

انظر :

Cam - Med - Hist. vol I. pp. 378 - 381.

في الإزملة القديمة ، لأنه من العدل أن ترد الجميل بالجميل لن بدأ بصنع المعروف أو بتقديم عمل طيب » - وقال البرابرة : « حسنا إذن اذا عرفنا عليكم اقتراحا بخصوص كمبايا أيضا أو عن نابولي فعمل تصنون اليه ؟ » .

وقال بليزاريوس : « انا لا نملك سلطة التصرف في شئون الامبراطور بالشكل الذي لا يتفق مع رغباته » .

ورد البرابرة : « ولا حتى اذا كنا نعرض على أنفسنا دفع مبلغ محدد من المال كل سنة ؟ » .

وقال بليزاريوس : « لا . حقيقة . لأننا لا نملك الا أن نحرس الأرض لصالحها » .

وقال البرابرة : « هيا بنا الآن ، يجب أن نرسل مبعوثينا الى الامبراطور وأن نعد معه معاهدتنا الخاصة بتسوية الأمور كلها . كما أنه لابد من تحديد موعد تلتزم أثناء الجيوش بعراعة الهدنة » .

ورد بليزاريوس : « حسنا جدا فلنعمل على اتمام ذلك اذ أفنى لن أقد في طريقكم عندما تكونون بسبيل العمل من أجل السلام » .

وبعد الانتهاء من الكلام غادر كل واحد المؤتمر وانسحب مبعوثو الفوط الى معسكرهم وفي أثناء الأيام التي تلت ذلك كانوا يزددون بعضهم البعض كثيرا وكانوا يقومون بعمل ترتيبات الهدنة وانفقوا على أن كل جانب عليه أن يضع تحت تصرف الجانب الآخر بعضا من رجاله ذوي المكانة المرموقة كرهائن لضمان المحافظة على الهدنة .

(٧)

بينما كانت هذه المعالوشكت تجرى في روما وحصل أسطول
الأيسوريين إلى ميناء الرومان (٣٣) وحصل هنا ورجله إلى أوستيا ولم
يحدث أن اعتراضهم الحدود وهم يجلبون السفن لترسو ولا وهم ينصرون
مسكرهم • ولكن من أجل أن يتمكنوا من قضاء الليلة بأمان من أي
هجوم مفاجئ، للحدو قام الأيسوريون بحفر خندق بالقرب من الميناء
وشغمو عليه حرسا مستديما بنظم التوبك بينما جعل جنود هنا من
حرباتهم سبلجا يحيط بالمسكر وظلوا في أماكنهم ساكنين وعندما حل
الليل توجه بليزارىوس إلى أوستيا برفقة مائة من الفرسان وبعد أن
أبلغ عما حدث في الانتشيك وعن الاتفاق الذي تم التوصل إليه بين
الرومان والقوط وما إلى ذلك تشجعا لهم أمرهم أن يحضروا حملاتهم
وأن يذهبوا بكل حماسة إلى روما • وقال : « لأننى سوف أحرص على أن
تكون الرحلة خالية من الأخطار » وهكذا عاد هو نفسه ممتليا جواده
إلى المدينة كما بدأت انتونينا ومعا قواد الجيش في الفجر تدبير الأمور
الخاصة بوسائل نقل الحمولات • ولكن المهمة بدت لهم شاقة مصنوفة
بأمتى المصاعب • لأن النيران لم تعد تنوى على الصمود إذ خمدت جميعها
وكانها تحتقر والأخطر من ذلك أن السر في مثل ذلك الطريق الضيق
بالعربات كان خطر جدا وكان من المستحيل سحب القوارب فوق النهر هبما
كانت العادة من قبل • لأن الطريق الذي كان يعتمد إلى يسار (٣٣) النهر
كان في حوزة الأعداء كما سبق أن أوضحنا في الرد السابق ولم يكن
متاحا للرومان استخدامه في ذلك الوقت بينما كان الطريق الممتد بمحاذاة

(٢٢٢) أوستيا Ostia حيث كان الميناء المتنازع بورغوس Portus

قد استولى عليه القوط •

(٢٢٣) المواجهة أمامى النهر •

الناحية الأخرى من النهر لم يكن يستخدم على الإطلاق - على الأثر ذلك الجزء الممتد بمجازاة خفة النهر - ولذلك فقد انتقوا القوارب الصغيرة الخاصة بالسفن الكبيرة وأقاموا سورا من ألواح الخشب المرتفعة حولها من جميع الجوانب لكي لا يكون ركابها من الرجال معرضين لتذلل العدو ثم وضوا عليها الرماة والبحارة بالأعداد التي تناسب كل غروب وبعد أن حملوا القوارب بكل ما تستطيع حمله انتظروا هبوب الرياح المواتية ثم أبحروا تجاه روما على نهر التيبر وتبعهم جزء على الفلسفة اليسنى للنهر لمؤازرتهم ولكنهم تركوا عددا كبيرا من الأيسوريين لحراسة السفن وحيثما كان مجرى النهر مستقيما لم تكن تصدقهم أى حطاب فى الأبحار إذ لم يكن عليهم إلا أن يرفعوا الشراع فى كل قارب ولكن حيثما كان النهر ينحني ويأخذ طريقا مغائرا لاتجاه الريح بحيث لا تتلقى القوارب الدفع منها لم يكن أمام البحارة غير عاء التجويد بكل قوة لدفع القوارب ضد التيار • أما بالنسبة للبرابرة فقد كانوا يجلسون على مسكراتهم دون أية رغبة فى صد عدوهم اما لأنهم كانوا تحت تأثير انزعج من هذا الخطر الداهم واما لأنهم كانوا يعتقدون أن الرومان يمثل هذه الوسائل لن يفلحوا فى جلب أية مؤن وكانوا يتدرون أنه معا يتناقض واحتمالاتهم أن يتدخل فى الأمور حدث لا أهمية له فيؤدى الى احباط امليهم فى الهدنة التى كان بليزاريوس قد وعد بها فعلا • رد على ذلك أن القوط الذين كانوا فى بولوس على الرغم من أنهم كانوا يرون أعدائهم طوال الوقت وهم يبحرون على مسافة قريبة حتى لا يكادون يمسوهم ولم يقوموا بأية حركة ضدهم ولكنهم كانوا يجلسون هناك فى ذهول من الخطة التى كانوا قد اتخذوا قرار العمل بها • وعندما أكمل الرومان رحلتهم فى أعالي النهر عدة مرات بنفس الأسلوب وبذلك تمكنوا من نقل كل الأحمال الى داخل المدينة دون أى تدخل • وأخذ الجنود السفن وانسحبوا بأقصى سرعة لأن الشتاء كان على وشك المجيء وبدخل بانى الجيش روما فحيما عدا أن باولوس ظل فى لوستيا ومعه بعض الأيسوريين •

ولغيا بعد قدم كل طرف الرومان للطرف الآخر الضمان للمحافظة على مراعاة الهدنة فقدم الرومان زينون^(٢٤) وقدم القوط أولياس *Ullas* وهو رجل لا يقل مكانة وتم التفاوض على أنه طوال ثلاثة شهور لن يقوم أى منهم بهجوم ضد الآخر وذلك إلى أن يعود الميموثون من بيزنطة ويقدموا تقريراً بما ينتويه الإمبراطور . وحتى إذا بدأ هذا الجانب أو تلك الأعمال العدائية ضد خصومة فإن الميموثين رغم ذلك كان لابد من عودتهم كل إلى أمته . وهكذا ذهب ميموثو البرابرة إلى بيزنطة في حصة الرومان ورجع الديجر *Idger* زوج ابنة أنتونيما إلى روما علفدا من ليبيا ومعه عدد غير قليل من الفرسان .

أما القوط الذين كانوا يتركزون في حصن بورتوس فقد تركوا المكان بناء على أوامر فيتجيس *Vitigis* لأن كل تعيينهم كان قد استهلك وجاءوا إلى المسكر ثانية لاستدعائه . في ذلك الوقت وصل باولوس مع رجاله الأيسورين قادمين من أوستيا واستولى على الحصن وتركز فيه . وكان السبب الرئيسي في عدم وجود مؤن لدى البرابرة هو أن الرومان كانوا يسيطرون على البحر فلم يسمحوا بجلب أية مؤن ضرورية لهم . وكان ذلك أيضا هو السبب في أنهم تغلبوا في نفس الوقت تقريبا عن مدينة ساحلية على درجة كبيرة من الأهمية أسماها سنومسيلا^(٢٥) *Centumcellae* وذلك لأنهم كانت تنقسم المؤن . وهذه المدينة كبيرة الحجم أهلة بالسكان تقع إلى الغرب من روما في تسكاني وتبعد عنها بحوالى مائتين وثمانين فرسحا . وبعد الاستيلاء عليها استمر الرومان في بسط المزيد من سيطرتهم إذ أنهم استولوا أيضا على مدينة الباني التي تقع إلى الشرق من روما بعد أن جلا عنها العدو في ذلك الوقت لنفس السبب وكانوا فعلا قد أحاطوا بالبرابرة

(المرجة)

(٢٤) غير الإمبراطور زينون .

(٢٥) حاليا سيفيتا فيشيا *Civita - Vecchia* .

من كل جانب وجعلهم تحت سيطرة قواتهم • ولكن القوط لكل ذلك في حالة نفسية تدعوهم لتفنى الاتفاق وعمل أى شئ • فيه أذى للرومان • ولذلك أرسلوا عددا من مبعوثهم إلى بليزاريوس يؤكدوا له أنهم عوطوا معاملة طالحة أثناء الهدنة لأنه عندما قلم فيتيجيس باستدعاء القسوط الذين بقوا في جورتوس لأداء بعض الخدمات لمقام بلولوس والايوريين بالاستيلاء على القلعة دون سبب مقنع كما أنهم قاموا بتقديم نفس هذا الاتهام الزائف فيما يتعلق بالبنى وستوميلاي وهددوا بأنه إذا لم يتم بإعادة هذه الأماكن إليهم فسوف يكونوا مستائين • ولكن بليزاريوس ضحك وصرهم قائلا إن هذا الاتهام ليس الا افتراء ونيس هناك من يجهل السبب الحقيقي في تخلى القوط عن هذه المواقع • وفيما بعد أصبح الجانبان في حل من الشك كل تجاه الآخر •

ولكن فيما بعد عندما رأى بليزاريوس أن روما أصبحت مزودة بغرفة زائدة من الجنود قام بإرسال كثير من الفرسان إلى مواقع تبعد كثيرا عن روما وأصدر أمرا إلى حنا ابن أخت فيثاليان والفرسان الذين يقودهم ويبلغ عددهم ثمانمائة بقضاء فصل الشتاء بالغرب من مدينة البيا *Alba* التي تقع في بايسنم *Picenum* ^(٢٦) كما أرسل معه أربعمائة من رجال فاليريان الذين كانوا تحت أمره دميانيوس ابن أخ فاليريان وثمانمائة رجل وهم حرسه الخاص الذين كانوا بصفة خاصة من الحاربين الأكفاء وعلى رأس هؤلاء وضع اثنين من رماة الرماح هم سونتاس *Suntas* وأديجس *Aedegis* وأمرهم أن يتبنوا حنا حيثما قادم كما أعطى حنا تعليمات بأنه طالبا وجد الأعداء يحافظون على الاتفاق الموقود بينهم عليه أن يبقى سلكنا ولكن إذا ما وجد أن الهدنة تضرعت للانتهاك من جانبهم عليه أن يقوم بشن غارة مفاجئة

(٢٦) بايسنم *Picenum* تقع بالقرب من رافنا وهي من أهم المناطق المحيطة برافنا ملصقة القوط وجميع اجناسهم من اجناس البحر المتوسط .
(الترجمة)

ويكتسح أرض بايسنوم ويحفظ كل منطلق هذا الاقليم ويصل الى قلب كل واحد منها قبل الاعلان عن مجيئه لانه لم يكن قد بقي رجل واحد في كل تلك الاراضي حيث انه على ما يبدو ان الجميع كانوا قد سلخوا اتجاه روما الا انه كانت توجد النساء والاطفال المدعو والاموال في كل مكان هناك وقد صدرت اليه التعليمات ان يستمد او ينهب كل ما يحتر عليه على الا يسبب اى اذى لاي فرد من الرومان الذين يقيمون هناك . واذا حدث ووقع على اى مكان به رجال وسائل دفاعية - وكان - ذلك احتمالا غير قائم - عليه ان ينقض عليه بكل ما لديه من قوة فاذا ما تمكن من الاستيلاء عليه ان يمضي قدما ولكن اذا حدث ولقي هجومه الفشل عليه ان يقفل راجعا وأن يبقى هناك . انه اذا ما تقدم وترك مثل تلك النعمة في مؤخرته فسوف يتعرض لأخطار أكبر لأن رجاله لن يتمكنوا من اندفاع عن أنفسهم بسهولة اذا ما حدث وضغط عليهم خصومهم . وكان عليه أيضا ان يحافظ على غنائه سليمة لكي توزع التوزيع العادل السليم على جميع افراد الجيش . ثم اضاف ضاحكا « لأنه ليس من العدل ان تنهذى فكور النحل من عاء العمل المرعى بينما ينعم آخرون بالعمل دون تحمل أية مشاق ويعد اصدار هذه التعليمات أرسل بليزاريوس حنا على رأس جيشه » .

تقريرا عند نفس الوقت جاء الى روما داتوس *Datus* أسقف ميلانو (٢٧) ومعه بعض الرجال من ذوي المكانة ، بين المواطنين يلتصون من بليزاريوس ان يرسل اليهم بصفة حراس حيث أعلنوا أنهم عن أنفسهم قادرون دون أية متاعب على ان يخلصوا من أيدي القوط ليس فقط ميلانو ولكن ليجوريا *Liguria* (٢٨) باكملها أيضا وأن

(٢٧) تقع ميلانو في شمال إيطاليا وتسمى ميلان أو ميلانو .
Setton vol I, p. 750.

(٢٨) تقع ليجوريا في الشمال الغربي من إيطاليا وسكانها من اول الشعوب التي سكنت إيطاليا .
 (المترجمة)

يحمدها الى الامبراطور . كلت هذه المدينة تقع في ليجوريا تقريبا عند منتصف الطريق بين مدينة رافنا *Ravenna* وجبل الالب على حدود بلاد الغال *Gaul* لأنه على أي من الناهيتين كانت الرحلة الى ميلان تستغرق ثمانية أيام بالنسبة للمصالحير غير المتقل بالأحمال وهي أول مدينة من مدن الغرب بعد روما على الأقل من حيث الحجم وعدد السكان والرخاء بصفة عامة . ووجد بليزاريوس أن بلبي طلبهم ولكنه أبقامهم هناك طوال فصل الشتاء .

(٨)

كان ذلك هو سير تلك الأحداث . ولكن الحق أن النجاح الذي حققه الرومان كان يتزايد ويتضخم كلما كانت أمورهم تتقدم وترتداد تالفا ولكن يخطط كل ذلك بقدر من الشرور المتعلت مشاجرة تقوم على دعاوى تافهة بين بليزاريوس وقسطنطينوس ولكن كيف كبر هذا النزاع وكيف كانت نهايته هو ما سوف أحكيه — كان هناك شخص يدعى برسيديوس *Presidus* وهو روماني يعيش في رافنا وهو رجل على قدر غير قليل من المكانة الاجتماعية . كان برسيديوس هذا قد تسبب في وقوع متاعب للنقوط في الوقت الذي كان فيه فينيجيس على وشك المسير لمهاجمة روما ولذلك فقد خرج مصحوبا بعدد قليل من خدمه على زعم القيام برحلة سيد وذهب الى مكان قصى . لم يكن قد أحاط علما بخفته ولم يأخذ أي شيء من مقتنياته معه فيما عدا أنه هو شخصيا كان يحمل خنجرين يدخل في زخرفة مقيصيهما كثير من الذهب والأحجار الكريمة وعندما وصل الى سبوليتوم *Spolium* أقام في أحد المعابد الواقعة خارجه الاستحكامات وعندما سمع قسطنطينوس الذي تصادف أنه كان لا يزال مقيما هناك بذلك أرسل أحد حراسه وهو ماكسنتيولس *Maxentius* فانتزع منه الخنجرين دون سبب معقول . وقد أصاب الرجل خيق شديد نتيجة لما حدث وخرج متجها الى روما بأقصى سرعة وذهب الى بليزاريوس وقد وصل قسطنطين

أيضا بعد ذلك بوقت قصير لأن الجيش القوطي بناء على تقرير كان قد
 أعد حديثا كان وصل الى سلسلة قريية • نقل بريسيديوس صامت طاملا
 كانت احوال الرومان خرجة ومرتبكة ولكنه عندما رأى أن الرومان أصبحت
 لهم اليد العليا وأن مبعوثي القوط قد أرسلوا الى الامبراطور - كما سبق
 لي أن ذكرت - فقد تكرر ذهابه الى بليزارايوس ليبلغ عن الظلم الواقع
 عليه وليطبع منه المساعدة في الحصول على حقوقه • وقد قام بليزارايوس
 بتوبيخ قنسطانطينوس بنفسه عدة مرات وعن طريق أناس آخرين مرات
 أخرى ليحثه على أن يريح ضميره من نتائح عمل يتسم بالظلم وعن تقرير
 غير مشرف عنه • ولكن قنسطانطينوس - الذي لابد قد حلت به روح
 الشر كان يستطيع المراوغة امام الاتهام وتوجيه الفاظ التوبيخ الساخرة
 الى الرجل الذي وقع عليه الظلم • ولئن في أحد المرات التقى بريسيديوس
 وبليزارايوس الذي كان يعتلى جواده في السوق واسك بلجام الجواد
 وصاح بأعلى صوته متسائلا عما اذا كانت قوانين الامبراطور تقول انه
 كلما كان هناك شخص يحاول الهرب من البرابرة ويأتي اليهم متوسلا
 فسارعا يكون عليهم أن يسرفوا منه بالمنف كل ما يتصادف أن يكون بين
 يديه • وعلى الرغم من أن كثيرا من الرجال تجمعوا حوله وتواعوه
 وأمره أن يترك اللجام من قبضة يده فانه لم يفعل قبل أن يعبده
 بليزارايوس بأن يعيد اليه الخنجرين •

وفي اليوم التالي استدعى بليزارايوس قنسطانطينوس وعدد كبير
 من القواد الى إحدى حجرات القصر وبعد أن سرد ما وقع في اليوم
 السابق حثه على أن يعيد الخنجرين ورغم تأخر الوقت • ولكن
 قنسطانطينوس رفض أن يفعل ذلك بل انه كان يفضل مسرورا أن يلتقي
 بها في مياه نهر التيبير عن أن يعيدها الى بريسيديوس ولأن بليزارايوس
 كان قد سيطر عليه الغضب تصاعد عما اذا كان قنسطانطينوس يستطيع
 أوامره أم لا • فرد قنسطانطينوس على انه يطعم في كل الأمور الأخرى
 لأن ذلك كان يحقق ارادة الامبراطور • أما فيما يتعلق بهذا الموضوع

بلذات والذي كان يعرضه عليه في اللحظة الراحة فلهذا لم يطعمه أبدا .
عندئذ أمر بليزاريوس حراسه بأن يدخلوا . وفي تلك اللحظة قال
قنسطنتينوس « واضح أنك تدعهم لكي يقتلوني » . وقال بليزاريوس :
« أبدا ولكن لكي يرغموا حارسك ماكسينولس الذي انتزع الخنجرين
من أجلك على أن يمسك الرجل ما أخذه بالصف » ولكن قنسطنتينوس الذي
كان يعتقد أن لحظة موته قد حلت أراد أن يقوم بعمل مجيد قبل أن
يكون عليه أن يمات من أي شيء . وعلى ذلك فقد سحب الخنجر الذي
كان معلقا عند عنقه وأغمده فجاء في يده بليزاريوس . وتحرك مدعورا
خطوة إلى الخلف ثم اتقى بفراميه حول بيساس Bessas الذي كان ينفذ
على مقربة منه ونجح في تفادي الضربة . ثم انطلق قنسطنتينوس وهو
لا يزال بجلي غاضبا وراءه ولكن أيلديجر وغاليريان وقد شهدا ما كان
يحدث أدبافا على يديه واحد على اليد اليمنى والآخر على اليد اليسرى
وسحباه إلى الخلف . وعند ذلك دخل الحراس الذين كان بليزاريوس
قد استدعاهم منذ لحظة وخطفوا خنجر قنسطنتينوس من يده بعنف
شديد وأمسكوا به وسط صياح هائل . في هذه اللحظة لم يعرضوه لأي
أذى . احتراما على ما اعتد للنبات الموجودين . ولكنهم اقتادوه إلى
هجرة أخرى تنفيذا لأمر بليزاريوس وفي وقت لاحق أعدموه . وقد كان
ذلك هو العمل الوحيد من بين أعمال بليزاريوس الذي يتصف بالشرف وهو
عمل غير جدير على أي وجه من الوجوه بشخصية الرجل لأنه كان دائما
يبدى رقة متناهية في معاملة الآخرين . ولكن ما وقع قد وقع كما سبق
أن أوضحنا وهو أن الشر كان قدرا محتوما على قنسطنتينوس .

(٩)

وكان القوط يتمتعون بعد فترة قصيرة من هذه الأحداث بتوجيه ضربة
إلى استحكامات روما . فأرسلوا بأدى الأمر عددا من الرجال إلى إحدى
الفتوات التي كانوا هم أنفسهم يأخذون احتياجاتهم من الماء منها عند بداية
هذه الحرب واذا كثروا يحملون المصابيح والمشاعل فقد تمكنوا من

بلذات والذي كان يعرضه عليه في اللحظة الراحة فلهذا لن يطيقه أبدا .
عندئذ أمر بليزاريوس حراسه بأن يدخلوا . وفي تلك اللحظة قال
قنسطنتينوس « واضح أنك تدعهم لكي يقتلوني » . وقال بليزاريوس :
« أبدا ولكن لكي يرغموا حارسك ماكسينولس الذي انتزع الفنجرين
من أجلك على أن يجيد للرجل ما أخذه بالصف » ولكن قنسطنتينوس الذي
كان يعتقد أن لحظة موته قد حلت أراد أن يقوم بعمل مجيد قبل أن
يكون عليه أن يمات من أي شيء . وعلى ذلك فقد سحب الفنجـر الذي
كان معلقا عند عنقه وأغمده فجأة في بطن بليزاريوس . وتحرك مدعورا
خطوة إلى الخلف ثم اتقى بفراميه حول بيساس Bassas الذي كان ينفذ
على مقربة منه ونجح في تفادي الضربة . ثم انطلق قنسطنتينوس وهو
لا يزال بجلى غاضبا وراءه ولكن أيلديجر وغاليريان وقد شهدا ما كان
يحدث انبعاثا على يديه واحد على اليد اليمنى والآخر على اليد اليسرى
وسحباه إلى الخلف . وعند ذلك دخل الحراس الذين كان بليزاريوس
قد استعاضهم منذ لحظة وخطفوا خنجر قنسطنتينوس من يده بعنف
شديد وأمسكوا به وسط صياح هائل . في هذه اللحظة لم يعرضوه لأى
أذى . احتراما على ما اعتد للنبات الموجودين . ولكنهم اقتادوه إلى
هجرة أخرى تنفيذا لأمر بليزاريوس وفي وقت لاحق أعدموه . وقد كان
ذلك هو العمل الوحيد من بين أعمال بليزاريوس الذي يتصـب بالشـر وهو
عمل غير جدير على أى وجه من الوجوه بشخصية الرجل لأنه كان دائما
يبدى رقة متناهية في معاملة الآخرين . ولكن ما وقع قد وقع كما سبق
أن أوضحنا وهو أن الشر كان قدرا محتوما على قنسطنتينوس .

(٩)

وكان القوط يتمنون بعد فترة قصيرة من هذه الأحداث توجيه ضربة
إلى استحكامات روما . فأرسلوا بأدى الأمر عددا من الرجال إلى إحدى
الفتوات التي كانوا هم أنفسهم يأخذون احتياجاتهم من الماء منها عند بداية
هذه الحرب واذا كثروا يحملون المسابيح والمشاعل فقد تمكنوا من

استكشف المدخل الذي يؤدي الى قلب المدينة . وقد حدث أنه على مسافة ليست بعيدة عن بوابة بنشيان السفينة أن وجد بأحد الأقواس القائمة على هذه القناة (٣٧) ما يشبه الصدع ومن خلال هذا الصدع (الشق) رأى أحد الحراس الفسوء وأخبر رفائقه ولكنهم قالوا أنه لابد قد رأى ذئبا أثناء مسروره بمصوده . لأنه عند هذا المكان لم يكن بناء القناة يرتفع كثيرا فوق الأرض واعتقدوا أن انصارس قد تخيل عيني الذئب وكأنها نار مشتعلة . ولذلك فإن البرابرة الذين كانوا يستكشفون القناة وجدوا أمامهم عند وصولهم الى قلب المدينة - حيث كان يوجد ممر كان قد بنى في الممر القديمة يتجه الى أعلى ويؤدي الى القصر نفسه وجدوا مبنى يوصلهم وجعلهم لا يستطيعون التقدم الى ما وراء هذه النقطة أو استخدام طريق الهمود على الاطلاق . كان هذا المبنى قد اقيم في مكانه بواسطة بليزارىوس كاجراء وقائى عند بدء الحصار كما وصفت في السرد السابق (٣٨) ولذلك قرروا في بادىء الأمر ازالة احدى الأحجار من السور ثم العودة فوراً وعندما رجعوا الى فيتيجيس استعرضوا موضوع الحجر وتدموا تقريراً عن الموقف بأكمله . وفي الوقت الذي كان يقدر فيه احتمالات خطته مع زعماء القوط كان الرومان الذين يقومون بالحراسة عند بوابة بنشيان يفكرون فيما بينهم وبين أنفسهم في موضوع الذئب المصوف بالشكوك وذلك في اليوم التالي . ولكن عندما ذاعت القصة ووصلت الى بليزارىوس لم يعالج القائد الموضوع بدون مبالاة لكنه أرسل فوراً بعضاً من رجال جيشه المرموقين مع الحارس ديوجنيز الى القناة وأمرهم أن يتحروا عن كل شيء بأقصى سرعة .

وقد وجدوا مصابيح الحدو على طول القناة وكذلك الرماد الذى كان يساقط من المناط وبعد أن لاحظوا وجود المبنى الذى انتزعت منه أحد الأحجار بفعل القوط أبلغوا كل شيء الى بليزاريوس . ولهذا السبب قرر أن توسع القناة تحت حراسة مشددة وعندما أدرك القوط ذلك تطلوا من محاورتهم .

ولئن فيما بعد اتسع طموح البرابرة الى الحد الذى جعلهم يسمون خطة للهجوم المريع على التحصينات . ولذا انتظروا حتى موعد الحذاء ونصبوا السلاط وجلبوا النيران فى وقت لم يكن عدوهم يتوقع قدومهم فيه وقاموا بهجوم خاطف على بوابة بنشيان الصغيرة يحدوهم الأمل فى الاستيلاء على المدينة بهجوم مفاجئ حيث لم يترك هناك غير عدد قليل من الجنود . ولكن حدث أن ايلدجز ورجاله كانوا يقومون بالحراسة فى ذلك الوقت — لأن الجميع كانوا يكتفون بالقيام بواجبات الحراسة كل فى دوره — ولذلك فانه عندما رأى العدو يتقدم بنير نظام اندفع نحوهم قبل أن ينتظموا فى خطة واحدة من خطوط مواجهة المركة — وبينما هم يتقدمون فى فوضى شاملة استطاع أن يتوجه ناحيتهم وأن يهزمهم هزيمة نكراء ودون عناء كبير قتل منهم أعدادا كبيرة وانطلقت صرخة هائلة وشاعت الفوضى فى أنحاء المدينة كما كان متوقعا واحتشد الرومان فى كافة أنحاء الاستحكامات وعند ذلك عاد البرابرة بعد قليل الى معسكرهم وهم فى حيرة من أمرهم .

ولكن فيتيجيس أعاد ترميم قطعة من السور وكان هناك جزء معين منه آيل للسقوط ويقع حيث توجد شفة نهر التيبر لأن هذا المكان شديد قدما الرومان بطريقة تتسم بالاهمال وعدم الاهتمام ثقة منهم فى الحصانة التى يوفرها مجرى النهر فجعلوه منخفضا خاليا تماما من الأبراج ولذلك كان لفيتيجيس يأمل فى الاستيلاء على المدينة بسهولة من تلك النجبة . لم تكن هناك ولا حتى حفرة واحدة لها شأنها — هذا هو واقع الأمر . ومن ثم استطاع أن يرشو بالمسال اثنين من الرومان كانا يعيشان على

مقربة من كنيسة بطرس الرسول ليقيموا بالمرور على الحراس هناك حاملين قربة مملوءة بالخمر على أن يقدموا — بطريقة أو أخرى مظاهر الود والصدقة الأمر الذي يمكنهما من تقديم الخمر لهم ثم يجلسان للشرب معهم حتى منتصف الليل وكان مطلوب منهما أن يلغيا في كوب كل حارس قليلا من عمار مخدر كان فيتيجيس قد أعطاه لهما • ودون أن يشعر به أحد قام بأعداد بعض الزوارق احتفظ بها على أنشطىء الآخر وبمجرد أن يطلب الثوب على الحراس كان مطلوبا من عدد من البرابرة — يعملون في وقت واحد وفي تنسيق — أن يعبروا النهر في هذه الزوارق وأن يأخذوا منهم السلاح ويقوم بالهجوم الخاطف على السور • وجعل الجيش كله على أهبة الاستعداد بهدف الاستيلاء على المدينة بأكملها في هجوم عام • وبعد أن اكتملت كل هذه الاستعدادات ذهب أحد هذين الرجلين اللذين أعدهما فيتيجيس ليتقدما له هذه الخدمة من تلقاء نفسه (لأن روما لم يكن مقدرا لها أن تقع فريسة في قبضة هذا الجيش القوطي) إلى بليزارايوس وكشف عن كل شيء وأخبره بكل شيء عن الرجل الآخر •

ولذلك فإن ذلك الرجل اعترف تحت التمثيب بكل ما كان على وشك أن يفعله وكشف عن المخدر الذي كان فيتيجيس قد أعطاه له • وقام بليزارايوس بتشويه أنفه وإذنيه وأرسله إلى مصر العدو راكبا فوق جحش • وعندما رآه انبرابرة أدركوا أن الله لن يحقق لهم أغراضهم وبناء على ذلك لن يقدر للمدينة أن تقع في أيديهم •

(١٠)

ولمى الوقت الذى كانت تحدث فيه هذه الأمور كتب بليزاريوس الى جون يامره بالبده فى العمليات الحربية . أما هو ورجاله الذين يبلغ عددهم الى لمارس فقد بدأوا بالتجول فى أراضي بايسنم لنهب كل ما يجده فى طريقة ومعاملة النساء والأطفال كعبيد وعندما واجهه أوليتيوس Ulfthauc عم فيتيجيس على رأس جيش من القسوط اتحق بهم الهزيمة فى المعركة وقتل أوليتيوس نفسه . ومع كل أفراد جيش العدو تقريبا . ولهذا السبب لم يعد أحد يجرؤ على الاشتباك معه . وعندما وصل الى مدينة أوكزيموس Auximus ^(٢١) وعلى الرغم من أنه علم أنه توجد بها فرقة قوطية ضخيلة الحجم إلا أنه لاعتبارات أخرى لاحظ أن المكان حصين ومن المستحيل الاستيلاء عليه . ولهذا السبب كان غير راغب على الاطلاق فى أن يضمها تحت الحصار بل أنه تحرك اماما وهو يغادر هذه المدينة بأسرع ما فى طاقته ولقد فعل نفس الشيء عندما وصل الى مدينة أوربنيوس Urbinus ^(٢٢) ولكن عندما تقدر برحلة يوم واحد داخل المدينة بناء على دعوة الرومان وملا الشك وصل الى أرمينيوم Arminum ^(٢٣) التى تبعد عن رافينا بمسافة عقول البرابرة الذين كانوا يقومون بالحراسة هناك من ناحية السكان الرومان وبمعجرد أن علموا أن هذا الجيش يقترب انسحبوا واستعروا فى الجرى حتى وصلوا الى رافينا وهكذا استولى جون على أرمينيوم ولكنه فى أثناء ذلك كان قد نسي أوامر بليزاريوس لأنه كان قد استولى عليه بأحاساس غير معقول بالجسارة حيث انه كان يتصف بالحكمة

(٢١) حثينا - أوسيو Ostmo وهى نابعة لاوكسراخية رافينا فى الشمال الغربى .

(٢٢) حثينا أوربينو Urbino شمال غرب إيطاليا .

(٢٣) حثينا ريمنى Rimini تقع فى إيطاليا فى الشمال الغربى على مقربة من رافينا .
انظر : Ostrogorsky op-cite (المرجعة)

والصمودية - ولكن لأنه كان قد قدر الأمور بتقبل - وكان تقديره سلبها كما ظهر فيما بعد - انه اذا علم القوط أن الجيش الروماني كان قريبا من رافينا فانهم سرعان ما يفكرون الحصار عن روما بسبب مخاوفهم فيما يتعلق بهذا المكان . وقد أثبت هذا التقرير المبني على التعتل أنه كان سليما فعلا . لأنه بمجرد أن سمع فيتيجيس وجيش القوط أنه استولى على أرمنيوم انتابهم خوف شديد على رافينا وبدلوا هورا في الانسحاب بعد تخليهم عن كل الاعتبارات الأخرى كما سابين فيما بعد . وقد نال هنا شهرة كبيرة نتيجة لهذا العمل على الرغم من أنه كان مرورها جدا قبل كل هذا . لأنه رجل جسور ، على قدر كبير من الكفاءة لا يهتر أعمال الخطر ويظهر في حياته اليوم وفي كل وقت دلائل شخصيته القوية ومقدرته على تحمل المشاق بشكل لم يسبقه اليه اى واحد من البرابرة أو من الجنود الماديين . لقد كان هنا يتميز بكل ذلك . وهانسونثا *Matasuntha* زوجة فيتيجيس التي كانت على عدا كبر مع زوجها لأنه كان قد أخذها زوجة بالمنف في بداية الأمر (١٢) ، عندما علمت أنه قد وصل الى أرمنيوم أمثلات بسعادة غامرة وبعثت اليه برسول من قبلها وبذلك فتحت بابا للتفاوض سرا معه بخصوص الزواج وكشف أسرار المدينة .

ولذلك فقد ظل الاثنان يبعثان رسلهما كل الى الآخر دون معرفة بقية ترتيبات الأمور . وعندما علم القوط بما حدث في أرمنيوم وعندما لم تستطع مؤنهم في نفس الوقت سد حاجاتهم وكان قد انقضى من الزمن ثلاثة أشهر كاملة بدلوا يمدون لانسحابهم على الرغم من أنهم حتى تلك اللحظة ام يتلقوا أية معلومات من المبعوثين . وجاء الآن أول الربيع . لقد مرت سنة كاملة عليهم وهم تحت الحصار بل وفوقها تسعة أيام منذ أن أحرق القوط مسكرهم ورحلوا عند الفجر . لما افروماني

وهم يشهدون خصومهم يفرون فقد كانوا حائرين في كيفية التعامل مع الموقف إذ حدث أن الإغنية الكبرى من الفرسان لم تكن حاضرة في ذلك الوقت حيث انهم كانوا قد أرسلوا إلى عدة أماكن مختلفة كما سبق أن ذكرت وانهم لم يكونوا يعتقدون انهم بمقدورهم يمكن أن يكونوا أندادا لمثل ذلك الحشد الكبير للمدو .

مهما يكن من أمر فقد عمد بليزارايوس إلى تسليح كل المشاة وكل الفرسان وعندما رأى أن أكثر من نصف جنود المدو قد عبروا الجسر قاد الجيش خلال بوابة بنشيان الصغيرة وأثبتت معركة الاشتباك بالأيدي التي وقعت أنها كانت مساوية تماما لأية معركة وقعت من قبل . على البداية صمد البرابرة أمام أعدائهم بقوة وسقط الكثيرون من الجانبين عند بداية الصدام ولكن القوط فيما بعد استداروا طلبا للفرار فجلسوا على أنفسهم كارثة رهية إذ أن كل فرد كان من أجل طلب النجاة بنفسه فقط يندفع بقوة لعبور الجسر قبل غيره . ونتيجة لذلك اشتد زحامهم وكان لزاما أن يقاسوا عناء شديدا لأنهم كانوا يقتلون على أيدي بعضهم البعض وعلى أيدي أعدائهم . كما أن الكثيرين سقطوا من فوق الجسر من ناحيتيه ليلبتلهم نهر التير ويموتون غرقا ومعهم كل أسلحتهم . وأخيرا بعد أن خسروا بهذه الطريقة معظم رجالهم انضم من بقى إلى هؤلاء الذين كانوا قد عبروا من قبل وتآلق لونجنوس *longinus* الأيسوري وكذلك مونديلاس *Mondilas* حارس بليزارايوس بسبب ما أبدوه من شجاعة في هذه المعركة ولكن في حين نجا مونديلاس بعد الاشتباك مع أربعة من البرابرة كل بعد الآخر وقضى فيه عليهم جميعا فإن لونجنوس بعد أن أثبت أنه السبب في اندحار المدو سقط في المكان الذي كان يقاتل فيه تاركا الجيش الروماني ليمائى أشد العزن على فقدانه .

(١١)

وسار لمينيجيس مع من تبلى من جيشه متجها نحو رافنا وعمل على تقوية الأماكن الحصينة بعدد كبير من الحراس تاركاً ألف رجل على رأسهم جيمبار Gibmer ككائد لهم فى Clusium (٢٥) مدينة تسكنى وفى أورفى لمنتوس Urvi-Ventus عدداً مماثلاً وعين عليهم البيلاس Albiles وهو قوطى ككائد لهم • كما ترك أوليجيالوس Ulgius فى تيوديرا Tudera (٢٦) على رأس أربعمئة رجل وفى أرض بايستام فى قلعة بترا ترك أربعمئة رجل ممن سبق لهم المشى فيها وفى اكريموس التى تعتبر أكبر مدن تلك البلاد ترك أربعة آلاف قوطى تم انتقاؤهم على أساس شجاعتهم الهائلة وعلى رأسهم قائد يصف بقدر كبير من الحيوية والنشاط اسمه فيساندوس Visandus وألقى رجل على رأسهم موراس فى مدينة أوربينوس • وهناك أيضاً قلمتان أخريان هما كاسسينا Cassena ومونتفيراتا Monteferata (٢٨) وفى كل منها أمام حامية لا يقل عدد أفرادها عن خمسمئة رجل • ثم تحرك هو شخصياً مع من بقى من الجيش متجها إلى أرمينوم مباشرة بهدف تطويقها بالحصار •

حدث أن بليزارىوس بمجرد أن فك القوط الحصار عن روما كان قد أرسل ايلديجر ومارتينوس ومعهم ألف من الفرسان لكى يصلوا أرمينوم أولاً بسفرهم بمزيد من السرعة عن طريق آخر مختلف وأعطاهم تعليماته وتوجيهاته بأنه عليهم فوراً إبعاد هنا وكل من معه عن المدينة وأن يفسحوا فى أملاكهم العدد الكافى من الرجال لحراسة المدينة وعليهم أن يأخذهم من القلعة القائمة على خليج أبونيا واسمها أنكون Ancon

• Chusi حدبنا كيوسى (٢٥)

• Orvieto حدبنا أورفيتو (٢٦)

• Todi حدبنا تودى (٢٧)

• Montefeltro حدبنا مونتفلترو (٢٨)

وهي تبعد مسيرة يومين من أرمينوم * لأنه كان قد استولى عليها قبل وقت قصير بعد أن أرسل كونون ومعه قوة ليست بصغيرة من الأيسوريين والثراتيين Thracians كان أملة أنه إذا كان باستطاعة المشاة دون أية مساعدة وقيادة غير مرموقة أن يستولوا على أرمينوم فإن قوات القوط لن تقوى أبداً على القيام بحصارها بل انهم سوف ينظرون إليها باستخفاف ومن ثم يتوجهون فوراً إلى رافينا وانهم إذا ما قرروا حصار أرمينوم فإن المؤن سوف تكون كافية للمشاة مدة أطول نسبياً ولكن يعتقد أيضاً أن ألفين من الفرسان^(٣٩) - مهاجمين من الخارج مع بقية الجيش سوف يحدثون بكل القليس - أضراراً جسيمة للعدو وسوف يدفعونهم بسهولة للتخلي عن الحصار * في ضوء هذا الهدف أعطى بليزاريوس أوامره للارتينسوس وإلديجر ورجالهما ، بالسفر عن طريق غلامينيا ووصلوا قبل البرابرة بعدة طويلة إذ أنه بسبب تحرك القوط في حشود هائلة كانوا يتقدمون بشكل أكثر تعقلاً وكانوا مرغبين على القيام بحركات التفاف طويلة بسبب نقص المؤن ولأنهم كانوا يفضلون عدم المرور بالقرب من القلاع الواقعة على طريق غلامينيا وعند ناريشا Narina وسبوليتيوم Spolitium وبيروزيا Perusia إذ أن كل هذه المناطق كانت في أيدي العدو *

وعندما وصل الجيش الروماني إلى بترّا Petra قاموا بالهجوم على القلعة الموجودة هناك باعتبارها واحدة من أهداف حملتهم * وقد كانت هذه القلعة من ابتكار الإنسان ولكن الطبيعة هيات مكانها في هذا الموضع ، لأن الطريق يمر من خلال منطقة جبلية وعرة تماماً عند هذا المكان * فعلى يمين هذا الطريق يوجد نهر ينحدر بشدة بحيث لا يستطيع الإنسان أن يركبه بسبب السرعة الهائلة للتيار وإلى اليسار على مسافة بعيدة تتف صخرة عالية جداً يصل ارتفاعها إلى المدى الذي يجعل الرجال

(٣٩) القوة التي كانت مع حنا عندما خرجت للمرة الأولى على بليستوم والتي

كان يستخفها الآن من المحافظة على أرمينوم *

الذين يمكن أن يفلحوا في الوصول إلى قممها يظهرون لن يقف عند الشئ
وكانهم أسفر للطيور حجبا . وفي الإرملة الغابرة لم يكن هناك أي ممر
يمكن أن يستفد منه من يريد التقدم أماما . لأن نهاية الصخرة تصل إلى
مجرى ذلك النهر بحيث لا تترك أي فراغ يمر منه هؤلاء الذين يستفدون
هذا الطريق في أسفارهم . ولذلك فإن أهل الزمان القديم انشأوا نفقا
عند تلك النقطة وأقاموا هناك بولية لبسور المكان^(١٠) كما أنهم أغلقوا الجزء
الأكبر من المداخل الآخر^(١١) تركين فراغا يكفي بالتأكيد لاقطعة بوابة
صغيرة هناك أيضا وبذلك جعلوا المكان يبدو مثل قلعة طبيعية يطلقون
عليها هذا الاسم الذي يناسبها تماما وهو بئرا . وهكذا قام رجلا
مارتينوس وإلديجير أولا بالهجوم على إحدى هاتين البوابتين^(١٢)
وأغلقوا عدة هذائف ولكنهم لم يحققوا شيئا على الرغم من أن البرابرة
هناك لم يقوموا بأية محاولة للدفاع على الإطلاق ولكنهم فيما بعد شقوا
طريقهم إلى أعلى الصخرة الواقعة خلف القلعة وأخذوا يقذفون الحجارة
من هناك فوق رموس القوم ثم دخلوا بيوتهم مسرعين في فوضى شاملة
حيث بقوا في سكون . وبعد ذلك ابتكر الرومان الخطة التالية عندما عجزوا
عن إصابة أي فرد من العدو بالحجارة التي قذفوها بها .
قاموا بتكسير قطع ضخمة من الصخر وشارك عدد كبير منهم
معا في دفع تلك القطع إلى أسفل وهم يصوبونها في اتجاه البيوت .
وحينما سقطت هذه الأحجار ولم تعمل أكثر من الاحتكاك بالبنى فإنها
كانت تطيح به أمامها وكان هناك طريق من السلام ذو اتساع كبير بداخل
البرج استطاع البرابرة عن طريقه أن يجعلوا صعود أعدائهم الهائلة
ميسرا لأنهم كانوا يأملون في أنه بمجرد أن ينتهوا من وضع البرج في

(١٠) قام الإمبراطور نيسيبسان ببناء النفق عام ٧٦ م . وكانت هذه
البوابة عند المداخل الجنوبي .

(١١) أي الشمال .

(١٢) البوابة العليا أي الجنوبية .

عملية التحصينات لن يجدوا أية مشقة في الانتقال خطوة واحدة من هناك الى أعلى السور لأنهم كانوا قد شيدوا البرج عاليا وفي أذهانهم هذا الاعتبار . ولذلك فإنهم عندما اقتربوا من التحصينات ومهم آلة الحرب هذه ظلوا ساكنين طوال الوقت حيث كان الظلام كان قد بدأ يعم وبعد أن وضوا الحراس في مواقعهم في كافة أنحاء البرج ذهبوا لقضاء الليل وفي اعتقادهم أنهم لن يصادفوا أية عقبات من أي نوع وفي الواقع لم يمترض طريقهم شيء ولا حتى خندق واحد بينهم وبين السور فيما عدا واحد صغير جدا .

أما بالنسبة للرومان فقد أمضوا الليل وهم في رعب هائل معتقدين أنه بحلول الصباح سوف يكونون قد هلكوا . ولكن هنا الذي لم يكن ليستسلم لنفاس في مواجهة الأخطار ولا لينفعل الى درجة كبيرة بفعل الخوف استطاع أن يبتكر الخطة الآتية . بعد أن ترك الآخرين ليقوموا بمهام الحراسة في مواقعهم أخذ بنفسه الأيسوريين الذين يحملون المعاول وغيرها من الأدوات المشابهة وخرجوا من الاستحكامات . كان الوقت آخر ساعات الليل ولم أرى أي شخص في المدينة قد قبلت له أية كلمة مسبقا وعندما أصبحوا خارج السور أمر رجاله أن يعملوا في سميت لتعميق الخندق ففعلوا ما طلب منهم وكانوا وهم يخفرون ينفخون التراب الناتج من الحفر على الجانب الأقرب الى سور المدينة حيث يمكن الانتفاع به كسد ترابي ولأن العدو الذي كان ينط في النوم لم يحس بهم لمدة طويلة سرعان ما نجحوا في تعميق وتوسيع الخندق في المكان الذي كانت التحصينات فيه قابلة للاحتراق وحيث كان البرابرة يحدون المدة لهجوم بالأنهم الحربية وفي آخر ساعات الليل بعد أن لاحظ العدو ما يجري أنقض بعمتهى السرعة على الرجال الذين كلنوا يقومون بالحفر ودخل حنا والأيسوريين للاحتماء بالتحصينات بعد أن أصبح الخندق في حالة تبعث على الرضاء الى حد كبير .

حالة من الغيظ الشديد على التوقيع على اعدام بعض الحراس • وعلى أية حال فإنه كان لا يزال متعلها كما كان من قبل لاحضار آتته ولذلك اصحر اوامره الى القوط بالقاء عدد كبير من حزم المعصى بأسرع ما يمكن فى الخندق ثم بواسطة سحب البرج فوقها يمكن تثبيته فى موقعه • فبدأ بكل حماسة فى تنفيذ ذلك حسب أوامر فيتيجيس *Vitigis* على الرغم من أن أعداءهم ظلوا يقاتلونهم من خلف السور بأقصى ما بهم من عزم • ولكن عندما جاء البرج بثقله فوق حزم المعصى كان من الطبعى أن ينهار ويسقط • لهذا السبب كان البرابرة عاجزون تعلموا عن التقدم اتى الامام بالآلة لأن الأرض أصبحت أكثر انحدارا أمامهم حيث كان الرومان قد جعلوا من التراب أكرا ما كما قلت من قبل • ولذلك سحبوا الآلة عائدين بها مرة أخرى خشية أن يتسلل العدو ويشعل فيها النيران عندما يحل الليل •

وكان هذا بالضبط هو ما يهدف حنا على منعه بكل ما فيه من قوة ولذلك فقد قام بتسليح جنوده ودعاهم جميعا وحذرهم قائلا : « رجالى، يا من تشاركون فى تحمل هذا الفخر الذى يواجهنا جميعا • اذا كان يسعد أى رجل منكم أن يعيش لكى يرى هؤلاء الذين تركهم فى بيته فليتكذب أن الأمل الوحيد الباقى له من أجل الحصول على هذه الأشياء لا يوجد الا بين يديه هو نفسه لأن بليزاريوس عندما أرسلنا فى بادىء الأمر كانت الآمال والرغبة فى انجاز أشياء عديدة هى التى تجعلنا نطلب على القيام بمهامنا • لأننا لم نشك أبدا فى أنه كان يمكن أن نهاصر داخل البلاد الواقعة على طول اتساحل والرومان يسيطرون على البحر سيطرة كاملة ولا أن يخطر لأحد أن جيش الامبراطور يمكن أن يمهلنا الى هذا الحد • ولكن بصرف النظر عن هذه الاعتبارات فاننا فى ذلك الوقت كنا مدفوعين الى اظهار الجراءة والجرأة من خلال فرصة اظهار ولائنا للدولة من خلال المجد الذى يمكن أن نحققه على مرأى من كل الرجال نتيجة لنضالنا • ولكن الأمور على ما هى عليه

الآن فانا لا يمكن أن نظل على قيد الحياة الا باظهار الشجاعة والاقدام .
ونحن مرغون على أن نتعرض لهذا الخطر الذي لا تلوح في الأفق
نهليته لا أن نعمل على النجاة بانفسنا . وعلى ذلك اذا كان لأى واحد
منكم أن يدعى الشجاعة فالجميع امامهم الفرصة لاثبات أنهم رجال
شجعان اذا كان في العالم حقا رجال شجعان — وبذلك يحققون لأنفسهم
الأمجاد — أن من يحققون لأنفسهم السمعة الطيبة ليسوا هم هؤلاء
الذين يقهرون من هم اضعف منهم ولكنهم هؤلاء الذين رغم احتقارهم
للمعدات يستطيعون تحقيق النصر بمظمة أرواحهم . أما بالنسبة لهؤلاء
الذين قد غرسوا في أعماق نفوسهم حب الحياة فانا تكون مميزة محسوبة
لهم أن يكونوا ذوى جسارة خاصة لأنه يصدق على الرجال جميعا
كصفة عامة أنه عندما تقف أقدارهم على حد الموت كما هو الحال
الآن بالنسبة لنا — فإن انقاذ حياتهم قد يتحقق فقط باحتتار
الخطر » .

بهذه الكلمات قاد هنا جيشه للقاء العدو تاركا بضعة رجال
لحراسة فتحات الحصن . ولكن العدو صمد أمامهم بشجاعة وأصبحت
المعركة في غلبة الشراسة .

وبصوبة بالغة وفي آخر ساعات النهار نجح البرابرة في اعادة
البرج الى مسكرهم . على أية حال فانهم كانوا قد خسروا عددا كبيرا
جدا من مقاتليهم لدرجة أنهم قرروا منذ ذلك الوقت فصاعدا الا يقوموا
بشن أية هجمات على الأسوار بل أنهم يشسوا من النجاح بتلك الطريقة
وظلوا ملتزمين الهدوء وهم يتوقعون أن العدو سوف يستسلم لهم
تحت ضغط المجاعة . كانت كل المؤن التي كانوا يحتفظون بها قد خذلتهم
تماما حيث أنهم لم يجدوا أى مكان يستطيعون منه أن يجلبوا منه
الامدادات الكافية .

هكذا سارت الأحداث هناك . أما بالنسبة لبليزاريوس فقد
أرسل الى نواب ميلانو ألف رجل من الايسوريين والرافيين . كان

الايوريون بقيادة انز Ennes بينما كان التراقيون بقيادة باولوس وكانوا جميعا تحت إمرة مونديلاس شخصيا محتفظا له ببعض أفراد من حرس بليزاريوس - وكان معهم أيضا فيدليوس *Fidius* الذي كان تم تعيينه حارسا لأمبراطوريا • ولأنه كان يعتبر من أهم ميلاتو فقد كان ينظر إليه باعتباره الشخص المناسب للذهاب مع هذا الجيش حيث كان له بعض النفوذ في ليجوريا • وعلى ذلك فقد أُهبطوا من ميناء روما ورسوا في جنوا وهي آخر مدينة من مدن تسكاني وتمتع بموقع ممتاز كميناء يفرى بالرحلة البحرية إلى بلاد الغال (فرنسا) وإسبانيا وهناك تركوا سفنهم وعن طريق النهر نزلوا أماما وهم يصفون القوارب الخاصة بسفنهم فوق عرباتهم حتى لا يكون هناك ما يمنع عبورهم لنهر البو • وعلى أية حال بهذه الوسيلة استطاعوا عبور النهر •

وعندما وصلوا إلى مدينة تسينم *Ticinum* (٢٢) بعد عبور نهر البو جاء القوط للاقائهم واستبقوا معهم في معركة • ولم يكتفوا يشكلون قوات كثيرة العدد فقط ولكنهم كانوا أيضا يشكلون قوات ممتازة • إذ كان كل البرابرة الذين يعيشون في ذلك الأقليم يودعون أئمن مقتنياتهم في تابينم (٢٣) باعتبارها مكانا يتمتع بدفاعات قوية وكانوا قد تركوا هناك حامية كبيرة • ولذلك وقعت معركة شرسة ولكن الروماني خرجوا منها منتصرين وبعد أن أنزلوا هزيمة منكرة بأعدائهم ذبحوا عددا هائلا وأصبحوا على وشك الاستيلاء على المدينة أثناء المطاردة • إذ نجح البرابرة بصعوبة بالغة في إغلاق البوابات والعدو يجد في أثرهم على مسافة قصيرة جدا منهم • وبينما الروماني يسرون بعيدا دخل فيدليوس أحد المعابد للصلاة وكان آخر من خرج بالمصادفة ولكن لأمر ما تمثر جواده وسقط ولأنه كان قد سقط بالقرع من

(٢٢) حديثا مدينة بوليا *Pavia* في شمال إيطاليا •

(٢٣) بوليا •

التحصينات لمن القوط أبصروهم وحملوه وقتلوه دون أن يراهم العدو ،
وعندما اكتشف هذا الأمر فيما بعد بواسطة مونديلاس والرومان انتابهم
حزن شديد .

ثم بعد أن غادروا تايسنم وصلوا الى مدينة ميلانو (١٥)
واستغلّموا هذه المدينة بالإضافة الى بقية لجوريا دون معركة — وعندما
علم فيتيجيس بذلك أرسل جيشا كبيرا على وجه السرعة وعلى رأسه
لوريلس Unless وابن اخته قائدًا له وكان نيوديرت Theudibert
قائد الفرقة قد أرسل اليه بناء على طلبه عشرة آلاف رجل باعتبارهم
حلفاء لا من الفرقة أنفسهم ولكن من البرجنديين (١٦) .

فيظهر بذلك على أنه لا يعمل على الحاق الأذى بالامبراطور . حيث
قد أشيع أن البرجنديين قاموا بحملتهم بمحض ارادتهم واختيارهم
وليس باعتبار أنهم يطعمون أوامر نيوديرت . وانضم القوط الى هذه
القوات وتوجهوا معا الى ميلانو وأقاموا معسكرا وبدأوا فرض الحصار
على وقت لم يكن الرومان يتوقعون ذلك منهم . وعلى أية حال فإن
الرومان بسبب هذا الممثل وجدوا أنه من المستحيل عليهم جلب أى
نوع من المسؤن بل أنهم أصيبوا بالكتئاب بسبب شدة احتياجهم
للضروريات .

في الواقع أنه حتى الأمور الخاصة بحراسة الأسوار لم يكن من
الممكن إنجازها بواسطة الجنود النظاميين لأنه كان قد حدث أن
مونديلاس استطاع احتلال كل المدن القريبة من ميلانو حيث كانت تمثل
دفاعا اسميا عن برجوم Bergomum وكومم Comum

(١٥) ميلانو أو ميلان Milan أحد مدن الشمال الإيطالي .

(١٦) البرجنديون : أحد القبائل الجرمانية التي غزت أراضي الإمبراطورية
الرومانية تعرضوا لضغط الهون — اتجهوا الى الراين واستقروا بين جبال
الآلب والرون .
(الترجمة)

ونوفلريا Novaria ^(١٧) وكذلك بمعنى الحصون وفي كل من هذه الأماكن وضع حامية كبيرة وبقي هو شخصيا ومعه حوالي ثلثمائة رجل في ميلانو وكذلك ليز وبولوس . وبالتالي وبسبب الحاجة الملحة كان سكان المدينة يقومون بالحراسة بانتظام وبالذور .

وكان ذلك هو تطور الأحداث في ليجوريا وكان الشتاء يقترب من نهايته وانتهت السنة الثالثة لهذه الحرب التي أرخ لها برونكوبيوس .

(١٣)

وسار بليزارىوس تقريبا عند بدء الصيف للقاء فيتيجيس والجيش القوطي تاركا عدد قليل من الرجال ليقوموا بأعمال الحامية في روما بعد أن أخذ كل الباقين معه .

وأرسل بعض الرجال الى تيوديرا وكلويزيوم مع أوامر بضرورة إقامة معسكرات حمية هناك وكان في نيته أن ينضمهم وأن يساعد في فرض الحصار على البرابرة في تلك المواقع . ولكن عندما علم البرابرة أن الجيش كان يتقدم لم ينتظروا لمواجهة الخطر بل أرسلوا مبعوثيهم الى بليزارىوس ليقدموا الوعود بأنهم سوف يسلمون بأنفسهم وكذلك المدينتين بشرط أن لا يحدث لهم أى أذى . وعندما ذهب الى هناك نفذوا وعدهم . وقسم بليزارىوس بأبعاد كل القوط من هذه المسكن وأرسل بهم الى مسقلية ونابوني وبعد أن أقام حامية في كل من كلويزيوم ^(١٨) وتيوديرا تقدم بجيشه الى الإمام .

ولكن في هذا الوقت كان فيتيجيس قد أرسل جيشا آخر بقيادة

(١٧) حدينا برجانو Bergamo ، وكومو Como ، ونوفلريا Novaria

(١٨) تقع كلويزيوم في الجنوب الغربي من الأبريتي في منطقة ليوليا وكلفت من القتل التي تقع في بحيرة بعض القبائل المشبهة للكلبيين .
(الترجمة)

فاكسيس Vacinus الى اوكريوس^(١٩) مع امر باتضعفه الى
قوات القوط هناك ولن يهاجم منهم العدو في انكونا Ancon
ولن يحول الهجوم على تلك القلعة . وكانت انكونا هذه بمثابة صخرة
مدنية والواقع انها اتخذت اسمها من طبيعتها هذه لانها الى حد كبير
تشبه « الكوع » وهي تبعد نحو ثمانين فرسخا من مدينة اوكريوس
وتعتبر ميناءها . وتقع دفاعات القلعة فوق الصخرة المدبية في موقع
آمن ولكن كل المبنى الواقعة خارجها على الرغم من كثرتها لم يكن لها
أسوار تحميها منذ الأزمنة القديمة .

وبمجرد ان سمع كونون قائد الحامية في هذا الموقع أن قوات
فليس كانت في طريقها للالقات وأنها كانت فعلا وقد وصلت الى مكان
ليس يبعد عنه فلم يعمل استعراضى يدل على الحماسة والافتقار الى
حسن التدبير .

فلاعتقاده أنه من السهولة بمكان أن يظل في مأمن من الأذى
بمجرد الاختباء بالقلعة وأهلها بالانساة الى الجنود . ترك التحصينات
خالية تماما من الجنود وقادهم جميعا الى مكان يبعد نحو خمسة فراسخ
وقام بتنظيمهم في صف واحد للمركة دون أن يجعل هذا الخط ذا
عق كلف ولكنه كان خطأ غير ذي عمن بحيث كان يلتف حول سطح
الجبيل بأكمله وكأنه كان خارجا للميد . وعندما شعرت هذه القوات
أن العدو كان يفوقها عددا لدرجة مائلة أداروا ظهورهم وانطلقوا من
هورهم هاربين الى القلعة . وأستطاع البرابرة الذين كانوا يقتنون
أثرهم على مسافة قريبة أن يذهبوا معظمهم على الفور .

كان هؤلاء هم الذين لم ينجحوا في دخول السور الدائري في
الوقت المناسب - ثم قاموا بوضع السلاط على الأسوار وأخذوا
يصحونها .

(١٩) اوكريوس هي اوسيو Osimo بالقرب من رافنا .

وبدا البعض في احراق البيوت الموجودة خارج القلعة . أما عن الرومان الذين كانوا قد اثبتوا كفاءتهم في القلعة لانهم وقد اذهلهم الرعب مما كان يحدث فتحووا البوابة الصغيرة واخذوا يستقبلون الجنود انذين كانوا يعمرون في فوضى شاملة . ولكن عندما راوا البرابرة على مقربة وهم يجدون في أعقاب الفارين وخوفا من أن يضطروا للانتحار معهم اغلقوا البوابات بأسرع ما في استطاعتهم وأنزلوا الحبال من فتحات الأسوار وأنفذوا عددا من الرجال بسحبهم الى أعلى وكان من بينهم كونون نفسه . ولكن البرابرة سدوا السور بسلاسلهم وأوشكوا على أن يستولوا على القلعة بحركة خاطفة وكان من الممكن أن ينهضوا لو لم يظهر رجلا شجاعة نادرة عندما دفعوا بكل ما فيهما من قوة هؤلاء الذين كانوا قد احتلوا الأسوار وألقوا بهم من فتحاته وكان أحد هذين الاثنين من حرس بليزارىوس الخاص وهو من تراقيا اسمه أوليموث ulimoth والثاني أحد حراس فاليريان واسمه جوبول جودو Gouboulgoudou وهو من الماساجيت^(٥٠) من ناحية المولد .

وكان هذان الرجلان قد جاءا بمحض الصدفة الى انكونا عن طريق البحر قبل قليل وخلال هذا الصراع فانهما باستخدام سيوفهما في ابعاد الذين كانوا يتسلقون الأسوار قد أنقذوا القلعة بمكس ما كان متوقعا ولكنهما حملا من عند فتحات الأسوار العليا وها كالأموات بعد أن تمزق جسديهما من كثرة الجروح .

في ذلك الوقت وصل نيا الى بليزارىوس مفاده أن فارسييس قد وصل على رأس جيش كبير من بيزنطة وأنه في بايسنوم وكان

(٥٠) الماساجيتي مرفناهم على أنهم قبيلة اسبوية قدمت من وسط آسيا ، واحتلت الأراضي الرعوية شمال نهر الاموداريا .
Encyclopedia, Britannica. vol. VI.

ترسيس^(٥١) هذا خصيا ووصيا على الكتوز الملكية ولكنه لم يغير ذلك من الأمور كان حاد أنزاع كثير النشاط بأكثر مما يمكن أن يتوقع من خصي • وكان يتبعه خمسة آلاف جندي يتألفون من عدة آلاف بقيادة عدد من الرجال^(٥٢) من بينهم جستينوس Justinus قائد الليبريا Myricum^(٥٣) وتارسيس آخر كان قد جاء من قبل إلى أرض الرومان باعتباره أحد الفارين من الأرمن الفاضحين للفرس ومعه جاء شقيقه أريستوس Aristus الذي كان قد انضم إلى بليزاريوس قبل هذه الأحداث بقليل مع جيش آخر • وكان يتبعه أيضا ما يقرب من ألفين من شعب الأيرولين Eurlan^(٥٤) تحت قيادة فيساندوس واليوتس وفلانيثيوس Vlsandus, Aluith, and Phenitheus.

(٥١) كان أرمينيا من بلاد فارس — انظر الكتاب الأول لبروكوبيوس • الفصل الخامس عشر ص ٣١ • وقد كان طواشبا ومين رئيسا لهذه الطائفة في العرش الإمبراطوري ثم أصبح كبير المحاربين • ونظرا لأنه كان طواشبا فقد كان لا يطع في العرش الإمبراطوري فكان ذلك سببا في حسن العلاقات بينه وبين جستينان • (الترجمة) • انظر : Vasiliev op. cit. vol I. pp. 137-173; Ostrogorsky op. cit. pp. 70-73.

(٥٢) هناك اقوال تذكرها المؤرخون بأن العلاقات سادت بين الإمبراطور جستينان وبين بليزاريوس بعد أن علم من الشاعكات قد سرت بأن القسوط الشرقيين في إيطاليا يرفقون بتتويج بليزاريوس عليهم فلستدماه جستينان إلى القسطنطينية • انظر است فنيم « إمبراطورية جستينان » ص ٢٨ • (الترجمة)

(٥٣) يقع إقليم الليبريا شمال بلاد اليونان • (الترجمة)

(٥٤) الأيرولي والأيرولين شعب من الشعوب البربرية التي سكنت شمال شبه جزيرة اسكتندنافيا • ويجلبهم شعوب بربرية أخرى مثل السكندنافيين واليوناني • وسيلقون بروكوبيوس شرحا مفصلا عنهم فيما بعد • (الترجمة)

والآن سأعرض من هم شعب الايرولى Endr وأين هو موقعهم
بالنسبة للعالم وكيف دخلوا في تحالف مع الرومان هاننى فيما يلى سوف
أشرح كل ذلك . لقد اعتادوا أن يعيشوا فيما وراء نهر استر^(٥٥) Ester
منذ القدم يحدون عددا من الآلهة التى كانوا يرون فيها أنهما أقدم
من يرجى استرضاءه بلقرباين البشرية . وكانوا يتصكون بمعدات لم
تتقن تتلق وعادات غيرهم من الناس . اذ لم يكن صموها لهم بالاستمرار
فى الجيش عندما يبلغون الكبر أو عندما يمرضون ولكنهم كانوا بمجرد
أن يبلغ أحدهم كبر السن أو المرض كان لزاما عليه أن يطلب من اقاربه
ازاحتة من العالم بأسرع ما فى استطاعتهم . وكان هؤلاء الأقارب
يجمعون كمية كبيرة من الأخشاب بحيث ترتفع غالبا ثم يسمون الرجل
أعلا كومة الأخشاب ثم يرسلون واحد من شعب الايرولى من غير اقارب
الرجل فيقف الى جانبه ممسكا بفنجر لأنه لم يكن مما يتفق والقانون أن
يكون أحد الاقارب قاتلا . وعندما يعود القاتل الذى قام بذبح قريبهم
يشعلون النار فوراً فى كومة الأخشاب الى أن يحترق جميعه مبتدئين
بهرق الأطراف وعندما تقعد النيران يشرعون فوراً فى جمع المظلم
ليدفنوها فى باطن الأرض . وكانوا اذا مات واحد منهم كان لزاما على
زوجته اذا أعلنت أنها تستمسك بالفضيلة وترغب فى أن يظل اسمها نقياً
أن تموت بعد فترة ليست طويلة الى جانب قبر زوجها بأن تشق نفسها
بحبل . فاذا لم تفعل هذا تكون النتيجة أن تصبح ذات سمعة سيئة طوال
حياتها بعد ذلك الأمر الذى يعتبر اساءة الى اقارب زوجها . لقد كانت
تلك هى العادات المرحية بواسطة الايرولى فى الأرمنة الغابرة .

ولكن مع تقدم الزمن أصبحوا سادة كل البرابرة الذين كانوا
يعيشون حولهم سواء من ناحية القوة أو من ناحية العدد وكأمر طبعى

(٥٥) حالياً هو نهر الدانوب .

أن يقع غلد أخذوا مهاجمونهم وتمكنوا من قهرهم عدة مرات واستعروا
على نهب ممتلكاتهم بالقوة والعدو . وفي النهاية تمكنوا من أن يجلسوا
اللويمبارديين الذين كانوا يدينون بالمسيحية وكذلك عدة شعوب أخرى —
جعلوا منهم — رعليا يخشون لهم على الرغم من أن برابرة ذلك الاقليم
لم يعتادوا أبدا ذلك النوع من المعاملة وكان الايرولي كلنوا مدفوعين
بالتخاذ هذا الأسلوب من واقع حبهم للمال ولسيطرة الروح التي لا تعرف
الشرعية أو القانون عليهم .

وعلى أية حال فانه عندما استولى اناستاسيوس على الامبراطورية
الرومانية في عام ٤٩١ م^(٥٦) فان الأيروليين اذ لم يعد لديهم في العالم
من يستطيعون مهاجمة تركوا أسلحتهم والتزموا الهدوء كما عاشوا
سليما بهذه الطريقة لفترة من الزمن تقدر بثلاث سنوات . ولكن الناس
أنفسهم وقد تغلب عليهم الخيف وبدأوا يسيئون الى قائدهم رودولفس
دون تحفظ فكانوا يذهبون اليه دون توقف وينادونه باسم الجبان والخفت
ويوجهون اليه الألفاظ الجارحة بأبشع الاساليب يوبخونه بكلام ساخر
بذي . أيضا . ولأن رودولفس لم يستطع تحمل الاهانات الموجهة اليه
سار على رأس جيشه للامانة اللومبارديين الذين لم يرتكبوا أى خطأ
والذين لم يحدث منهم أى انتهاك لمسا بينهم من اتفاقيات لكن ليشن
عليهم حربا لم يكن لها أى سبب حقيقي .

(٥٦) حكم الامبراطور انستاسيوس الاول بعد وفاة الامبراطور زينون
سنة ٤٩١ م حتى ٥١٨ ومن أهم ما اشتهر به كحاخه الادارية واصلاحيته
المالية واصلاح النقد واصلاح جبلة الضرائب ورفع عن الصناع والتجار ما كان
يفرضها عليهم من ضريبة الحرف الى غير ذلك .

(المرجعية ٢)

منه انظر :

Vasiliev (op-cit) p. 109; Ostrogorsky (op-cit) p. 80.

وعندما سمع اللومبارديون (٥٧) بذلك أرسلوا إلى روفلس يستمرون ويطلبون منه أن يحدد السبب أو الاتهام الذي من أجله يتوجه الأيروليون إليهم شاعرين أسلحتهم ومواقفين على أنهم إذا كان قد بدر منهم أي حرمات للأيرولي من دفع الجزية فإنهم سوف يذبحونها فوراً مضاعفاً إليها فوائد عالية وإذا كانت كل جريبتهم أن الجزية المفروضة عليهم كانت يسيرة فإن اللومبارديين لن يتوانوا في زيادتها . كانت تلك هي العروض التي تقدم بها المبعوثون ولكن روفلس أعادهم مهدداً وتقدم إلى الأمام .

ومرة أخرى أرسلوا مبعوثين آخرين يعرضون نفس العروض وهم يقدمون إليه العديد من التوسلات . وعندما تلقى مبعوثي المرة الثانية نفس المعاملة جاءت إليه سفارة لثلاث الأيروليين من أن يشنوا عليهم بأية حال من الأحوال حرباً دون سبب مقنع . لأنهم إذا وقفوا ضدهم وفي نفوسهم مثل ذلك العرض فإنهم أينما على غير رغبتهم ونزولاً على الضرورة الملحة فإنهم سوف يقفون صفاً واحداً ضد مهاجمهم داعين الله . المشاهد عليهم الذي أثل نعمة من سمات رغاء كفيفة بقلب الموازين وهو القادر على تدمير أي قوة يملكها الإنسان وأنه هو سيجلته الذي يعلم أسباب الحرب وعليه سوف يكون تحديد مسار الحرب بالنسبة للجانبين طبقاً لذلك . لقد تكلموا هكذا وهم يمتدحون أنهم بهذه الوسيلة سوف ييثون الربع في قلوب أعدائهم ولكن الأيروليين الذين لم يكن من طباعهم أن يمتزوا أطمع أي شيء كانوا قد قرروا أن يكون اللقاء مع اللومبارديين على أرض المعركة .

(٥٧) اللومبارديون آخر الشعوب الجرمانية التي انتمت الإمبراطورية الرومانية ، انقلبوا في القرن الأول منذ وادي نهر الأودر والجزء الأدنى من الفلب ثم ظهروا في بانونيا . حملوا كيجنود مرتزقة في جيش جستنيان ، وخلفه الجيش الذي عمل تحت قيادة نارسيس فكان يحطه من اللومبارديين . كونوا لأنفسهم مملكة في إيطاليا . (الترجمة) .

من ذلك انظر مكثور : أورباني المصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١٤ .
Lot The end of the ancient world p. 288.

وعندما اقترب الجيشان حدث أن السماء في المكان الذي يقع فوق اللومباردين حجبته سحابة سوداء داكنة على حين كانت السماء فوق الايرولي شديدة الصفاء وبالحكم على الأمور من هذه الزاوية ربما يختد المرء أن الايروليين كانوا يدخلون الصراع الذي سوف ينتهي بوقوع الأذى عليهم لأنه لم يكن من الممكن أن يوجد نذير شر للبرابرة أكثر وضوحا من ذلك .

وعلى أية حال فإن الايروليين لم يأبهوا حتى بهذا ولكنهم بأعمال كامل لهذا الأمر تقدموا للقاء أعدائهم بمنتهى الاحتقار وهم يتدرون أنه نتيجة الحرب يحددها تفوق الأرقام . ولكن عندما قاربت المعركة من نهايتها كان عدد كبير من الايروليين قد هلك ورودولفوس نفسه هلك ولم الباقون بأسرع ما في استطاعتهم ولأن أعداءهم كانوا في أثرهم فإن معظمهم وقع في أرض المعركة ولم ينجح سوى القليلين من النجاة بأنفسهم .

لهذا السبب لم يعد الايروليون قادرين على البقاء في أرض الأجداد ولكنهم وهم يرحلون منها على وجه السرعة ظلوا على تحركاتهم أماما يهربون كل بلاد ما وراء نهر إيستر *Estor* ومعهم زوجاتهم وأطفالهم ولكنهم عندما وصلوا إلى أرض كان يسكنها الروجي *Rogi* منذ القدم - وهم شح كان قد انضم إلى جموع القوط وذهبوا إلى إيطاليا - استقروا في ذلك المكان . لأنهم كانوا يعانون المجاعة لأنهم كانوا في أرض قاحلة فقد غادروها بعد مدة ليست طويلة وذهبوا إلى مكان قريب من بلاد الجييداي *Gepedes* ^(٥٥) وفي بادىء الأمر سمح الجييداي بالبقاء هناك وأن يكونوا جيرانا لهم حيث أنهم جاءوا باعتبارهم متوسلين متضرعين . ولكن فيما بعد ودون سبب مقنع بدأ الجييداي في القيلام بأعمال غير أخلاقية معهم لأنهم كانوا يحتدون على نسلاتهم

(٥٥) كتاب ٢ وهم أحد الشعوب الجرمانية التي قامت بغزو الإمبراطورية الرومانية . (الفرقة) .

ويستولون على مواشيهم وممتلكاتهم الأخرى ولم يتورعوا عن أي شرور أخرى مما كانت وأخيرا شنوا عليهم هجوما غير مشروع .

ولما لم يستطع الايوليون تحمل كل ذلك عبروا نهر ايستر^(٨) وقرروا أن يمشوا كجيران مع الرومان في ذلك الاقليم . وكان ذلك أثناء حكم الامبراطور انستاسيوس الذي استقبلهم بروح ودية عظيمة وسمح لهم بأن يستقروا حيث كانوا . ولكن بعد وقت قصير سبب له هؤلاء البرابرة الازعاج بمعاملتهم غير القانونية للرومان هناك ولهذا السبب أرسل جيشا لمحاربتهم وبعد أن هزمهم الرومان في أرض المعركة قاموا بذبح أكثرهم وكانت أمامهم فرصة كبيرة للقضاء عليهم جميعا . ولكن من تبقوا منهم اتقوا بأنفسهم طالبي الرحمة من الفواد وتسلوا اليهم أن يبقوا على حياتهم وأن يتخذوا منهم حلفاء وخداما للامبراطور .

وعندما علم انستاسيوس بذلك شعر بالسرور ونتيجة لذلك نجا عدد من الايولييين وعلى أية حال فانهم لم يصبحوا حلفاء للرومان ولم يقوموا بعمل طيب من أجلهم .

وعندما تولى جستنيان حكم الامبراطورية في عام ٥٢٧ م منحهم أراضي جيدة وممتلكات أخرى ونجح في كسب صداقتهم تماما وأقنعهم جميعا بأن يعتنقوا المسيحية . ونتيجة لهذا اتخذوا أسلوبا أكثر رقة في حياتهم وقرروا أن يخضعوا أنفسهم بالكامل لشرائع المسيحية وعلما بشروط تحالفهم كانوا بصفة عامة ينضمون في صفوف الرومان ضد أعدائهم . ومع ذلك فقد كانوا لا يزالون غير مخلصين لهم ولائهم كانوا عبيدا للمال كانت لديهم ميول عدوانية بالنسبة لجيرانهم دون أي شعور بالخجل من مثل هذا السلوك . وكانوا يمارسون الجماع بطريقة بشعة وخاصة الرجال مع الحمير وهم أخط الرجال كافة فقد كانوا أنذالا فعلا .

ولمّا بعد وعلى الرغم من أن قليلين منهم ظلوا مسالمين للرومان كما سوف أشرح في السرد التالي فإن الباقين تمردوا للسبب الآتى :

في إحدى المرات التى كان الأيروليون يستعرضون فيها شخصيتهم الوحشية المتمحبة ضد ملكهم وكان يدعى أوكاس Ochus قالموا فجأة بقتله دون أى سبب مقنع على الإطلاق ودون أن يوجهوا له أى اتهام . لقد كانوا فقط يرغبون فى ألا يكون هناك ملك عليهم . ومع ذلك فإنه قبل هذه الواقعة عندما كان الملك يحمل هذا اللقب فعلاً فإنه من الناحية العملية لم تكن له أية ميزة على أى مواطن آخر مهما كان شأنه . ولكن الجميع كانوا يطلبون بحق الجلوس معه وتناول الطعام معه وكان أى فرد يستطيع أن يوجه إليه الأهلانات دون تحفظ فلم يوجد فى العالم شعب لا يلتزم بالأداب والأخلاق مثل الأيروليين . وعندما تم هذا العمل الشرير سرعان ما شعروا بالندم .

وقالوا أنهم لن يستطيعوا أن يعيشوا دون حاكم ودون قائد ولذاً فإنهم بعد كثير من التفكير قرروا أن أفضل الأمور هو استدعاء أحد أفراد أسرهم الملكية من جزيرة ثيول Thule . وسوف أشرح الآن السبب فى اتخاذ هذا القرار .

(١٥)

عندما كان الأيروليون مهزومين على يد اللومباردين فى المعركة التى سبق ذكرها هاجروا من بيوت أجدادهم فتنوجه البعض منهم الى الميريا Ithyrium^(٦٠) واتخذوا منها موطناً ولكن الباقين كانوا يعارضون فى عبور نهر ايستر فاستقروا عند أبعد أطراف العالم . على أية حال عبر هؤلاء الرجال يقودهم عدد كبير ممن تجرى فى عروقهم

(٦٠) لم يذكر بروكوبيوس هذا من قبل . وقد عرفت موضع الليريا من قبل .

الدعاء الملكية كل بلاد ال سكلافيني . Scieveni الواحدة بعد الأخرى
ثم عبروا مساحة كبيرة من الأراضي الفاتحة حتى وصلوا إلى **ماريني** (٦١) كما أطلقوا عليها . **Varni**

وبعد هذه البلاد كلها مرروا ببلاد الدانينين **Dani** (٦٢) دون
أن يلحقهم أى عنف على أيدي البرابرة هناك . وعند وصولهم أخيرا إلى
المحيط ركبوا البحر حتى وصلوا إلى ثيول (٦٣) **Thule** وهناك استقروا
على الجزيرة .

أن ثيول واسعة جدا مساحتها تبلغ أكثر من عشرة أضعاف مساحة
بريطانيا وتقع بعيدا جدا عنها في اتجاه الشمال . والأرض على هذه
الجزيرة جرداء في مجموعها ولكن في الجزء المأهول يستقر ثلاثة عشر
شعبا ويوجد ملك لكل شعب منها وفي هذا المكان يقع حدث عجيب جدا
كل عام .

طوال هذا الوقت حيث لا يستطيعون بأى شكل من الأشكال
الاختلاط مع بعضهم البعض أثناء هذه الفترة . وعلى الرغم من أننى

(٦١) اوناريني **Varini** وهي قبيلة تعيش على الساحل بالقرب من
مصب نهر الراين .

(٦٢) مجموعة قبائل تسكن في شبه جزيرة الدانيرك .

(٦٣) يحتفل أن تكون أيسلندة أو الجزء الشمالى من شبه جزيرة
اسكتندنافيا التي كانت تعتبر حينذاك جزيرة وكلفت تسمى « سككترا »
Scanz . كان اسم ثيول مألونا بنذ الأرملة القديمة . لقد جاء وصفها
على لسان البحار بيشياس **Pythias** في عصر الاسكندر الأكبر وقد
أدعى أنه بزيارة هذه الجزيرة وقد تعدد تحديد موقعها ولكنها كانت دائما
تعتبر اراضى أقصى شمال العالم . لأن الشمس في وقت انقلاب الصيف
لا تغرب أبدا لمدة أربعين يوما ولكنها تظهر دائما طوال هذه المدة فوق الأرض .
وبعد أقل من ستة أشهر تقريبا عند تحول الشتاء لا تظهر الشمس إطلاقا فوق
الجزيرة مدة أربعين يوما والليل الذى يبدو وبلا نهاية يحيط بها ونتيجة لهذا
يسيطر الاكثئاب على الناس .

تكت اطلب على الذهب الى هذه الجزيرة لكي اكون شاهد عيان للشيء
التي تكلمت عنها فان الفرصة لم تتح لى أبدا .

على أية حال فقد استفسرت من هؤلاء الذين يقدون البنا من الجزيرة
عن الكيفية التي يستطيعون بها معرفة طول الايام حيث ان الشمس
لا تشرق ولا تغرب أبدا هناك في هذه الأوقات المحددة . وقد أعطوني
تقريرا هو بالقطع صادق ويمكن الوثوق به . قالوا ان الشمس في أثناء
هذه الايام الأربعين لا تغرب حقيقة كما قيل بالفسط ولكننا نكون ظاهرة
لنناس مرة ناحية الشرق وأخرى ناحية الغرب .

وعلى ذلك فكما تصل بحورها الى نفس المكان على الأفق حيث كانوا
قد اعتقدوا رؤيتها وهي تشرق من قبل يعرفون عن هذا الطريق أن يوما
واهدا وأن ليلة واحدة قد انقضت . وعندما يصل وقت الليالي فانهم دائما
يدونون مذكرة بدورات القمر والنجوم وبذلك يعرفون طول الايام . عندما
يمرقت يصل الى خمسة وثلاثين يوما في هذا الليل الطويل يذهب رجال
معروفون الى قمم الجبال وهذه عادة عندهم — وعندما يصبح في امكانهم
رؤية الشمس مجردة من ذلك المكان يعودون الى الناس بخبر مفاده أنه
بعد خمسة ايام سوف تشرق عليهم الشمس ويشارك كل الشعب في اقامة
احتفال ابتهاجا بالنبا السعيد ويتم هذا أيضا في الظلام — وهذا هو
اعظم الاحتفالات عند أهل نيول لأننى أتصور أن أهل الجزر هؤلاء يصابون
بالرعب مع أنهم يشهدون نفس الشيء كل عام اذ يخشون أن تغدولهم
الشمس تملأ في يوم من الايام .

ويوجد بين البرابرة الذين استوطنوا نيول شعب واحد فقط يطلق
عليه اسم سكريفيثيني Scribehipini يعيش نوعا من الحياة لا يختلف
في شيء عن تلك التي يعيشها الوحوش . لانهم لا يرتدون ملابس من
القمائن ولا يسمون وفي أرجلهم أحذية ولا يشربون الخمر ولا يأخذون
من الأرض أى شيء صالح للاكل . ولا هم يعمطون في الأرض ولا يقوم

نسألهم بالعمل فيها من أجلهم ولكن النساء يشتركن دائما الرجال في الصيد والقنص وهو عملهم الوحيد . ذلك لأن الغابات الثلاثة توفر لهم أعدادا هائلة من الوحوش وغيرها من الحيوانات كما تفعل ذلك أيضا الجبال التي ترتفع فيها . وهم يعتمدون في طعامهم الوفير على تحوم الحيوانات المفترسة التي يذبحونها بأنفسهم ويكتسبون بجلودها ولأنه ليس لديهم الكتان ولا أى أداة يستخدمونها في الصيكة فانهم يشبثون أجزاء تلك الجلود بمنسها بالبنفس بواسطة أعصاب الحيوانات وبهذه الوسيلة يمكنهم تغطية كل الجسم . حتى أطفالهم لا يلقون الرعاية بنفس الطريقة السائدة بين بقية الجنس البشرى . لأن أطفال هؤلاء الناس لا يتغذون من لبن النساء ولا هم يلمسون حتى ندى أمهاتهم ولكنهم يتغذون على نخاع الحيوانات التي يقتلونها في الصيد فقط .

بمجرد أن تضع المرأة طفلا تلقى به في قطعة من جلد الحيوانات وتعلقه فوراً في إحدى الأشجار وبعد أن تضع النخاع في فمه تخرج في الحال مع زوجها لمصيدا المعتاد وأذ يشتركان مما في كل شيء فانهما بالمثل يقومان بهذا العمل مما . هذا عن الحياة اليومية لهؤلاء البرابرة .

وكل الآخرين من سكان ثيول من الناحية العملية . لا يختلفون كثيراً عن بقية الرجال ولكنهم بأعداد هائلة يقدمون غروض التبجيل والتوقير لألهة وشياطين تعيش سواء في السماء أو في الهواء أو في الأرض أو في البحر بالإضافة إلى عدد غير معروف من شياطين يقل عنها أنها شياطين مياه الينابيع والأنهار . وهم بلا انقطاع يقدمون كل أنواع القرابين لها كما يقدمون أيضاً القرابين للموتى ولكن أعظم القرابين في نظرهم هي أول إنسان يأخذونه أسيراً في الحرب إذ يقدمونه قرباناً لأريس ^(٦٤) الذي يمتربونه أعظم الألهة والطريقة التي يقدمون بها الأسير ليست بالتضحية به فوق المذبح فقط ولكن أيضاً بوضعه فوق

شجرة أو بالقائه بين الأشواك أو ذبحه بأسلوب يعتبر لدى أشكال الموت.

هكذا يتضح كيف كان سكان ثيول يعيشون وكان الـ *Geut* واحدا من شعوبهم الحديدية وفي جوار هؤلاء استقر الأيرووليون في الزمن المنزه عنه .

وعلى ذلك فانه في المناسبة التي نحن بصددنا أرسل الأيرووليون الذين كانوا يعيشون بين الرومان بعد مقتل ملكهم على أيديهم * أرسلوا بعض كبار قومهم الى جزيرة ثيول لكي يبحثوا عن أى شخص يحمل الدماء الملكية ويمدوا به .

وعندما وصل هؤلاء الرجال الى الجزيرة وجدوا فيها عددا كبيرا ممن يحملون في عرقهم الدماء الملكية ولكنهم اختاروا الرجل الوحيد الذى أعجبهم وبدأوا معه رحلة العودة . ولكن هذا الرجل وقع فريسة لتمرص ومات عندما وصل بلاد الدانيين وعلى ذلك فقد ذهب هؤلاء الرجال مرة أخرى الى الجزيرة واختاروا رجلا آخر اسمه داتيبوس *Datius* وتبعه أخوه أورداس *Aordus* ومائتان من شباب الأريولي في ثيول . ولأنه كان قد انقضى وقت طويل وهم غائبون عن شعبهم بسبب هذه الرحلة فقد خطر ببال الأيروولين الذين يعيشون في جوار سينجانوين *Singidunum* أنهم لم يكونوا يقدمون مصالحهم الخاصة وهم يستوردون قائدا لهم من ثيول على غير رغبة الامبراطور جستنيان . ولذلك فقد قاموا بإرسال مبعوثين الى بيزنطة برجااء الى الامبراطور أن يرسل لهم حاكما من اختياره . وفي الحال أرسل لهم واحدا من الأيروولين الذين كانوا يقيمون منذ وقت طويل في بيزنطة واسمه سوارتواس * *Suarius*

وقد رحب به الأيرووليون في بادئ الأمر وقدموا له فروض الطاعة والولاء. والعمل المتداد خضوعا لأوامره . ولكن بعد أيام قليلة وصل رسول يحمل نبأ اقتراب الرجال الغاصمين من جزيرة ثيول وأمرهم سوارتواس

أن يخرجوا للقاء هؤلاء الرجال وكانت نواياه قد انمقدت على تدميرهم ونزولا على رغبته ومواقفته على تحقيق ما يهدف اليه ذهب الأيروليون معه .

وعندما أصبح الجانبان على مسيرة يوم واحد من بعضهما البعض تخلى كل رجال الملك عنه أثناء الليل وتحولوا الى حيث كان القادمون الجدد من تلقاء أنفسهم في الوقت الذي عمد هو فيه الى الفرار وانطلق دون أن يصحبه أحد عائدا الى بيزنطة . وعند ذلك تمهد الامبراطور بهمساة وصدق أن يعمل بكل قسواه على اعادته الى مكانته ولما كان الأيروليون يفتشون بطش الرومان فقد قرروا الخضوع للجبيداي . لقد كان ذلك اذن هو سبب ثورة الأيروليون .

المراجع العربية

- اسحق عبيد : — روما وبيزنطية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ————— : — الامبراطورية الرومانية بين الدين والبرية ،
القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- اسمت غنيم : امبراطورية جستنيان ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ م
- بينز « نورمان » : الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ،
القاهرة ، ١٩٥٧ .
- توينبي « ارنولد » : الفكر التاريخي عند الاغريق من هوميرو الى
الي هيراكليس ، ترجمة لمي المطيعي ، القاهرة .
١٩٦٦ م .
- جيسون ادوارد : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ،
ترجمة للمفتمر الذي شرح في الولايات المتحدة
ثلاثة اجزاء ، ١٩٦٠ م . ج ٢ ترجمة نجيب
اسكندر .
- هارولد لام : « هانيبال » : ترجمة رشدي السيد - القاهرة ،
١٩٦٥ .
- سعيد عبد الفتاح عاشور : — أوروبا المصور الوسطى ، ج ١ ، ط ٦ ،
القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ————— : الحركة الصليبية ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- السيد الباز العربي : الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- سيد الناصري : تاريخ الامبراطورية الرومانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

— علاف سيد صبرة : — الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية
الغربية ، القاهرة ، ١٩٨٢ •

_____ — العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة ، ١٩٨٣ •

— فشر هـ • ل : تاريخ أوروبا المصور الوسطى ، ترجمة زيادة والعريضي
القاهرة ، ١٩٦٩ •

— موسى • هـ : ميلاد المصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز حامد جاويد
القاهرة ، ١٩٦٧ •

— هارثمان • ل • م • ووباراكالاف • ج : الدولة والامبراطورية في
المصور الوسطى ، ترجمة جوزيف سليم •
القاهرة ، ١٩٧٠

— هسي • ج • م : - العالم البيزنطي ، ترجمة رافت عبد الحميد ،
القاهرة ، ١٩٨٢ ، ط ٢ •

المراجع الأجنبية

- 1 — A gathies. Historiarum Niebuhr. Bonnae-Md. XV.
 - 2 — Corpus scriptorum. Historiae, Byzantinae. Bon-1828.
 - 3 — Procopius «Historia Arcana» ed. haury 1906. English trans. by dewing.
- Baraclough : The Medieval Empire. London, 1950.
 - Barker : Social and political thoughts in byzantium. Oxford, 1957.
 - Baynes, and Moss. (ED) : Byzantium. Oxford, 1948.
 - Bryce, J. A. : The Holy Roman empire. London, 1950.
 - Bury S. B : History of the later Roman empire. London, 1931.
 - Cam. med. Hist : vol. IV. Cambridge, 1966, 1967.
 - Cantor. N. F : Medieval History. N. Y. 1964.
 - David. T. Rice : The Byzantines. M. B. E. 1962.
 - Deanesly, M : A history of Europe. London, 1960.
 - Depelais. S : L. habitation Byzantine. Paris, 1923.
 - Donald, M. Nicole : Byzantium its icclestastical and relation. with western world. London, 1968.
 - Dudley. D. R : The civilization of Rome. N. Y. 1962.
 - Encyclopedie. Britannica : William Betnton. Puplisher. U. S. A. 1968.
 - Eyre : «European civilizations» vol III The middle ages, London, 1935.
 - Fliche, A : La chretiene Medievie. Paris, 1929.
 - Finlay. g : History of the Byzantine empire. London, 1906.
 - Gerald, simons : The Birth of Europe. N. Y. 1968.
 - Green. V. H. H : Medieval civilization in western Europe, London, 1971.

- Guarden, R : Byzantium its triumph and theology, London, 1975.
- Gwatkin H. M : The Arian controversy, London, 1914.
- Hodgkin, T : Italy and her invaders 4 vols, Oxford, 1896.
- Holmes, W. G : The age of Justinian and Theodora, 2. vols, London 1912.
- Jones, A. H. M : The Greek city from Alexander to Justinian, Oxford, 1940;
The decline of the ancient world, London, 1975;
Later Roman empire 3 vol, Oxford, 1964.
- Jordan : Topographie Der Stadt «Rome».
- Lindsay, J : Byzantium into Europe, London, 1952.
- Lot, F : The end of the ancient world, London, 1931.
- Marian Weuzel : The finding out about Byzantines, London, 1965.
- Muglalis H. J : Byzantine christianity, Emperor church, and the west, London, 1970.
- Maurice Keen : The pelican history of Medieval Europe, London, 1968.
- Oblensky, D. : The Byzantine common wealth, London, 1971.
- Ornan, C : The Dark ages, London, 1914;
The Byzantine empire, London, 1902.
- Ostrogorsky : A. history of the Byzantine states, London, 1968.
- Painter, S : History of the middle ages, N. Y. 1954.
- Romelly Jenkins : Byzantium the imperial centuries, London, 1960.
- Runciman, S : Byzantium civilization, Britain, 1975.
- Setton, K. M : A history of the crusades, Wisconsin, 1969.

- Strayer, J. L. Munro, O. : The middle ages, N. Y. 1970.
- Thompson, S. W : The middle ages. 2 vols, Lonon, 1920.
- Tout, T. F : The empire and the papacy, London, 1924.
- Ure, P. N : Justinian and his age, Benguin, book, 1951.
- Vasiliev, A. A : A history of the Byzantine empire, Wisconsin, 1958.

المحتويات

المقدمة :	الصفحة
القوط	١١
دولة القوط الشرقيين على عهد ثيودريك	١٦
القوانين على عهد ثيودريك	٢٠
الحياة العامة في إيطاليا على عهد القوط الشرقيين	٢٢
القوط الشرقيون بعد وفاة ثيودريك	٢٦
ترجمة كتاب تاريخ الحروب : الكتاب الخامس	٣٧ - ٢١٧
المراجع العربية	٢١٨
المراجع الأجنبية	٢٢٠